المتابع الستراتيجي

شهرية متخصصة بالشؤون الستراتيجية يصدرها ..
مركز الجنوب للدراسات والتخطيط الستراتيجي
معتمدة لدى نقابة الصحفيين العراقيين
برقم ٥٠٤ المشرف العام رئيس مجلس الإداره

مركز مدني وطني عراقي، تأسس عام ٢٠٠٦ يهدف إلى وضع الأسس الصحيحة للمشاريع والقضايا التي تهم المجتمع العراقي، من خلال دراسات جادة وخطط منظمة تكون بمثابة البنية التحتية لأي مشروع أو عمل على مستوى المؤسسات الحكومية وغير الحكومية .. كذلك المتابعة الدقيقة للأحداث والوقائع في الساحة العراقية والدولية واستخلاص النتائج التي تضمن التحرك التراكمي الإيجابي بعيدًا عن الفوضوية وسلبياتها

العراق - الناصرية -خلف بناية البلديه (سابقاً)
بناية الأورزدي
(مركز الجنوب للدراسات والتخطيط الستراتيجي)

هاتف :

٠٧٨٠١٤٣٤٨٦٧ -- ٠٧٨٠٣٠٥٩٥٣٧

EMAIL: JANOBCENTER@YAHOO.COM
WWW.NASIRIYAH.NET

تتعنون جميع المراسلات بأسم
رئيس التحرير

الهيئة الإستشارية :

- الدكتور: إبراهيم يعقوب
- الدكتور: علي إسماعيل
- الدكتور: عقيل عزيز عوده
- الدكتور: رياض شنته جبر
- الدكتور محمد علي الناصري

رئيس التحرير :

- صلاح حسن الموسوي

الأعداد الفني :

- قاسم علي الموسوي

تطلب النسخة الأصليه من :
مكتبة مركز الجنوب مكتبة الأمام الصادق

آراء الكتّاب لا تعبر بالضروره عن أتجاهات يتبناها
مركز الجنوب للدراسات والتخطيط الستراتيجي أو مجلة المتابع الستراتيجي

الفهرست

الأفتتاحية : مجلس النواب القادم	٢
الفساد الإداري في العراق	٤
المالكي والتحدي الأخير	٧
زعيم «العمال الكردستاني» لـ«الشرق الأوسط»	٨
مشاركة نجل الرئيس العراقي	١٩
٩٠ طائرة ستشارك في الهجوم	٢١
إيران خطر على من	٢٤
الأزمة الدولية وأسعار النفط	٢٨
الف وجه لألف عام	٣١
الواقع السياسي الأثني العراقي	٣٤
البطاله والفقر في العراق	٤٢
الحماية الدوليه للممتلكات الثقافيه	٤٩
ذي قار تميز بيئي وعمق تأريخي	٦٣
مشكلات الإشراف الأختصاصي	٦٧
ثقافة اللاعنف والتسامح في التعامل مع الآخر	٦٩
الهيمنة الغربيه من الأستشراق الى العولمه	٧٢
الحداثة وسياسة البيت الأبيض	٧٥
بين الصدر وماركس	٧٧
نجم والي يحج الى إسرائيل	٨٠
ميكافيلي مؤمنا	٨٢
فهرست المتابع للسنتين الأولى والثانيه	٨٧

مجلس النواب القادم

عبّرت حركة الكتل والأحزاب السياسية العراقية عن نشاط واضح واستعداد مبكر لخوض الأنتخابات البرلمانية في موعد نهاية الشهر الأول من عام ٢٠١٠ بحسب ما اعلنه رئيس مجلس النواب الحالي السيد أياد السامرائي ،وتبدوا حصيلة نتائج أنتخابات مجالس المحافظات الأخيرة حاضرة في صلب الحسابات الجديدة لمعظم هذه الأحزاب ومؤثرة ألى حد بعيد في طبيعة الحوارات بينها لعقد التحالفات بغية تجاوز خسارات جديدة بالنسبة لبعضها وادامة زخم انتصارات سابقةلأطراف أخرى ، وقد يكون السيد رئيس الوزراء الأكثر اصرارا على تكراربرنامج (دولة القانون) وتجنب الأئتلاف على الأسس الطائفية التي برهن ألاداء السياسي في الأعوام الماضية على تناقضها البنيوي مع وجود قوانين موحدة في البلاد تعالج الضعف الأمني وتتصدى بفاعلية للفساد الضارب في مفاصل الدولة والمحمي من قبل الطوائف والأحزاب بحسب تصريح رئيس هيئة النزاهة العراقية .

تتميز انتخابات مجلس النواب عن الأنتخابات المحلية بالمستحقات الوطنية الملّحة وضمان تأسيس نظام سياسي وطني قوي قادر على ترجمة اتفاقية انسحاب القوات الأجنبية الى أستقلال ناجز، والتقدم الحاسم في معالجة ملفي الأمن والفساد بواسطة ضمان الأعتبار الحقيقي للسلطة القضائية واطلاق يدها في ملاحقة الأرهابيين والفاسدين كبديل عن الدوران المزمن في شرنقة المحاصصة وتحويل قضيتي الأمن والفساد الى (حرب حصانات) ومباريات (عض الأصابع) بين الكتل الحاكمة لأرهاب الخصم أوتكبيده المزيد من التنازلات وبالنتيجة لاتمس بأي صورة من الصور رؤوس العرابين الكبار للأرهاب والفساد المالي الذين مازالوا ألأكثر فاعلية في تحريك عناصر المشهد السياسي الراهن خصوصا مع أحتفاظ بضاعتهم القديمة بسالف رواجها عن المظلومية الطائفية والقومية داخل الوطن العراقي الواحد وانطلاء زيفها على المواطن الناخب الذي دفع ثمنها باهظا من دمه وقوته اليومي . لم يقتصر تأثير أنتخابات مجالس المحافظات على المشهد المتوقع للتحالفات ، بل تعدى الى داخل التنظيم الحزبي لحزب معروف ومؤثر كالحزب الأسلامي الذي اجرى تغييرا على هرمه القيادي بسبب الأخفاق في الحصول على نتائج مهمة داخل مناطق نفوذه المعهودة ، وهذا في المقاييس الديمقراطية أجراء صحيح يُحرج باقي الأحزاب التي خَسرت الأنتخابات ولم تجرمراجعة نقدية لصلاحية قادتها خصوصا الأحزاب والكتل المسماة بـ (العلمانية) والتي من المفروض ان تكون القدوة في هذا المجال طالما تصّرفي دعايتها على الأنتماء للتيار الديمقراطي ،ومن البديهي أن تجري مراجعة جادة لأدائها ومدى شعبية رموزهاالتي لم تحوز قبولاً شعبياً في الجولات الأنتخابية المتكررة.

أدى ألأستقطاب الطائفي والعرقي الحاد في الأنتخابات البرلمانية السابقة الى خلل واضح في أداء السلطتين التنفيذية والتشريعية مما أنعكس سلباً على الحياة العامة في البلاد نتيجة تحكم الية المحاصصة وحصول بعض الأحزاب على اكثر من أستحقاقها في التمثيل الوزاري مما حدا بها الى توزير اِشخاص غير أكفاء لشغل مناصب أدنى من الوزارة بكثير، ناهيك عن أشكالية النزاهة وعفة اليد ،بل لجأت بعضها الى أستعارة الوزير من خارج الحزب على طريقة(مجبر أخاك ؟) مما يثّبت الأستفهام عن أحقيتها بما تحوزه حاليا من مقاعد في الحكومة والبرلمان بله الفرق بينها وبين الكيانات والمنظمات السياسية التي ملأ ت الساحة بعد سقوط النظام مباشرةًوأختفت بذات السرعة التي ظهرت فيها . والمطلوب من البرلمان الحالي الذي يعيش صحوة حقيقية قبل أشهر معدودات من أنتهاء دورته أختيار النظام الأنتخابي الكفيل بالحد من صعود الأنتهازيين وأنصاف المتعلمين ألى

مجلس النواب المرتقب .
ثمة أحتمال كبير في تأجيل موضوع (التعديلات الدستورية) الى البرلمان القادم بعد أن أظهر المجلس الحالي عجزه عن توفير الحلول طوال مدة السنتان التي عملت فيها لجانه المختصة على هذه القضية ،ولم يشفع مبدأ التوافق للمجلس التنفيذي الأعلى بالخروج بصيغة مرضية حول أشد القضايا علاقة بوحدة البلاد أرضاً وشعباً ومصير ثروته النفطية ، بل ساد منطق التصعيد سواءَ بالتصريحات المتضادة بين كبار المسؤوليين حول مساحة الصلاحيات ، او بالسعي لأستخدام القوة المباشرة لفرض الأمر الواقع على الأرض كما هو حاصل حاليا في كركوك والموصل وأحتمالية أنفلات ألعنف على المستوى الشعبي في تلك المناطق ، والأجراء الكردي الخطير بتصدير النفط ألى الخارج دون موافقة الحكومة المركزية ، وهذه ممارسة شجعت عليها كارتلات النفط العالمية لأجبار العراق على أقرار قانون النفط والغاز بصيغته التشاركية مع هذه الكارتلات الأستعمارية مما يعني نهب ثروات الشعب العراقي وعلى طريقة البند السابع لمجلس الأمن الذي مورست في ظله أبشع أعمال النهب لمدخرات الأجيال العراقية القادمة بحجة التعويض عن جرائم صدام .
أن الفشل في التوافق على قضايا التعديلات الدستورية يعني أعلان موت مبدأ التوافق ، وعلى القوى السياسية أن تكون صريحة في هذه ألمسالة، خصوصاً مع القوى السياسية الكردية ألتي احترفت المبدأ الأسرائيلي في القضم ثم الهضم ولايعني التوافق لها سوى قبول الأخرين لكل ماتريده أربيل ، وبرأينا أن الشعار المحوري الذي يجب أن تتبناه القوى الوطنية الصادقة في العراق وتسعى ألى لم شمل الجمهور العراقي حوله في الأنتخابات النيابية القادمة هو (لا للبنان جديدة في المنطقة) وأن العراق وطن متعدد الطوائف والقوميات وليس بالشركة المتعددة الجنسيات .

المنابع الستراتيجي

الفساد الإداري في العراق بلغ مستويات مثيرة للدهشة.. ومواطنون يشكون: الكل يسرق

٥٠٠دولار مقابل العمل في الشرطة.. وأدوية المستشفيات تباع في السوق

بغداد: داميان كيف *

يدفع العاطلون عن العمل ٥٠٠ دولار رشوة للانضمام الى الشرطة العراقية. وتبني العوائل بيوتها بشكل غير شرعي على أراضي الدولة، ويسرق منظفو السيارات الماء من أنابيب عامة، وكل ما تشتريه الحكومة أو تبيعه قابل للعثور عليه في السوق السوداء.

فمسكنات الالم لمرضى السرطان (التي تأتي من وزارة الصحة) يبلغ ثمن كبسولات قليلة منها ٨٠ دولارا، وعدادات الكهرباء (من وزارة الكهرباء) تباع بمبلغ ٢٠٠ دولار لكل منها، بل حتى الكتب المدرسية (التي تسرق من وزارة التعليم) تباع بأسعار تصل الى ثلاثة أضعاف ثمنها الأصلي داخل المدارس. وقال عادل الصبيحاوي أحد زعماء العشائر البارزين في مدينة الصدر: «الكل يسرق من الدولة، إنها قطعة لحم كبيرة وكل واحد يريد أن يأكل».

وحسب تحليل مستقل جرى أخيرا، وضع العراق باعتباره ثالث بلد في العالم من حيث الفساد. فمن بين ١٨٠ دولة لا يتقدم على العراق سوى الصومال وميانمار، حسبما جاء في تقرير منظمة «الشفافية الدولية»، التي مقرها برلين وهي تصدر تقريرا في هذا المجال سنويا.

ويمكن القول إن حجم السرقات مثير للدهشة. ويقدر بعض المسؤولين الأميركيين أن نسبة الثلث مما ينفقونه على عقود عراقية ومنح لا يدخل ضمن قوائم الحسابات أو تتم سرقته، مع جزء منه يذهب إلى الميليشيات الشيعية أو السنية. وقدر مسؤول في مجال مكافحة الفساد في الخريف الماضي، قبل ان يستقيل ويهرب من البلد على أثر مقتل ٣١ موظفا كانوا يعملون في وكالته خلال فترة ثلاث سنوات، حجم الأموال الحكومية التي اختفت لصالح مشاريع خاصة للسرقات منذ عام ٢٠٠٤ بـ١٨ مليار دولار.

وفي مقابلات جرت عبر بغداد، قال عراقيون إن السرقات الواسعة الانتشار تؤثر عليهم على الأقل على مستوى معنوياتهم. ويجد الكثير من العراقيين أن السؤال لا يتعلق بأن تصبح ثريا، بل أن السرقة والفساد أصبحت وسائل للبقاء، وهذا خلق تبادلات تجارية غير نزيهة مما جعل كل شخص يشعر بأنه غير نظيف.

وقال أبو علي، ٢٣ سنة، الذي فضل تعريف نفسه بهذا الاسم فقط، إن زوجته وأمه المسنة وستة من أقاربه هربوا من بيتهم في شرق بغداد السنة الماضية بعد تسلمهم تهديدات بالقتل من ميليشيات شيعية. وهم ذهبوا أولا إلى محافظة ديالى، وحينما زاد العنف هناك عادوا إلى منطقة آمنة في بغداد مفلسين ويائسين. ومع حاجته للعمل كي يطعم عائلته الكبيرة وجد أبو علي الفرصة الوحيدة للعمل هي من خلال الحكومة. اقترح أحد جيرانه الذي يعمل ضابط شرطة أن ينضم للقوة. ولم يطلب الآخر من أبو علي أي شيء عدا دفع مبلغ ٥٠٠ دولار رشوة. حاول أبو علي أن يقلل التكاليف لكنه فشل فاضطر الى أن يدفع المبلغ كاملا ثم ملأ استمارات رسمية. وبالمقابل حصل على هوية زرقاء مطبوع عليها «وزارة الداخلية» التي أعلنته عضوا في قوة الشرطة. وقال له الرجل نفسه إن عليه أن يراقب الإعلان عن اسمه في الصحيفة المحلية التي تدرج أسماء المقبولين، وأن يجلب معه البطاقة في أول يوم من أيام تدريبه.

قال أبو علي: «كيف أعرف أنني حقا سأحصل على العمل».

وبعد خمسة أشهر ظهر اسم أبو علي في الجريدة. وفي أكاديمية الشرطة اكتشف أن أغلب

زملائه في الدراسة من مدينة الصدر، وأن الكل دفعوا ما بين ٤٠٠ و٨٠٠ دولار. وقال أبو علي إنه «لم يكن أي شخص، ضمن الـ ٨٥٠ الذين يتدربون معه، قد انضم مقابل لا شيء».

وأضاف أن آمريه يجمعون الآن رواتب المجندين الذين تركوا العمل في الشرطة، وهذا يساوي مبلغ ١٠٠ ألف دولار شهريا. قال أبو علي: «لا أحد يستطيع إيقاف الفساد. فهو يجري من الرأس إلى القدم».

وإذا كان صعبا التحقق من حكاية أبو علي، فإنها تتماشى مع نمط من تقديم الرشاوى وبرامج في سجلات تقديم الأجور الزائفة والموجودة في كل مؤسسة من مؤسسات الحكومة العراقية، حسبما ذكر موظفون حكوميون ومشرعون عراقيون وبعض المسؤولين الأميركيين.

ويتكلم كثير من العراقيين عن تجربة شخصية. وقال الصبيحاوي، الزعيم العشائري الشيعي في مدينة الصدر، انه عندما حاول أخيرا أن يجد وظيفة لشاب من عشيرته، أبلغه مسؤولون حكوميون محليون بانه ليس هناك وظيفة متيسرة ما لم يكن مستعدا للدفع. والمال هو ما يؤدي في الغالب الى الترقيات، بمساعدة من شهادة تخرج مزورة من الكلية، تشترى بحوالي ٤٠ دولارا، والسرقة ليست اقل شيوعا. وقال أحد العاملين الحكوميين واسمه ابو محمد، ان اداريا مسؤولا في وزارة حيث يعمل، باع أخيرا أجهزة كومبيوتر وأجهزة طباعة وأثاث مكاتب وتجهيزات اخرى يبدو أنها توفرت بمساعدة أميركية. وقال ان المسؤول لم يتعرض الى الاعتقال أو المقاضاة.

وقال حيدر ابو ليث، المهندس في وزارة الثقافة، ان صديقا مقربا وهو مهندس في وزارة الزراعة أبلغه أخيرا بانه تعرض الى ضغوط لتضخيم كلفة معدات جرى شراؤها من الخارج، حتى يمكن أن يحصل كبار المسؤولين على الفائض. وقال ان صديقه ترك الوظيفة خشية قتله اذا ما رفض.

وفي المستودع الرئيس لوزارة الصحة في بغداد اكتشفت القوات الأميركية في الصيف الحالي، ان شاحنتين مليئتين بالأدوية والمعدات الطبية اختفتا، بينما كان عدد من الحراس في الواجب، وكانوا شبابا يرتدون الجينز، وقالوا انهم لم يروا شيئا، بل ان بعض المشرعين العراقيين يعترفون بأن الفوضى باتت واسعة الانتشار، بحيث أنه لا يمكن ايقافها. وقالت شذى منذر عبد الرزاق، عضو البرلمان عن الكتلة السنية ان «حجم الفساد تجاوز الخيال. ويعود سبب ذلك الى عدم وجود قوانين وعقوبات صارمة بحق من يسرقون».

وقال ستيوارت بوين، الذي يدير المكتب الخاص للمفتش العام لاعادة اعمار العراق، ان رئيس الوزراء نوري المالكي قلل من فاعلية جهود مكافحة الارهاب في العام الحالي، عبر الطلب من المحققين أن يأخذوا اذنا من مكتبه قبل ملاحقة الوزراء الحاليين أو السابقين بتهم الفساد. كما أن المالكي لم يلغ قانونا، عارضه الأميركيون، يسمح للوزراء باستثناء العاملين لديهم من التحقيق. وقال بوين في مقابلة معه «ان هذين الموقفين القانونيين داخل الحكومة العراقية الفتية غير متوافقين مع الديمقراطية. لقد تعاظم قلقي بشان مشكلة الفساد».

وقال علي الدباغ، المتحدث باسم رئيس الوزراء، ان الحكومة عازمة على مكافحة الارهاب. وفي بعض محطات الغاز خصوصا، حيث تركز القوات الأميركية جهودها، يشير العراقيون الى تقلص حالات الرشوة التي بلغت ثلاثة أو اربعة أمثال سعر الغاز في السابق.

ولكن بالنسبة لعدد كبير من الناس ما زال البقاء على قيد الحياة يعتمد على أخذ ما يمكنهم عندما يتمكنون. وتشير تقديرات الى ان نسبة البطالة تبلغ ٤٠ في المائة. وبالنسبة لكثير من العراقيين تبدو السرقات الصغيرة مبررة لأن آخرين يأخذون كثيرا، ولأن الحياة اليومية في العراق ما تزال غير مستقرة. وبغداد، بشكل خاص، ما تزال تتسم باليأس حيث مزيد من النساء يتسولن في تقاطعات الطرق.

وهناك أشخاص مثل ستار علوان (٤١ عاما)، وهو سائق سيارة اجرة، يعيش مع ما يقرب من ١٢ من اقاربه في بيت غير شرعي على أرض حكومية في شرق بغداد. وقال ان عائلته شيدت هذا المكان البديل، لأن المسلحين هجروهم من بيتهم، ولم يعد لديهم مكان يتوجهون اليه. وكذلك عباس وادي كاظم (٤٢ عاما)، الذي يستخدم مضخة هوائية لسحب الماء من الأنابيب المعطوبة ليتمكن من الحصول على المال مقابل غسل السيارات. ويعترف بأنه لا يدفع كلفة الماء ولا ايجار المكان الواقع في مبنى حكومي مهجور، حيث غالبا ما ينام حتى يكون مستعدا عندما يصل الزبائن في الساعة السابعة صباحا. ويعتقد أن الحكومة مدينة له. فقد سجن من قبل حكومة صدام حسين، وبات معاقا في الحرب العراقية الايرانية. وقال «لدي ستة أطفال وكل ما أحصل عليه هو ١٥٠ ألف دينار عراقي (١٢٠ دولارا) كمخصصات اعاقة، وهي غير كافية». وأضاف انه من مدينة الصدر التي تهيمن عليها الميليشيا الشيعية التي تحمل اسم جيش المهدي. وأشار الى ان بوسعه أن يحصل على مال اكثر لو انه كان اقل تدينا. وكان يبدو فخورا بنفسه. فهو يقضي ساعات طويلة في تنظيف السيارات مقابل أربعة دولارات في مكان فارغ قريب من ملعب كرة القدم الرئيسي في بغداد. ويثني زبائنه على جودة عمله. ولكنه شأن كثير من العراقيين الذين اختاروا خرق القواعد، ما زال يبدو غير واثق من موقفه الأخلاقي، فهو يشعر بشيء من الحرج. وقال ان «هذه المهنة أفضل بالنسبة لنا من القيام بأشياء محرمة. انها افضل من السرقة او استغلال الناس. فكلما كانت المهنة شريفة وشاقة كان ذلك افضل».

* خدمة «نيويورك تايمز»

المالكي يعلن (السيادة) على المدينة بـ (صفقة النفط) والبارزاني يصر على (كردينتها)

كركوك.. بداية (التحدّي الأخير)بين الحكومة وكردستان وأزمة (تقترب من الانفجار)

طبقاً لتفسير خبير الشؤون العراقية البروفيسور (جوست هلترمان) أعلن رئيس الوزراء (نوري المالكي) سيادة حكومته على محافظة كركوك أرضاً ونفطاً، بـ"صفقة النفط" التي ستمنح نهاية شهر حزيران الى شركة نفطية كبيرة. وقال المحلل السياسي في "مجموعة الأزمة الدولية" إن (المالكي) بذلك يوجه "طعنة نجلاء" في وضح النهار للقيادة الكردية. من جانب آخر، كان رئيس إقليم كردستان (مسعود البارزاني) قد أعلن إصراره على أن كركوك جزء من كردستان. وأكد قوله: ((إن الدستور العراقي يبيّن أن احتياطيات النفط ملك لكل العراقيين. لكن كركوك، ومعها احتياطياتها النفطية جزء من كردستان)). وكانت صحيفة "تودي زمان" التركية قد علقت على تصريحات (البارزاني) بقولها إن تركيا والولايات المتحدة حذرتان من طريقة "ادعاءات الأكراد العراقيين" بملكيتهم لكركوك، وأن أنقرة لا تقبل بغير "التوافق" بين جميع فئات سكان المدينة، مشيرة الى أن التصعيدات الأخيرة يمكن أن تقود الى حرب إثنية خطيرة في المناطق الشمالية.

وبدا للمراقبين أن "أزمة كركوك" تنحدر نحو التفجر ولاسيما بعد أن انتهت اجتماعات بين الزعماء العراقيين "العرب والكرد" بحضور القوات الأميركية الى طريق مسدود، وإصرار الأكراد على منع الجيش العراقي من دخول مدينة كركوك التي تهيمن عليها الميليشيات الكردية "البيشمركة".ويرى المراقبون –ومنهم المحلل السياسي لصحيفة النيويورك تايمز تيموثي وليامز- أن بداية "التحدي الأخير" بين الحكومة المركزية وقيادة إقليم كردستان بشأن نفط كركوك، باتت قاب قوسين من حال الاصطدام. وأشاروا الى أن الانتخابات البرلمانية والرئاسية في كردستان، والتهيئة للانتخابات البرلمانية العراقية مطلع السنة المقبلة، قد تعجلان بانفجار الأزمة، فيما يرى الأكراد أن "رحيل القوات الأميركية" عن المدن مع نهاية حزيران قد يدفع الحكومة الى الاندفاع بتنفيذ خطة عسكرية للدخول الى كركوك. ويشدّدون على أنهم سيحملون السلاح دون ذلك!.

وعلى صعيد المحيط الإقليمي، يقول (تيموثي وليامز) إن أي نزاع بشأن كركوك، يثير قلق تركيا، وسوريا، وإيران، وكل منها بالأقليات الكردية التي فيها، يمكن أن تتأثر وتؤثر في أية توترات عربية-كردية التي يمكن أن تتطوّر الى نزاع قاس جداً في جميع أنحاء شمالي العراق الذي يعد الجزء الأكثر استقراراً في العراق خلال السنوات الماضية.

وثمة محللون سياسيون في واشنطن يعتقدون أن القادة العسكريين الأميركان في العراق "غير حريصين" على تهدئة "أزمة كركوك" لأنهم في النتائج النهائية قد يعدونها "آخر كارت" يستخدمونه في طريقة الضغط على الحكومة العراقية لطلب "المكوث" في بعض المدن، ومن ثم المكوث لما بعد سنة ٢٠١١، ولاسيما أن الرئيس الأميركي (باراك أوباما) يشترط ذلك للموافقة على "بقاء طويل الأمد" لنحو ٥٠،٠٠٠ جندي أميركي من القوات المقاتلة في العراق.

المصدر : الملف برس والنور

زعيم «العمال الكردستاني» لـ«الشرق الأوسط»: لولا وجودنا في قنديل لما سمحت تركيا بإقامة حكومة إقليم كردستان العراق

خليفة عبد الله أوجلان: أميركا تمهد لدور تركي في العراق بديلا عن الإيراني * قال: لن نلقي السلاح حتى لو أطلق سراح زعيمنا

أجزم بأن الوصول إلى البيت الأبيض ولقاء الرئيس الأميركي رغم مشاغله الهائلة أسهل بكثير من الوصول إلى جبال قنديل ولقاء مراد قره أيلان أو «الرفيق جمال» كما يناديه رفاقه، رئيس المجلس القيادي لاتحاد المنظومات الكردستانية، وهو الاسم الذي اختارته لنفسها قيادة حزب العمال الكردستاني التركي المحظور غداة القبض على زعيم الحزب عبد الله أوجلان من قِبل المخابرات التركية نهاية تسعينات القرن الماضي.

فبعد رحلة شاقة وعسيرة عبر الشعاب الجبلية الوعرة لتفادي نقاط التفتيش التابعة لحكومة إقليم كردستان العراق التي تفرض حظرا مُحكَما على جبال ورواسي قنديل الشامخة وتحديدا بالنسبة إلى رجال الصحافة والإعلام، وصلنا أنا والمصور كامران نجم ومعنا دليلنا القروي دياري، من أهالي المنطقة، إلى إحدى قرى مناطق قنديل المترامية ذات الوديان السحيقة، وبعد ترحيب حارّ من قِبل المسؤولين عن ترتيب اللقاء مع قره أيلان، خليفة أوجلان والقائد الفعلي لحزب العمال الكردستاني، اتجهنا غربا مسافة ٣٠ كم نحو قرية أخرى حيث حللنا ضيوفا على بيت أحد القرويين، وبعد ست ساعات من الانتظار الممل تلقى أحمد دنيز مسؤول العلاقات الخارجية في الحزب، مكالمة أكد فيها المتصل أن الزعيم قادم إلى المكان المحدد.

وبعد تفتيش دقيق وتجريدنا حتى من هواتفنا المحمولة التي يحظر استخدامها في حضور الزعيم، تحركنا في سيارة ذات دفع رباعي نحو الغرب أيضا لمسافة مماثلة قبل أن تنحرف السيارة إلى الشمال لتتسلق جبلا عاليا عبر طريق وعر وخطير يطل على واد عميق، وعلى سفح ذلك الجبل كان بيت قروي آخر قد أفرغ من ساكنيه لإجراء اللقاء، وبعد انتظار آخر دام لساعة ونصف وصل الرفيق قره أيلان.

ودعا الزعيم الكردي التركي، في حواره الذي خص به «الشرق الأوسط»، إلى معالجة القضية الكردية في كل من تركيا وإيران وسورية في إطار حدود تلك الدول عبر إقرار حقوق الشعب الكردي وتكريس الديمقراطية. كما أعرب عن استعداد حزبه للمشاركة في المؤتمر المزمع عقده في أربيل بدعوة من رئيس إقليم كردستان مسعود بارزاني وبحضور الأطراف الكردية كافة لحل أزمة حزب العمال الكردستاني. وقال قرة أيلان إن واشنطن تمهد لدور تركي في العراق من خلال إقامة علاقات مع كل مكوناته بمن فيهم التيار الصدري، ليكون بديلا عن الدور الإيراني.

وفي ما يلي نص الحوار:

* أعلنتم قبل فترة وقفا لإطلاق النار من جانب واحد، كالعادة، هل ما زال ساري المفعول؟ – نعم، وقف إطلاق النار ما برح مستمرا ولكنه ليس وقفا رسميا لإطلاق النار بقدر ما هو وقف لأنشطتنا المسلحة، حتى الأول من يونيو «حزيران» القادم، أما الجانب التركي فإنه لم يعلن حتى الآن رفضه أو قبوله بمبادرتنا بينما القوات التركية تواصل عملياتها العسكرية ضدنا والسلطات اعتقلت عددا كبيرا من أنصار حزب المجتمع الديمقراطي الكردي المعروف بـ«دي تي بي»، أي أن حملات الاعتقال بحق أتباع الحزب المذكور مستمرة بموازاة استمرار العمليات العسكرية ضدنا.

وقبل أكثر من عشرة أيام زارني هنا في جبال قنديل صحافي تركي شهير مندوبا عن صحيفة «ميلييت» التركية ويدعى «حسن جمال »،

وأجرى مقابلة معي بعثتُ من خلالها برسالة إلى الشعب التركي أثارت بعد نشرها موجة واسعة من السجالات والمناقشات في الأوساط التركية مقرونة بتساؤلات عن مبادرة الصحافي المذكور لزيارة قنديل، وقد التقاه كبار المسؤولين الأتراك وسألوه عما قلته أنا وعن كيفية التعاطي مع قضيتنا لاحقا، سيما وأنني كنت أكدت مجددا على ضرورة حل القضية الكردية في تركيا عبر الحوار السلمي الديمقراطي، وهذا الأمر، رغم تأثيره المحدود في الأوساط المعنية بتركيا، ما زال محطّ نقاش من جانبها، ولكن دون أي خطوات عملية، بدليل استمرار العمليات العسكرية ضدنا بموازاة حملات الاعتقال في حق أنصار حزب المجتمع الديمقراطي، وعلى أي حال لم يبق من مدة وقف العمليات المسلحة سوى أسبوعين كي نتأكد إن كانت تركيا ستمد إلينا يد السلام أو لا، ومن جانبنا نأمل أن تجنح أنقرة نحو السلام، وإلا صارت بادرتنا لوقف العمليات المسلحة بلا جدوى، سيما وأن العمليات العسكرية التركية مستمرة ضدنا.

* وماذا تتوقعون من تركيا؟ هل ستمد إليكم يد السلم؟

– مع الأسف لم تفعل ذلك حتى الآن، ولكننا نؤكد مجددا أن القضية الكردية في كل من تركيا وإيران وسورية ينبغي أن تعالج في إطار حدود تلك الدول عبر إقرار حقوق الشعب الكردي وتكريس الديمقراطية، وفي تركيا تحديدا فإن الحكم الذاتي الديمقراطي الحقيقي يعتبر الحل الأفضل، بموازاة تعميق الممارسات الديمقراطية في البلاد، وعلى هذا الأساس ينال الكرد حقوقهم المشروعة بعد إلغاء الفوارق والتمييز الممارس ضدهم، وحل القضية الكردية على أساس الحرية والعدالة والديمقراطية وهذا ما اقترحناه مؤخرا على الرأي العام التركي في رسالتنا، وهو ما يجري بحثه ومناقشته في تركيا حاليا.

* مَن في تركيا يرفض مبادراتكم السلمية؟ القيادة السياسية أم العسكر؟

– كلاهما معا، ولكن الأمر يختلف هذه المرة عما سبق، فنحن بعد اعتقال زعيمنا عبد الله أوجلان من قِبل الولايات المتحدة وبتواطؤ من بعض الجهات في العالم وتسليمه إلى تركيا في خطوة كانت الغاية منها إخماد حركتنا ثم تصفيتها كليا، بادرنا إلى تجميد أنشطتنا العسكرية المسلحة، انطلاقا من رغبتنا في حل القضية الكردية بالوسائل السلمية، وأخرجنا قواتنا قبل خمس سنوات مضت إلى خارج حدود الجزء الشمالي من كردستان «كردستان تركيا»، لكن تركيا واصلت مساعيها لتضييق الخناق علينا واستمرت في ممارسة التعذيب في حق الزعيم أوجلان بموازاة عملياتها العسكرية ضدنا بغية تصفيتنا ومصادرة إرادة شعبنا ومواصلة جهودها الرامية إلى تتريك الشعب الكردي، وعلى أثر ذلك قررنا في الأول من يونيو (حزيران) ٢٠٠٤، التصدي مجددا للحملات التركية دفاعا عن النفس، وقد حققنا خلال السنوات الخمس الماضية قدرا كبيرا من التقدم ومزيدا من القوة، وتحديدا خلال العامين الماضيين حيث حققنا انتصارات باهرة في الحملات العسكرية والسياسية الموجهة ضدنا، بمعنى أننا أصبحنا الآن في أوضاع قوية ومتينة، بعبارة أدق نحن الآن أقوياء لا ضعفاء حتى ترفض أنقرة مبادرتنا، وتلك حقيقة دامغة يدركها الجميع.

والدليل على ما نقول هو الانتصار العسكري والسياسي الكبير الذي حققناه في تصدينا للحملات العسكرية العنيفة التي شنتها القوات التركية ضدنا عام ٢٠٠٧ بدعم لوجستي وتكنولوجي أميركي وبدعم استخباراتي إسرائيلي تمثل في مسح استخباراتي لكل جبال كردستان، التي استهدفت القضاء المبرم علينا، لكننا خرجنا من المعركة أشد قوة وبأسا، وفي الانتخابات المحلية الأخيرة التي جرت في تركيا

في ٢٩ مارس (آذار) الماضي سعت السلطات التركية سعيا حثيثا لضمان فوز حزب العدالة والتنمية الحاكم بزعامة (رجب طيب) أردوغان (رئيس الوزراء التركي) على حساب حزب المجتمع الديمقراطي الكردي بزعامة أحمد ترك، وفي هذا السبيل صرفت أنقرة أموالا طائلة في المناطق الكردية وشرعت في توزيع السلع والأجهزة المنزلية مجانا على المواطنين الكرد، والطريف أنها وزعت ثلاجات على القرويين في القرى الكردية المحرومة من الكهرباء في مسعى لاستغلال مشاعر الكرد وفقرهم المدقع، إلى جانب ممارسة الضغوط العسكرية عليهم من خلال أفراد الجيش والمرتزقة الموالين للنظام، ورغم ذلك خاض الشعب الكردي في الجزء الشمالي من كردستان معركة إرادة وحقق فيها انتصارا باهرا وقال للعالم إنه سيمضي قدما مع الزعيم أوجلان وإنه متمسك بإرادته ولن يتخلى عن قضيته مهما حصل، وجسد ذلك عبر صناديق الاقتراع، وبدورنا أطلقنا نداءنا السلمي إلى تركيا بعد ذلك الانتصار الكبير مؤكدين فيه مجددا أننا لسنا طلاب حرب بل دعاة سلام وحل ديمقراطي وأعربنا عن استعدادنا لحل القضية سلميا، ومن هنا بدأ النقاش والسجال في تركيا حول قضيتنا، ففي السابق كانت أنقرة تصم آذانها إزاء مناشداتنا ومبادرتنا السلمية، ولكن هذه المرة صارت كل وسائل الإعلام التركية تناقش وتطرح بصراحة قضيتنا على طاولة السجال، خصوصا بعد النداء الذي وجهته شخصيا عبر الصحافي التركي المذكور، ولست أجزم بأن تركيا ستستجيب لندائنا أو لمبادرتنا السلمية بل أقول إن صدى صوتنا صار يهز تركيا، وأعتقد أن أنقرة إذا رفضت مبادرتنا فإن دعاة السلام والديمقراطية في البلاد سيمارسون على السلطات ضغوطا قوية، ولو استأنفت تركيا عملياتها لعسكرية ضدنا بعد تلك المبادرة فإنها بلا شك ستكشف عن وجهها الأسود الكالح، وعندها أن سيتضح للعالم مَن المسالم ومَن الذي يدعو إلى الحرب، وهذا ما سيعرفه العالم مطلع الشهر القادم، أي بعد انتهاء مدة مبادرتنا، ويسرني أن أنقل عبر جريدتكم صورة إلى القراء في العالم العربي عن أوضاع الشعب الكردي في الجزء الشمالي من كردستان على غرار ما فعلت في لقاءاتي الأخيرة مع التلفزيون الإيطالي وصحيفة «لوموند» الفرنسية وغيرها من القنوات.

* ما طبيعة علاقاتكم مع حزب المجتمع الديمقراطي الكردي بزعامة أحمد ترك؟

– بيننا نوع من العلاقة، ولكن ذلك الحزب يواجه الآن دعوى قضائية من قِبل المحاكم التركية، ونحن نأمل في أن يجسد ذلك الحزب إرادة الشعب الكردي سيما وأنه حزب سياسي مرخص قانونا وغير مسلح، يختلف عن حزبنا السياسي الآيدولوجي المسلح الذي يخوض ثورة مسلحة بكل أشكالها، وهذا لا يعني أننا حركة سلاح، بل على العكس، فإن ٩٥ في المائة من نضالنا سياسي، وقيادتنا وقواتنا العسكرية منفصلة عن قيادتنا السياسية، بخلاف حزب المجتمع الديمقراطي الذي يروم تحقيق أهدافه عبر صناديق الاقتراع في الانتخابات المحلية والنيابية العامة، وهو حزب يخوض النضال منذ عام ١٩٩١ وقد ضحى بالكثير من أعضائه وأنصاره رغم أنه لا يحمل السلاح، لأن تركيا تقتل وتغتال أعضاءه وتغيّب الكثيرين منهم دون أي رقيب، كما حصل مع محمد سنجال الذي كان نائبا في البرلمان عن الحزب لكنه اغتيل.

* ألا تخشون أن يحل ذلك الحزب محلكم على الساحة السياسية الكردية في تركيا؟

– نعم، إطلاقا، الكثيرون يقولون هذا الكلام ولكننا لا نخشى من ذلك أبدا لأن شعبنا الكردي في الجزء الشمالي من كردستان يعتبر الزعيم أوجلان قائده ورمزه، فإذا أمر الزعيم أن يكون حزب المجتمع الديمقراطي بديلا لنا فسيكون

كذلك، والعكس بالعكس، أيضا بمعنى أن الشعب هو الأساس في الموضوع، خصوصا وأن فلسفة الزعيم أوجلان تهدف إلى توحيد صفوف الشعب الكردي، لذا لا يمكن الفصل بين ذاك الحزب وحزب العمال، وحتى لو حصل ذلك فإن شعبنا لن يرضى بالأمر، لأنه وحّد صفوفه على درب أوجلان، والدليل هو أن الآلاف من أنصار حزب المجتمع الذين اعتصموا مؤخرا في مدن كردستان تركيا كانوا يهتفون بحياة أوجلان، وتلك حقيقة قائمة.

* ما طبيعة الحل السلمي الذي تنشدونه لقضيتكم؟

– الحقائق كلها تبرهن على أننا منتصرون وفي وضع قوي ونمثل قوة منظمة، ولسنا تنظيما إرهابيا كما تدّعي تركيا وبعض الدول، بل نحظى بدعم ومؤازرة شعبنا ونؤكد مجددا أننا لم ولا نتلقى أي مساعدة مالية أو عسكرية من أي دولة في العالم باستثناء مساعدة ودعم أبناء شعبنا ونحن موجودون على أرض كردستان، وليست لدينا ارتباطات مشبوهة مع هذه الدولة أو تلك، ومستقلون في إرادتنا وقراراتنا، فإذا كانت تركيا راغبة في حل قضيتنا، فعليها أن تطلق أولا وقبل كل شيء سراح زعيمنا أوجلان المعتقل في سجن إيمرالي، وعندها سنقبل بالسلام معها، وبخلاف ذلك لن نقبل بالأمر، وهذا هو شرطنا الأساسي ولن نمانع في أن يكون الحوار بين تركيا ووجهاء وأعيان الكرد من أجل حل القضية رغم كل ما تعرضنا له من هجمات وحملات عسكرية وسياسية، أما إذا أصرت تركيا على إبادتنا بقوة السلاح فإننا بلا شك سندافع عن وجودنا.

* كنتم تطالبون مرارا بكردستان كبرى مستقلة، هل ما زلتم تطالبون بذلك؟

نحن نرفض منطق إخضاع الشعوب قسرا، فالشعب الكردي من أقدم الشعوب في الشرق الأوسط، إلى جانب الشعوب العربية والفارسية والأشورية والأرمنية ثم التركية التي لا يزيد عمر تاريخها عن ألف عام، وقد جرى تقسيم أرض كردستان إلى أربعة أجزاء وهضمت حقوق الشعب الكردي، وينبغي رفع ذلك الحيف عنه، فالشرق الأوسط صار بحاجة إلى اتحاد على غرار الاتحاد الأوروبي يتمتع في ظله الكرد والعرب والأمم الأخرى بحقوق متوازنة، بمعنى أن الشعب الكردي ينبغي أن يتحرر من الاحتلال وأن لا يكون شعبا من الدرجة الثانية، ما دامت إقامة دولته المستقلة غير ممكنة في الوقت الراهن، أي أن يكون هناك نظام ديمقراطي يتمتع فيه الكرد بحقوقهم على أساس الإخاء مع الشعوب المجاورة.

ودعني أسال: لماذا يمكن أن يقوم الاتحاد الأوروبي ويتعذر إقامته في الشرق الأوسط الغني بتاريخه وثرواته وهو موطن الأديان السماوية الثلاثة ومهد الحضارة البشرية؟

باختصار أقول إن الشعوب الكردية والعربية والفارسية والأشورية والتركية في المنطقة ينبغي أن تقيم علاقاتها معا على أساس الأخوّة دون حواجز أو حدود في ما بينها، وهذا هو هدفنا.

* كيف تقرأون الإصلاحات الجارية في تركيا من قبيل إعادة الأسماء الكردية الأصلية إلى القرى والقصبات وفتح القنوات التلفزيونية الكردية؟

– في السابق كانت تركيا تجزم بشدة أن لا وجود للكرد في البلاد، وأننا أتراك الجبال والكهوف، وأن اسم الكرد مستمَدّ من الصوت المنبعث من تكسر الثلوج المتجمدة في الجبال تحت وطأة الأقدام، وقد تطور بمرور الزمن من صوت تكسر الثلوج «قرت» إلى الاسم الحالي «كرد»، بمعنى أن الكرد لا وجود لهم بل هم أتراك الجبال وأن الدولة التركية تروم تثقيفهم عبر تلقينهم اللغة التركية النقية وأساليب التمدن والتحضر، ولكن بعد انطلاق مسيرة حزب العمال النضالية من نقطة الصفر تغير

الوضع تدريجيا.
فعندما كنت طالبا جامعيا مطلع السبعينات من القرن الماضي ولجت عالم السياسة مع بعض الشباب الكرد المتأثرين بالأفكار اليسارية واكتشفت وقتها أننا قومية مختلفة عن الأتراك تماما، سيما بعد أن قرأت تاريخ الكرد وكردستان، إذ كانت تركيا تخصص الجامعات للأتراك وحسب وترغم الجميع على رؤية الحياة بمنظار تركي، وكان الزعيم أوجلان هو أول من حطم تلك النظرية عندما كان طالبا في كلية العلوم السياسية بجامعة أنقرة عام ١٩٧١ برده على أستاذه الجامعي الذي كان يلقي على الطلبة محاضرة عن الدولة التركية وحدودها وجذورها وأصالة الشعب التركي ووجوب أن يفتخر الطلبة بأصلهم التركي الذي هو المكون الوحيد في تركيا، قائلا: «كلا، ليس الأتراك وحدهم في تركيا، بل هناك الكرد وكردستان»، وكان رده ذاك بمثابة قنبلة، وقد أدهش الحضور الذين تساءلوا كيف يجرؤ على التفوه بجملة ستقوده إلى الموت! لكن أوجلان أصر على وجود الكرد وكردستان، ومنذ ذلك الوقت انطلقت حركتنا التي سُميت في البداية بالحركة الطلابية التي تصدى لها للوهلة الأولى المرتزقة الموالون للدولة التركية، فقتلوا عددا من رفاقنا العزل وهاجمونا بأسلحة ثقيلة رغم أننا لم نكن نملك إلا أسلحة بسيطة، وعندما لمس شعبنا هذه الإرادة الصلبة لدى الطلبة صار يتفاعل مع حركتنا تدريجيا حتى بلغ الأمر حدا أرغم الدولة التركية على الاعتراف بوجود الكرد في تركيا مطلع التسعينات من القرن الماضي، ولكنها أصرت على إبادتهم، وبعد فترة راحت تركيا تعترف بوجود القضية الكردية بخلاف مزاعمها السابقة من أن القضية هي قضية إرهاب فقط، وراحت تكيل التهم لحزبنا بالعمالة لروسيا تارة ولسورية تارة أخرى ثم لأكراد العراق، أما الآن فإن أنقرة تعترف بالقضية الكردية، حيث أقر قبل أسبوع تقريبا الرئيس التركي عبد الله غل بأن تركيا تعاني من مشكلة معينة يمكن وصفها بمشكلة الإرهاب أو بقضية الإرهاب، وهي مشكلة تركيا الأساسية، إلا أنه لم يجرؤ على الاعتراف صراحة بأنها القضية الكردية، عليه وبغية قطع السبيل أمامنا بادرت تركيا إلى استحداث قنوات فضائية ناطقة بالكردية وأعادت قبل أربعة أيام فقط الأسماء الكردية الأصلية إلى القرى والقصبات الكردية، وهي إجراءات صورية لا تهدف إطلاقا إلى حل القضية الكردية، بل إلى تضليل الكرد هناك وكسب تأييدهم للدولة التركية ليكونوا مرتزقة لدى النظام، وبالتالي الادعاء أمام المجتمع الدولي أنها أجرت إصلاحات سياسية لصالح الكرد، بمعنى أنها مجرد دعاية إعلامية وحسب.

* كنتم تتلقون المساعدات من اليونان وسورية وإيران وأرمينيا، هل ما زالت المساعدات مستمرة؟

– لم نكن نتلقى المساعدات المالية أو العسكرية لا من إيران أو من اليونان ولا من سورية وغيرها، باستثناء بعض المساعدات البسيطة مثل السماح لنا بالمكوث على الأراضي السورية أو إيران مثلا، وأحيانا كانت المساعدات المقدمة لنا أخوية كما في عهد الرئيس الراحل حافظ الأسد الذي كان يتعامل مع الكرد تعاملا أخويا سواء مع أكراد سورية أو تركيا أو العراق، وما زلنا نقدّر عاليا مواقف الرئيس السوري الراحل الأسد الذي كان جسرا وطيدا وسلميا بين الشعبين الكردي والعربي، ولكن بعد رحيل الأسد للأسف الشديد سعت بعض القوى الإقليمية وبعض الشخصيات إلى تخريب علاقتنا مع سورية التي عمدت بالفعل إلى تغيير سياساتها وصارت تميل نحو تركيا، ما أدى إلى تدهور علاقاتنا معها،أما إيران فإن بروز قضية «بيجاك» (حزب الحياة الحرة الذي يمثل أكراد إيران) بمعزل عنا طبعا أدى إلى تأزيم علاقاتنا معها، فنحن حركة إقليمية في الشرق الأوسط تسعى إلى التعريف بهوية الشعب الكردي وقضيته في العالم وتمكينه من حل قضيته سائر

الشعوب الأخرى، وعليها أن تكنّ له التقدير والاحترام، سيما وأن الكرد لا يسعون إلى إقامة دولة كردية مستقلة، لا في العراق ولا في تركيا ولا في إيران أو سورية، بل يطمح إلى العيش حرا كريما كسائر شعوب المنطقة. وهنا أود أن أوضح لشعوب المنطقة أن حركتنا السائرة على درب الزعيم أوجلان تهدف إلى تحقيق الأخوّة الحقيقية مع شعوب الشرق الأوسط.

* ألا تعتقدون أنه حان وقت إلقاء السلاح والشروع في العمل السياسي؟

– إننا لا خوض القتال بمفهومه الكلاسيكي في هذه المرحلة، فلقد خضنا الكفاح المسلح حتى عام ١٩٩١، ومنذ ذلك الحين عمدنا إلى انتهاج سبيل الكفاح السياسي كوسيلة لحل قضيتنا، أما قواتنا التي يتراوح تعدادها بين ٧ و٨ آلاف مقاتل فهي متحصنة على قمم جبال كردستان وفي حالة دفاعية بحتة وستبقى كذلك إلى حين حل قضيتنا، أي أنها قوة احتياطية لضمان مستقبل الشعب الكردي وحريته، وهي قوات دفاع عن كل أجزاء كردستان ومكتسبات هذا الشعب، لا سيما وأن القوانين والمواثيق الدولية تبيح للشعوب حق الدفاع عن وجودها في حال تعرضت لهجمات خارجية، بمعنى أننا نمارس حق الدفاع المشروع عن شعبنا ووطننا، أما تركيا الساعية إلى إبادتنا أينما وُجدنا فمن الطبيعي أنها ستصطدم بمقاتلينا المدافعين عن وجودهم، فنحن في الجزء الشمالي من كردستان ندافع عن لغتنا وتراثنا ووجودنا، وقبل اندلاع حركتنا لم تكن المرأة الكردية قادرة على الخروج من باب منزلها، لكننا فجرنا ثورة النساء وصارت المرأة الكردية الآن تحمل السلاح وتربض على قمم الجبال.

فإذا أقرت حقوق الشعب الكردي دستوريا فإن الشكوك حول وجود قواتنا ستزول، لكننا سنبقى بحاجة إليها للمحافظة على مكاسبنا وحقوقنا تماما كما هو الحال الآن في إقليم كردستان حيث تتولى قوات البيشمركة حماية المكاسب وتمارس حق الدفاع الذاتي، بمعنى أن الوقت قد حان تماما لحل القضية الكردية حلا سلميا وديمقراطيا خصوصا وأن الشعب الكردي قد جسد إرادته في انتخابات ٢٩ مارس (آذار)، وعلى تركيا أن تحترم تلك الإرادة.

* هل تتوقعون هجوما عسكريا تركيًّا ضدكم في الصيف المقبل؟

– للهجوم التركي احتمالات، ولكنها ليست مؤكدة، وستتضح الرؤية خلال الشهر القادم بعد استكمال النقاش والسجال الدائر في الأوساط التركية بخصوص كيفية التعاطي معنا والرد علينا.

* يقال إن العسكر في تركيا هم الذين يرفضون حل قضيتكم سلميا لأغراض ومصالح خاصة. ما مدى صحة ذلك؟

– هذا جزء من الحقيقة، فالسياسيون أيضا يرفضون الحل السلمي لقضيتنا، سيما وأن العسكر سبق أن اعترفوا باستحالة حل قضية حزب العمال عسكريا، بل في إطار إقرار لحقوق الشخصية للفرد، ولكن حتى الآن لم تظهر في تركيا الإرادة السياسية القادرة على تحمل المسؤولية لحل القضايا الداخلية في البلاد، فرئيس الوزراء التركي أردوغان مثلا يتوسط في حل النزاع الفلسطيني ــ الإسرائيلي، أو يتوسط بين سورية وإسرائيل، لكنه يأبى حل القضية الكردية في بلاده ويرفض التصافح مع رئيس الكتلة الكردية في البرلمان التركي عن حزب المجتمع الديمقراطي، ويزعم أنه يلعب دور الوساطة في الصراع العربي ــ الإسرائيلي ويدافع عن أطفال فلسطين، وهي كلها مزاعم غير صحيحة، أي أن الساسة الأتراك هم الذين يرفضون حل قضيتنا ويحيلونها إلى العسكر ليحلوها بطريقتهم.

* كيف هي صحة أوجلان الآن؟ هل لديكم معلومات في هذا الصدد؟

– على حد علمنا فإن السلطات التركية تسمح لأشقائه وشقيقاته فقط بزيارته، إضافة إلى محاميه الخاص، ومشكلاته الصحية مستمرة

ولم يخضع حتى الآن لعلاج طبي شاف، وتدهورت صحة جهازه التنفسي مؤخرا، علاوة على استمرار سجنه الانفرادي منذ أحد عشر عاما، وحرمانه من حقوق السجناء المنصوص عليها في القوانين التركية مثل الالتقاء بأفراد أسرته كل أسبوع ومشاهدة التلفاز أو الاستماع إلى المذياع أو قراءة الصحف.

* هل ما زلتم تتلقون التعليمات والتوصيات من أوجلان؟

– السلطات التركية تدّعي باستمرار أنه يبعث بتعليماته وتوصياته إلى الحزب، وفي كل مرة يدلي فيها أوجلان بتصريحات يتعرض بعدها إلى ما يسمى بعقوبات الحجرة في سجنه، وتتمثل تلك العقوبات في إرغامه على الجلوس على كرسي دون حركة لمدة عشرين يوما، وتتخذ السلطات من بعض تصريحاته ذريعة لتنفيذ تلك العقوبات في حقه زاعمة أنه عندما يقول أوجلان إن عدم تحقيق السلام في تركيا يعني تزايد حدة العنف إنما يبعث برسالة مشفرة إلى أتباعه في الحزب تنص على مواصلة القتال وتهديد أمن الدولة التركية، أما نحن فسائرون على نهج الزعيم الذي جسده في أكثر من مائة كتاب من تأليفه.

* هل صحيح أن الطائرات التركية استخدمت أسلحة غير تقليدية في غاراتها على قنديل؟

– كنا نشتبه مجرد اشتباه في نوعية الأسلحة المستخدمة في تلك الغارات، وشخصيا لم أصرح أو أجزم أنها كانت قذائف أو صواريخ غير تقليدية، بل إن بعض الصحف وبعض المحللين أبدوا شكوكهم حيالها بعد ظهور حالات نفوق غير اعتيادية في المواشي التي كانت تنفق بمجرد تناولها الأعشاب في المناطق التي طالتها الغارات التركية، أما نحن فلم نجزم أو نعلن استخدام تركيا لأسلحة كيماوية في ضرب جبال قنديل.

* يقال إن هناك خلافات حادة بينكم وبين القيادي جميل بايك. ما تعليقك على ذلك؟

– إنها مزاعم الاستخبارات التركية التي تسعى عبثا إلى إقناع الرأي العام بوجود خلافات من ذلك القبيل في قيادة حزب العمال، والصحافة التركية روّجت لخلافات مماثلة بيني وبين الرفيق باهوز أردال (قائد ميداني بارز في الحزب)، ثم تلاشت تلك المزاعم لتحل محلها ادعاءات الخلافات بيني وبين الرفيق بايك، وبدوري أؤكد بطلان تلك المزاعم، وأجزم أن خلافات من ذلك النوع لم ولن تظهر بيننا أبدا.

* لو عرضت عليكم أنقرة إطلاق سراح أوجلان مقابل إلقاء السلاح، فهل ستقبلون العرض؟

– لا تركيا مستعدة لإطلاق سراح أوجلان، ولا نحن مستعدون لإلقاء السلاح. هناك قضية اسمها «القضية الكردية»، وينبغي حلها أولا قبل أن نلقي السلاح، بمعنى أن إطلاق سراح الزعيم أوجلان فقط أمر غير كاف، بل يجب أن يقترن بحل القضية حلا جذريا.

* ما شكل علاقاتكم مع حزب الحياة الحرة الكردستاني «بيجاك» المناهض لإيران؟ وهل هو الجناح الإيراني لحزبكم كما يقال؟

– إطلاقا، هو ليس جناحا لحزبنا، فهناك ــ على سبيل المثال ــ حزب شيوعي عراقي وآخر تركي، وكلاهما يتبنيان أفكارا ماركسية ــ لينينية، ولكنّ كلا منهما مسؤول عن نشاطاته، أي أنهما حزبان شقيقان، ولكنّ كلا منهما يناضل في ساحته، وهذه الحالة تنطبق على حزب العمال و«بيجاك» أيضا، فحزب العمال يتزعمه أوجلان، و«بيجاك» يقول إنه يناضل في الجزء الشرقي من كردستان في ظل زعامة أوجلان، وهذه أفكاره، فهل نمنعه من ذلك؟

فهذا الحزب طلب منا المساعدة فلبينا طلبه، وقدم له الدعم المطلوب، وعلاقاتنا متينة معه ونؤازره بشدة ونؤكد على ذلك مجددا، ولكننا حزبان مختلفان ومنفصلان تماما، لكن إيران تزعم أن ذاك الحزب هو جناح لحزب العمال وتتجاهل أن الظروف الآنيّة والموضوعية في الشطر الشرقي من كردستان هي التي أوجدت هذا الحزب.

وفي الآونة الأخيرة وعندما اشتد القتال بين مقاتلي «بيجاك» والقوات الإيرانية، أعلنّا من

جانبنا أننا لا نؤيد تفاقم الوضع واشتداد القتال بين الطرفين، وطالبناهما بحل القضية عبر الحوار، ووقف القتال فورا، وقد استجاب «بيجاك»، لطلبنا لكن إيران لم تعلن استجابتها رسميا، ولكني أعتقد أنها وقفت القتال أيضا.

أما رؤيتنا للمسألة فتتمثل في أن الشعب الكردي الموجود في إيران ينبغي له أن يتمتع بحرياته وحقوقه المشروعة، ويمارس نضاله السياسي بحرية، وليس من حق الدولة الإيرانية أن تقتل الأكراد باستخدام السلاح ضدهم، ونأمل أن ينبذ «بيجاك» وإيران القتال ويجنحا إلى الحوار والسلم.

* رمزي كارتال يخضع للإقامة الجبرية في إسبانيا، وتركيا تطالب بتسليمه بحجة كونه عضوا في حزبكم. ما ردّكم؟

– كارتال ليس عضوا في حزب العمال، بل نائب في البرلمان التركي ممثل عن الشعب الكردي، وقد غادر تركيا، وهو يحمل جواز سفر بصفة نائبا في البرلمان، وهو طبيب متخصص وشخصية معروفة على المستويين المحلي والعالمي، أما الاتهامات التركية للشخصيات الكردية بممارسة الإرهاب فجاهزة باستمرار بهدف تشويه صورة الكرد والدبلوماسية الكردية في العالم وتقويضها، وقد أدرجت أنقرة أسماء كل الشخصيات الكردية الدبلوماسية في أوروبا على لائحة المطلوبين من قِبل الشرطة الدولية، ومن بينهم رمزي كارتال الذي يخضع للإقامة الإجبارية إلى حين محاكمته، أي أن قرار احتجازه سياسي وليس قضائيا، وتكمن وراءه دوافع سياسية، سيما وأن هناك دولا أوروبية لا تريد حلا سلميا ونهائيا للقضية الكردية في تركيا كي لا تضطر إلى قبول تركيا في عضوية الاتحاد الأوروبي، لذلك تعمل لتأجيج الصراع بين الكرد وتركيا كي تتلاشى الديمقراطية في البلاد وبالتالي تفقد تركيا أهلية الانتماء

إلى الاتحاد الأوروبي، وتلك الدول التي هي على قدر كبير من الذكاء تدرك جيدا أن تركيا لن تستطيع القضاء على الكرد عسكريا إطلاقا، سيما وأن الدول التي قسمت أرض كردستان إلى أربعة أجزاء في إطار اتفاقية لوزان عام ١٩٢١ إنما أرادات أن تجعل القضية الكردية مرضا مزمنا في المنطقة، ناهيك عن أن إسرائيل لا ترغب هي الأخرى في حل القضية الكردية كي يستمر الصراع بين الكرد والأتراك والعرب، وكي تبقى تركيا بحاجة إلى إسرائيل والتكنولوجيا المتقدمة التي تمتلكها وتبقى الدول العربية ضعيفة أمامها، أي أن الموقف الإسباني في هذه القضية يخدم الحرب فقط، وهو موقف منبوذ.

* يقال إن الرئيس التركي أبرم ضدكم اتفاقا سريا مع العراق خلال زيارته الأخيرة لبغداد. ما معلوماتكم في هذا الصدد؟

– ليست لدينا معلومات مؤكدة، وكل ما نعرفه هو ما نشرته الصحافة في هذا الشأن، ولكن لو كان الطرفان يرغبان في حل قضيتنا فليقدما مشروعا سياسيا من أجلها، أما إذا كانت سياسية الدولة التركية القائمة على أساس الإبادة والتقتيل ضد الكرد منطلقا للتعامل مع القضية الكردية فلن تكون النتائج طيبة أبدا ونحن موجودون على أرض كردستان ولسنا من قبيل القوى التي يمكن محاصرتها أو تشديد الخناق عليها من خلال اتفاق بين دولتين أو أكثر، كما أن مقاتلينا هم الآن في حال أفضل بكثير مما سبق، وبوسعهم المقاومة لعشر سنوات أخرى بالاعتماد على ما لديهم من إمكانات، لذا فإن السعي للقضاء علينا عسكريا أمر عقيم ولن يجدي نفعا.

* الرئيس العراقي جلال طالباني خيّركم بين الرحيل وإلقاء السلاح. هل هو جاد في تصريحاته أم هي مجرد تصريحات إعلامية؟

– الرئيس طالباني عاد وصرح في أربيل مؤخرا بأن تصريحاته بهذا الصدد نُقلت مشوهة وأنه لم يقل كذلك، وهذا هو الأساس بالنسبة إلينا.

* الرئيس طالباني قال في زيارته الأخيرة لأنقرة إن تشكيل الدولة الكردية المستقلة سيبقى حلما بعيد المنال بالنسبة إلى الكرد. ما تعليقكم؟

– أيديولوجيًّا لا يطالب حزب العمال بإقامة دولة كردية مستقلة، فالدولة ينبغي أن تقترن بضمان الحرية للجميع، وينبغي أن تقام على أساس حديث هو النظام الكونفيدرالي الديمقراطي، ولكن ليس من الصواب الجزم بأن الكرد لن ينعموا أبدا بدولتهم وسيأخذون هذا الحلم إلى القبور، فلربما تحقق الحلم، أما في ظل المعطيات والظروف الراهنة فإن أيا من الأقطاب الكردية لا يطالب بدولة كردية مستقلة.

* تركيا تتهم حزبَي طالباني وبارزاني بتقديم العون اللوجستي لكم. ما مدى صحة تلك الاتهامات؟

– إنها مجرد اتهامات تركية لا أساس لها من الصحة، فتركيا تعتقد أن تحسن أوضاع الكرد في إقليم كردستان العراق سيحول دون استسلام الكرد في تركيا، وعندما تعرضت قواتها لضربة قاصمة في هجومها ضدنا خلال شهر فبراير (شباط) ٢٠٠٨ في منطقة الزاب أدركت أنقرة حقيقة أنها لم تعد قادرة على ممارسة المزيد من الضغوط على جنوب كردستان، لذلك قررت تغيير سياساتها لكنها لا تزال في قرارتها ترغب في إضعاف الكرد جميعا، أي أنها تريد القضاء علينا أولا ثم تشرع في القضاء على إقليم كردستان.

* هل كان للزعماء الكرد الحاليين دور في عملية اعتقال أوجلان؟

– نحن لا نزعم أن أوجلان اعتُقل بتواطؤ من بعض الساسة الكرد، بل نقول إن اتفاقا ما كان قائما وقتذاك للقبض على أوجلان، وقد لعب فيه بعض الكرد دورا، ولكن لم يثبت لدينا حتى الآن طبيعة دور أولئك الأشخاص.

* ما طبيعة الدور التركي في عدم حل قضية كركوك؟

– دور أساسي وفاعل، ولولا تركيا لكانت قضية كركوك قد وجدت طريقها إلى الحل منذ عام ٢٠٠٤ أو ٢٠٠٥، لكن أنقرة وضعت كل ثقلها في القضية، والولايات المتحدة رأت أن حل القضية سيدفع تركيا إلى اتخاذ موقف سلبي، أي أن السياسة التركية أسهمت في عدم حلها بنسبة ١٠٠ في المائة.

* لو كان صدّام وجيشه الجرار إبان الثمانينات قائمين الآن، هل كان سيؤيدكم ضد تركيا أم العكس؟

– صدّام كان موجودا في السابق ولم يقدم الدعم لنا إطلاقا، بل وقع اتفاقا أمنيا مع تركيا سمح بموجبه للقوات التركية بالتوغل داخل الأراضي العراقية بعمق ٢٠ كم لشن العمليات العسكرية ضدنا متى ما شاءت، وهذا الاتفاق ما برح ساري المفعول.

* كيف ترون مستقبل العلاقات التركية ـ العراقية؟

– في الوقت الراهن تنوي الولايات المتحدة سحب قواتها من العراق وتفكر في إيجاد بديل لها على الساحة العراقية، في حين إيران موجودة على الساحة بشكل عملي، لذا تريد واشنطن أن يكون لتركيا دور سياسي فاعل في العراق، لذا تجد أن تركيا تقيم بمباركة أميركية علاقات مع كل الأقطاب السنية، بل وحتى مع التيار الصدري ألد أعداء الوجود الأميركي في العراق، كي تمهد السبيل أمامها لتحل محل إيران في عراق المستقبل، أي أن الولايات المتحدة تسعى لتعزيز العلاقات التركية ـ العراقية ولكن المشكلة في الأمر هي القضية الكردية، لا سيما وأن حكومة إقليم كردستان تشكل الآن العامل الأقوى في العراق، بل العامل الأساسي في صون وحدة العراق واستقراره، لذا تسعى واشنطن أيضا إلى تحسين العلاقات بين إقليم كردستان وتركيا، التي ما برحت ترفض الاعتراف بحكومة الإقليم، وباختصار

إذا لم تبادر تركيا إلى حل القضية الكردية لديها فإن دورها في عراق المستقبل سيواجه مصاعب حقيقية.

* لو عرض العراق عليكم الإقامة في مخيمات وسط البلاد مثل أتباع منظمة «مجاهدي خلق»، هل ستقبلون العرض؟

– لسنا بحاجة إلى مخيمات أو معسكرات، وقواتنا لم تُخلق لتقيم في مخيمات، بل هي قوات فاعلة، والمخيمات تقام لأصحاب العوائل، ثم إننا لسنا على أرض أجنبية كي نقيم في مخيمات.

* هل ما زال الحظر المفروض عليكم من قِبل حكومة الإقليم مستمرا؟

– مستمر كما لاحظتم، ولكن الأهم في الأمر أن الكرد ينبغي أن يتقنوا سياساتهم، فلا يجب أن نقيم حدودا داخلية في وطن الكرد، فإذا حصل أي تقدم خلال السنوات القليلة القادمة على صعيد القضية الكردية في تركيا فإن المخاطر ستزول عن جنوب كردستان وحكومة الإقليم، أما إذا عمدت تركيا والدول التي تتقاسم كردستان إلى توجيه ضربة قاصمة لنا، فإن الشكوك ستتعزز بخصوص احتمالات أن تشدد تلك الدول الخناق على حكومة الإقليم وبالتالي إخضاع الشعب الكردي جميعا، عليه أعتقد أن المرحلة القادمة ستكون تاريخية وحساسة جدا، ويتوجب على الكرد في كل أجزاء كردستان أن يفهموا جيدا حقيقة أن كردستان كلها موطن واحد.

* يقال إن حكومة الإقليم تستخدمكم كورقة ضغط ضد تركيا لحملها على الاعتراف بحكومة الإقليم. ما ردكم؟

– سياستنا واضحة في المنطقة، وتركيا لم تعترف حتى الآن رسميا بحكومة الإقليم على الرغم من العلاقات المحدودة بين الجانبين، فأنقرة ترفض الاعتراف بحكومة الإقليم لكنها تسمح بإقامة ممثليات لديها لكلا الحزبين الرئيسيين في الإقليم.

* لو هاجمتكم قوى البيشمركة لإخراجكم من قنديل، كيف ستردون؟

– قبل كل شيء أقول إن جميع القوى الكردية أكدت مرارا أنها طوت صفحات الاقتتال الكردي ـ الكردي إلى الأبد، ولن تعمل على إراقة الدماء الكردية إطلاقا.

* ألا تعتقدون أن أنشطتكم المسلحة ضد تركيا انطلاقا من أراضي الإقليم تنعكس سلبا على حكومة وشعب الإقليم؟

– لولا وجودنا هنا في قنديل لما كانت تركيا قد سمحت بإقامة حكومة الإقليم، ثم إن أنشطتنا العسكرية كلها دفاعية بحتة للذود عن كرامة الشعب الكردي وليست هجومية إطلاقا، وقد أسهمت إلى حد كبير في تعزيز مواقف الساسة الكرد جميعا.

فعلى سبيل المثال لا الحصر خلال الفترة من ١٩٩٩ إلى ٢٠٠٤ لم تطلق رصاصة واحدة في الجزء الشمالي من كردستان، لكن تركيا صارت تتدخل وتُقحِم نفسها في شؤون حكومة الإقليم، وسعت دوما إلى تحجيمها والتقليل من شأنها ورفض استقبال أي من مسؤوليها، وبعد استئناف عملياتنا اضطُرت تركيا إلى تحسين وتطبيع علاقاتها مع الإقليم، وهذا أكبر دليل على أن الكفاح المسلح في شمال كردستان عزز من مواقف حكومة الإقليم، بل ومن مواقف الكرد في كل أجزاء كردستان مثلما عزز فوز حزب المجتمع الديمقراطي في الانتخابات الأخيرة من مواقفنا ومواقف حكومة الإقليم أيضا.

* هل تتوقعون حدوث تغيير جذري في سياسات الإقليم ومواقفه وأوضاعه بعد الانتخابات النيابية القادمة؟

– نحن نتمنى أن يكون التغيير في اتجاه تعزيز الديمقراطية في الإقليم ونجاح التجربة الديمقراطية في المنطقة، وأن يتحقق للكرد في هذا الجزء من كردستان مزيد من الاستقرار وأن تتكرس سيادة القانون وحقوق الإنسان بحيث يكون للتجربة الكردية الديمقراطية صدى أوسع في عموم الشرق الأوسط.

*** هل ستشاركون في المؤتمر القومي الكردي الموسع المزمع عقده في أربيل قريبا؟**

– المؤتمر لم يحدد له موعد حتى الآن، وهو مؤتمر يهدف إلى تحقيق الوحدة بين الكرد وتكريس السلام في المنطقة، ويتركز في المقام الأول على القضية الكردية في شمال كردستان (تركيا)، ومتى أبلغنا رسميا فسنشارك فيه، فالقضية الكردية الآن تمر بمرحلة تاريخية، ونأمل أن يسهم المؤتمر في خلق مناخ جديد وأرضية أفضل للعمل، وأن يقوم بواجبين أساسيين: الأول تعزيز الأخوّة والوحدة بين الأقطاب الكردية جميعا، والثاني تعزيز العلاقات بين الكرد والشعوب المجاورة وتعميق الأخوّة والوئام بين شعوب الشرق الأوسط، أي أن لا يكرس المؤتمر لمعاداة دول الجوار بل لمناقشة كيفية التوصل إلى حل لمعضلة الكرد مع دول الجوار بطريقة سلمية، ومن الضروري مشاركة ممثلي تلك الدول كي يكون مؤتمرا لتحقيق السلام في الشرق الأوسط.

الشرق الأوسط

أربيل: مشاركة نجل الرئيس العراقي في مؤتمر لوبي يدعم إسرائيل أمر اعتيادي مسؤول كردي لـ«الشرق الأوسط : «قوباد طالباني مبعوث الإقليم لواشنطن ومن الطبيعي أن يحضر ندوات.

فيما تحدثت تقارير عن مشاركة نجل الرئيس العراقي الأصغر، قوباد طالباني، الذي يشغل منصب ممثل حكومة إقليم كردستان لدى الولايات المتحدة، ومسؤول مكتب علاقات حزب الاتحاد الوطني الكردستاني في واشنطن، الأسبوع الماضي في المؤتمر السنوي للجنة العلاقات الأميركية – الإسرائيلية المعروفة اختصارا بـ«ايباك» الذي عقد في العاصمة الأميركية واشنطن، بمشاركة الرئيس الإسرائيلي شمعون بيريس وعدد من المسؤولين الإسرائيليين، قال مسؤول رفيع في حكومة إقليم كردستان، إن حكومة الإقليم «ليست متحسسة» تجاه أي طرف أو جهة معينة لتفرض قيودا على مثل تلك المشاركات. يذكر أن منظمة ايباك تعتبر إحدى أقوى جمعيات الضغط على أعضاء الكونعرس الأميركي بهدف استقطاب وضمان الدعم الأميركي لإسرائيل.

وقال فلاح مصطفى، مسؤول دائرة العلاقات الخارجية (بمثابة وزارة الخارجية) في حكومة إقليم كردستان، «إن منظمة ايباك هي مؤسسة فكرية مثل الكثير من المؤسسات المماثلة في الولايات المتحدة والعالم، وتتناول غالبا القضايا الفكرية التي تحظر مناقشاتها العشرات من الشخصيات البارزة بمختلف توجهاتهم للاستفادة من تلك المناقشات». وأضاف مصطفى في تصريح لـ«الشرق الأوسط»، «أن ممثل حكومة الإقليم لدى الولايات المتحدة يشارك باستمرار في العشرات من الأنشطة الفكرية والسياسية التي تقام هناك أسوة بممثلي دول العالم، كما أن حكومة الإقليم ليست متحسسة من أي طرف أو جهة معينة، لتفرض قيودا على مثل تلك المشاركات، بمعنى أنه من الطبيعي لممثل حكومة الإقليم أن يشارك في أي ندوة أو نشاط فكري أو فعالية ثقافية من ضمن الكم الكبير من الأنشطة التي تنظمها العشرات من المنظمات والمراكز الفكرية والثقافية في الولايات المتحدة، التي تعلن عبر وسائل الإعلام مسبقا عن نيتها إقامة مثل تلك الأنشطة وتوجه الدعوة للشخصيات البارزة وأعضاء السلك الدبلوماسي للحضور والمشاركة وهو أمر عادي جدا».

وقد حاولت «الشرق الأوسط» عبر مكتب علاقات حكومة الإقليم الاتصال بقوباد طالباني لمعرفة حقيقة مشاركته في المؤتمر المذكور، إلا أنه لم يتسن لها ذلك. وكانت «إيباك» قد تأسست في عهد الرئيس الأميركي الأسبق، دوايت آيزنهاور، وتوصف بأنها «منظمة صهيونية» تضم أعضاء من الحزبين الديمقراطي والجمهوري. وكانت قد تأسست تحت مسمى «اللجنة الصهيونية الأميركية للشؤون العامة» عام ١٩٥٣، بحسب الموسوعة الإلكترونية «ويكبيديا». غير أنه تم تغيير اسمها إلى الاسم الحالي (اللجنة الإسرائيلية الأميركية للشؤون العامة) «إيباك»، بعد تدهور علاقة داعمي إسرائيل والرئيس الأميركي آيزنهاور، حيث وصلت الأمور إلى إجراء تحقيقات مع «اللجنة الصهيونية الأميركية للشؤون العامة».

الجدير بالذكر أن قوباد طالباني تولى مسؤولية مكتب حزب الاتحاد الوطني الكردستاني الذي يتزعمه والده الرئيس جلال طالباني، لدى واشنطن في عام ١٩٩٩ خلفا للدكتور برهم صالح الذي عاد إلى الإقليم ليتولى رئاسة حكومة الإقليم - إدارة السليمانية، وبعد توحيد إدارتي أربيل والسليمانية عام ٢٠٠٦ عين قوباد ممثلا لحكومة الإقليم لدى واشنطن مع الاحتفاظ بمنصبه السابق ممثلا لحزبه هناك. وبحسب مسؤولين أكراد فإن حكومة إقليم كردستان لا تجد حرجا في إقامة علاقات مع إسرائيل، وكان رئيس وزراء الإقليم نيجرفان بارزاني قال في وقت سابق لـ«الشرق الأوسط»، إن حكومته «تتعامل مع إسرائيل كأي دولة في العالم ولا تجد مشكلة

مع إسرائيل كأي دولة في العالم ولا تجد مشكلة في إقامة علاقات معها»، غير أنه أكد أن الإقليم لم يقم علاقات رسمية مع تل أبيب حتى الآن. وكان الرئيس جلال طالباني قد تصافح مع وزير الدفاع الإسرائيلي إيهود باراك على هامش أعمال مؤتمر منظمة الاشتراكية الدولية الذي انعقد في العاصمة اليونانية أثينا مطلع يوليو (تموز) من العام الماضي الذي انتخب فيه طالباني نائبا لرئيس المنظمة، الأمر الذي أثار ضجة كبيرة في الأوساط الرسمية والسياسية والإعلامية في العراق الذي يعتبر من ضمن دول العالم العربي التي لا تقيم أي علاقات مع إسرائيل حتى الان .

الشرق الأوسط

٩٠ طائرة ستشارك في الهجوم لتدمير ٣ مواقع وايران سترد بضرب اهداف اسرائيلية وامريكية

رام الله - 'القدس العربي' من وليد عوض:

حذر تقرير متخصص اعده مركز الدراسات الاستراتيجية في واشنطن وكشف عنه قبل ايام من موت الآلاف من الخليجيين اذا اقدمت اسرائيل على قصف المنشآت النووية الايرانية. واوضح التقرير ان الهجوم الاسرائيلي على المفاعل النووي الايراني في بوشهر سيؤدي الى كارثة بيئية وموت الكثير من البشر نتيجة التلوث الاشعاعي المنبعث من المواد المشعة في منطقة واسعة جدا، مشيرا الى ان آلاف الايرانيين القاطنين بالقرب من المفاعل سيفقدون حياتهم فورا اضافة الى آلاف سيصابون بأمراض السرطان المختلفة في حين ستسبب الرياح الشمالية التي تهب على المنطقة معظم ايام العام تلوثا اشعاعيا سيضرب دولة البحرين وقطر والامارات العربية وسيؤدي الى موت الكثير من المواطنين اضافة لإصابة قسم كبير بأمراض السرطان.

وقدر التقرير الاستراتيجي بأن الضربة الاسرائيلية للمنشآت النووية الايرانية لن تتعدى نهاية العام الجاري وستشارك فيها جميع طائرات سلاح الجو الاسرائيلي اذا لم يتم منع تل ابيب من تنفيذ مخططها.

وحسب التقرير الذي نشرته صحيفة 'هآرتس' الاسرائيلية الجمعة فإن ٩٠ طائرة مقاتلة ستعبر الاجواء باتجاه الحدود التركية - السورية، ترافقها جميع طائرات التزود بالوقود التي تمتلكها اسرائيل لتواصل طريقها باتجاه شمال العراق، ومن هناك الى ايران لتسقط قنابل زنة ٢ طن، واخرى تزن ٢٢٥٠ كغم على المنشآت النووية الايرانية، مدعومة بحوالي ٤٢ صاروخا 'ارض - ارض 'من طراز 'يريحو' تنطلق من الاراضي الاسرائيلية لتصيب اهدافها في ايران .

واستعرض التقرير الواقع في ١١٤ صفحة السيناريو المتوقع للهجوم الاسرائيلي المفترض على ايران والذي توقع بأن حدوثه لن يتجاوز نهاية العام الحالي .

وتوصل معدو التقرير 'توكان' و'غوردسمن' بعد تحليل كافة الخيارات الهجومية المتوفرة لدى اسرائيل الى نتيجة بأن هجوما جويا اسرائيليا ضد منشآت ايران النووية امر متوقع وممكن لكنه سيكون معقدا ويحمل في طياته مخاطر كبيرة على الصعيد التنفيذي، دون ان يضمن مستويات نجاح كبيرة لذلك يعتبر مثل هذا الهجوم خطرا بشكل لا مثيل له او لم يسبق اختباره.

واولى المشاكل التي اشار اليها التقرير المشكلة الاستخبارية وغياب المعلومات الاستخبارية حيث لا توجد معلومات حول احتمالية امتلاك ايران منشآت سرية لتخصيب اليورانيوم ما يعني بأن اسرائيل ستهاجم المواقع المعروفة كون الاستخبارات الغربية لا تمتلك معلومات عن وجود اماكن سرية ما يعني بقاء خطط ايران لتخصيب اليورانيوم في مواقعها السرية دون ضرر وتعمل بشكل عادي ما يعني فشلا للهجوم الاسرائيلي .

وطرح التقرير ثلاثة مسارات تحليق ممكنة ومتوقعة للطائرات الاسرائيلية مرجحا اختيار المسار الشمالي والمار على طول الحدود السورية - التركية ليخترق اقصى شمال شرق العراق وصولا الى ايران، ومستبعدا اختيار مسار تحليق مركزي وسطي وقصير يمر في الاجواء الاردنية تجنبا للتعقيدات السياسية مع الاردن وكذلك المسار الثالث الجنوبي والذي يمر ايضا فوق الاردن والمملكة السعودية والعراق وذلك لنفس اسباب استبعاد المسار المركزي.

وحسب التقرير سيلجأ سلاح الجو الاسرائيلي الى استخدام تكنولوجيا متقدمة جدا تمكن من اختراق منظومات الاتصالات واجهزة الرادار التابعة

للدول التي ستحلق فوقها طائرات F١٥ و F١٦لمنع اكتشافها وهي في طريقها الى ايران . وجاء في التقرير انه وحتى تتم مهاجمة المواقع الايرانية الثلاثة هناك حاجة لارسال ما لا يقل عن ٩٠ طائرة حربية ما يعني جميع طائرات E-١٥ Fالـ٢٥ التي تمتلكها اسرائيل اضافة الى ٦٥ طائرة C/I-F ١٦وجميع طائرات التزود بالوقود التي يمتلكها سلاح الجو الاسرائيلي وخمس طائرات هركوليس واربع طائرات بوينغ٧٠٧ ، وسيتم تزويد الطائرات المقاتلة بالوقود في طريق الذهاب وطريق العودة وسيجد سلاح الجو صعوبة كبيرة في ايجاد منطقة يمكن لطائرات التزود بالوقود التحليق فوقها دون ان يكتشف امرها على يد السوريين او الأتراك.
واشار التقرير الى طبيعة المنشأة النووية الايرانية في نطنز والمخفية عميقا في باطن الارض والتي اعتبرها احدى المشاكل التنفيذية العصية الى حد كبير على الحل، حيث اقيم جزء من المنشأة المتخصصة في تخصيب الوقود النووي على عمق ٨ امتار تحت الارض تغطيها طبقة من الباطون المسلح بسمك ٢,٥ متر، اضافة الى كون المنشاة ذاتها محمية بجدار اسمنتي آخر حيث قام الايرانيون عام ٢٠٠٤ بتعزيز التحصينات المحيطة بالجزء الآخر من المنشاة المذكورة والذي يحتوي على اجهزة الطرد المركزي حث قاموا بدفنه على عمق ٢٥ مترا تحت سطح الارض، اضافة الى تغطيته بسطح اسمنتي يصل سمكه الى عدة امتار ويعتبر هذا الجزء مركبا اساسيا وجوهريا من مركبات انتاج الاسلحة النووية وتدل التحصينات المكثفه على اهمية منشأة نطنز.
وليتغلب سلاح الجو الاسرائيلي على التحصينات الايرانية عليه ان يستخدم نوعين من القنابل من انتاج امريكي ترجح مصادر اجنبية ابتياع اسرائيل ٦٠٠ قذيفه منها.
وحملت هذه القذائف اسم 'مدمرة الخنادق والتحصينات' ويرمز لها بـ ٢٧ GBU- والتي تزن ٩٠٠ كغم وتخترق طبقة اسمنت بسماكة ٢,٤م، فيما يرمز للنوع الثاني بـ٢٨ GBUوتزن ٢٢٩٨ كغم وتستطيع اختراق طبقة اسمنتية بسماكة تصل الى ٦ امتار اضافة الى طبقة من الرمل والاتربة بسمك ٣٠ سم، وحتى يتم ذلك يتوجب على الطائرات الاسرائيلية اصابة الاهداف بدقة متناهية ومن زاوية صحيحة.
وحتى بهذه التجهيزات وفق التقرير لم تنته التحديات التي ستواجه الطائرات الاسرائيلية حيث اقامت ايران منظومة دفاع جوي كثيفة ستجعل امر وصول الطائرات الاسرائيلية الى اهدافها دون ان تصاب امرا صعبا، وتضم المنظومة الايرانية صواريخ من طراز هوك و ٥ - SA-٧, SA-٢ -SA، SA-١٥اضافة الى صواريخ ستينغر و ١٧٠٠ مدفع مضاد للطائرات جرى نصبها بالقرب من المنشآت النووية الايرانية، وذلك دون ان نغفل طائرات سلاح الجو الايراني التي قد تشترك في الدفاع عن سماء الجمهورية، ورغم ان الطائرات الايرانية تعتبر قديمة الا انه يجب عدم اغفال وجود ١٥٨ طائرة تحاول احباط الهجوم الاسرائيلي.
واشار التقرير الى انه يمكن اعتبار كافة الدفاعات الايرانية سابقة الذكر وكأنها غير موجودة او في درجة الصفر اذا ما قورنت بمنظومة الصواريخ الروسية ٣٠٠ SA-١٢ VS Giantالتي يعتقد بان ايران قد ابتاعتها سرا خلال الفترة الاخيرة، واذا صحت هذه المعلومات فان جميع حسابات سلاح الجو الاسرائيلي وجميع الاعتبارات سواء مع او ضد الهجوم على ايران ستتغير لان المنظومة الروسية متطورة جدا وحصينة امام اي تشويش وان نتيجة اي هجوم عليها ستكون تدمير ما بين ٢٠ ' ٣٠ - من القوة المهاجمة اي سيتم تدمير ما بين ٢٠-٣٠ طائرة اسرائيلية من مجموع الطائرات المهاجمة التسعين وهو ثمن لا يمكن لاسرائيل التسليم به.

وامتنع معدو التقرير عن التلميح لإمكانية استخدام اسرائيل للرؤوس النووية مشيرين الى ضرورة اطلاق ٤٢ صاروخا لتدمير الاهداف الايرانية الثلاثة على فرض ان جميع الصواريخ ستصيب اهدافها بدقة، وهذا امر صعب جدا حيث لا تكفي اصابة منطقة الهدف لتدميره ويجب اصابة مناطق محددة جدا في تلك الاهداف لا يزيد حجمها عن عدة امتار وهنا يثار الشك حول امكانية الاعتماد على دقة الصواريخ الاسرائيلية 'يريحو.'

اما على صعيد الرد الايراني فأشار معدو التقرير الى ان الايرانيين سيزيدون من عزمهم وقدراتهم على استكمال مشروعهم النووي حتى يتسنى لهم ايجاد قوة ردع موثوق بها امام عدوانية اسرائيل، وفي هذا السياق ستعلن ايران انسحابها من اتفاقية منع انتشار الاسلحة النووية (NPT) التي تسمح حاليا بمستوى معين من الرقابة على منشآتها النووية كما سيؤدي الهجوم الاسرائيلي الى وقف فوري وشامل لكافة الجهود الدولية الرامية الى الضغط على ايران لوقف تطوير السلاح النووي، وبكل تأكيد لن تكتفي ايران بهذا الرد وهناك امكانية للافتراض بها ستسعى لضرب اسرائيل مباشرة وهي قادرة على اطلاق صواريخ 'شهاب ٣' التي تغطي في مداها جميع الاراضي الاسرائيلية باتجاه اهداف داخل اسرائيل مع امكانية ان يحمل بعضها رؤسا حربية كيماوية.

واشار التقرير الى قدرة الايرانيين على مهاجمة وضرب المصالح الامريكية في المنطقة وعلى وجه الخصوص القوات الامريكية في دول الخليج مثل قطر والبحرين. وشدد التقرير على امكانية اقدام الايرانيين على عرقلة تصدير النفط من منطقة الخليج الى الغرب او التشويش على عملية التصدير.

القدس العربي

إيران خطر على من؟

راشد الغنوشي

تتصارع الدول في العالم، تتجمع تتفرق، تتحارب تتصالح، تصادق تعادي، كل ذلك بحسب ما تقدره من مصالح تستجلبها لشعوبها ومفاسد ومضارها تدرؤها عنها، ذلك ما هو مستقر من ثقافة سياسية تتحكم في سياسات الدول في عصرنا، وعلى أساس تحليلها والتعمق فيها يمكن الوقوف بجلاء على الموجّهات الحاكمة لهذه السياسة أو تلك من سياسة هذه الدولة أو تلك.

فهل تصلح هذه البداهة السياسية أساسا متينا للوقوف على سياسات الدول العربية تجاه إيران والمقاومة، ممثلة في سياسات النظام العربي الرسمي كما تعبر عنها الدول الأساسية مثل دول الخليج ومصر؟ وما هي هذه المصالح التي يمكن لهذه الدول أن تجتنيها لشعوبها أو الأخطار التي تدرؤها عنها من وراء هذه الحملات التعبوية التي لا يشترك فيها الإعلام الرسمي وحسب بل حتى الإعلام المعارض، ولا يشترك فيها السياسيون فقط، بل حتى قطاع من رجال الدين؟

ـ لكل دولة مصالح قومية عليا تتحدد في ضوئها جملة سياساتها مما يسمى أمنها القومي، بما يحفظ بقاءها وأمنها وتماسكها وجملة مصالحها في توفير العيش الكريم لشعبها. وتتحدد تلك المقومات تحديدا موضوعيا مرعيا فيه قبل كل شيء مصلحة المحكومين الحاضرين والقادمين وليس فقط الحاكمين، تحديدا يضبط بدقة الأخطار المتربصة بتلك المصالح العليا، على موارد عيش الناس الأساسية وعلى سيادتهم على أرضهم، ويعني ذلك وقبل كل شيء التحديد الدقيق للعدو.

وإذا كان هناك أكثر من عدو متربص فلا مناص من تحديد الأشد خطرا منهم، لأنه في ضوء ذلك يتم ضبط جملة سياسات الدولة وخياراتها العسكرية والاقتصادية والثقافية والإعلامية وكذا جملة تحالفاتها وعلائقها الخارجية، وهو ما يجعل أمر تحديد العدو المباشر مهمّا جدا في ضبط سياسات الدول وضبط عقيدتها العسكرية التي تربّي عليها جيوشها، وتحكم وفقها أجهزتها وخططها الأمنية، بما يقتضي ضرورة أن لا تستقل فئة من شعب الدولة بالتقرير في مسألة من هو العدو الأخطر المتربص بمقومات حياة هذه الدولة أو تلك: مصرية أو سعودية أو؟ وإنما يتم وفق تشاور موسع إذا كان في الأمر غموضا، أو ترجمة موضوعية أمينة لاتجاه الرأي العام أي للإجماع.

فهل ما هو بادٍ سافر من اتخاذ إيران عدوا أول من قبل أكثر من دولة عربية وخليجية قرار مسؤول وحكيم يعبر عن إجماع أو رأي عام غالب، وجاء ثمرة لشورى موسعة وتوافقت عليه النخبة في دولة من الدول المنعوتة بالاعتدال؟ الواضح البين أن شيئا من ذلك لم يحدث؟

٢ـ الحديث هنا إنما هو عن أمن هذه الدولة أو تلك، وذلك من قبيل التسليم الجدلي بأن أمن دولة قطرية من دولنا أمر خاص بحكامها أو حتى بأهلها، بما يجعل تناوله من قبل غير مواطني تلك الدولة من أبناء أمة العرب والمسلمين من قبيل التطفل وحشر الأنوف في متاع الآخرين، فأهل مكة أدرى بشعابها، بينما الرأي العام في الأمة لا يسلّم بذلك، بسبب ثقافته الوحدوية الراسخة التي نشأ عليها والتي تجعل أمن كل قطر جزءا من أمن الأمة، مؤثرا فيها وبها إيجابا أو سلبا.

وتجربة التاريخ شاهدة على أن الأعداء الذين استهدفوها كانوا يشملون أقطارها بمخطط واحد، كما أن التجربة المعاصرة مع العدو الصهيوني أثبتت أن خطة تحييد مصر في كارثة كامب ديفد استهدفت الاستفراد بالبقية والإيقاع بهم الواحدة بعد الأخرى، انتهاء بتهديد أمن مصر ذاتها بعزلها عن محيطها وتجريدها من عمقها وموالاة الضغط عليها حتى تنفجر.

الأمة كما عبر عنها مؤسسها رسول الله صلى

الله صلى الله عليه وسلم -وليس كما يروج إعلام السحرة- كالجسد الواحد، ومصر في القلب منه، ينهض بنهوضها ويتشرذم ويستبد به الوهن في غيابها، ولا تتحقق مصالحها العليا في العيش الكريم وفي تبوّؤ موقع القيادة والريادة إلا وهي جوهرة العقد. نعم أهل مكة أدرى بشعابها وربما غوغل أدرى في أيامنا، أقصى ما يمكن قبوله في هذا الصدد أن مصر للمصريين، أولا وليس آخرا، وكذا بقية الأقطار.

٣- ثم إن أهل مكة أنفسهم، أي مواطني تلك الدولة لم يستشرهم أحد يوم أن قرر حاكم فرد -مغيّبا بالقوة الغاشمة مواطنيه- الاستفراد بتقرير مصير شعب وأمة، إذ عقد أخطر معاهدة صلح في حياة العرب والمسلمين المعاصرين، بينهم وبين عدو أسس وجوده على تمزيق كيان هذه الأمة وإجهاض كل مشاريع نهوضها

وتوحدها عبر الاستيطان وحروب الإبادة واقتراف المجازر لإخلاء الأرض من سكانها.

وليست الأرض المستهدفة عنده تقتصر على فلسطين كل فلسطين وفيها ثالث مقدسات المسلمين ومنهم شعب مصر الأبي، لأنه أقام دولة بحدود مفتوحة تتسع بقدر امتداد أذرع قوته وبطشه، ولا تزال مؤسساته الرسمية تحمل الوعد التوراتي المزعوم "أرضك يا إسرائيل من النيل إلى الفرات" لم يطالبه أحد بمحوه، كما طالب هو منظمة التحرير بالتخلي عن ميثاقها.

كما لا يزال كل شيء في دولة الاحتلال يتمحور حول أسطورة بناء الهيكل على أنقاض الأقصى المبارك. ولا يزال أكثر من ٢٠٠ رأس نووي تجثم فوق أقرب نقطة من أرض مصر موجهة إلى مدنها ومصالحها الحيوية وإلى السد العالي، كما هي موجهة إلى كل العواصم العربية والإسلامية الأساسية. ولو كان في حكام العرب ومصر أساسا ذرة من غيرة على الأمن القومي لبلدانهم، ما طابت لهم لحظة إغفاءة إلا وأعينهم مفتحة.

- إن ضخامة الحملة الضارية التي يتعرض لها حزب الله وإيران وقوى المقاومة من وراء ذلك، بذريعة تهديد حزب الله الأمن القومي لمصر انطلاقا من ضبط خلية تعمل لمساعدة المقاومة الفلسطينية، قد تجاوزت كل الحدود المعقولة للتعامل مع حركة مقاومة نذرت نفسها -كما تشهد سيرتها- على تفرغها لعمل المقاومة، ولم يثبت عليها دخول في نزاع مع أي نظام.

ويكفي للتدليل على ذلك المقارنة بين خلايا التجسس الإسرائيلي المبثوثة في مصر والتي ضبط الأمن شبكات منها أكثر من مرة فاكتفى بإحالتها على القضاء ونشر خبرا عنها، دون أن يتخذ من ذلك منطلقا لحملة شاملة ضد الكيان الصهيوني وكل حلفائه كما يفعل اليوم مع قوى المقاومة جماعات ودولا، بمناسبة ضبطه لخلية تعمل في مساندة المقاومة الفلسطينية، بما له دلالة واضحة على:

أ- وجود نية مبيتة لاستهداف هذه الأطراف: حزب الله وحماس وإيران والإخوان وقطر وسوريا، بنوع من الثار الصغير مما تعرض له النظام المصري خلال أيام غزة العصيبة من ضغوط هائلة، بسبب إصراره على إغلاق معبر رفح إسهاما في خنق ١,٥ مليون نسمة من جيرانه.

ب- والأخطر من ذلك انقلاب الموازين رأسا على عقب في التعامل بين قوى المقاومة والاحتلال، فبدل أن يكون التشهير بالاختراق الصهيوني باعتباره الخطر الحقيقي المهدد للأمن القومي المصري، كان التشهير والتهديد من نصيب المقاومة.

دلالته واضحة أن المقاومة -وليس إسرائيل- هي العدو الأعظم، أكد ذلك ما ظهر -خلال حرب يوليو/تموز على لبنان أو خلال الحرب على غزة- من تصريحات لمسؤولين في دول "الاعتدال" ومن توجهات لإعلامها متناغمة تماما مع الإعلام الصهيوني، حتى لكأن آلة الدمار الصهيوني كانت تحقق أهدافا عربية في التخلص من عدو مشترك، وهو ما عبر عنه بارتياح أكثر من مسؤول ومعلق صهيوني. ولم يستطع الثعلب رأس الكيان الصهيوني ذاته أن يكتم فرحته العارمة فهلل للحملة التي تشنها مصر.

مصر.
معنى ذلك أن كامب ديفد لم تكن مجرد معاهدة أوقفت الحرب بين دولتين، بل هي أكبر من ذلك بكثير إذ أسست بدعم أميركي ورشى أميركية لأكثر من ذلك، أسست لمشروع شراكة بين الطرفين، شراكة أمنية وثقافية واقتصادية.. لم تحدّ منها غير أصالة الشعب المصري ورفضه لهذا المشروع الخطير الذي فرض عليه بالحديد والنار، بينما لا يزال أكثر من ٩٠% من المصريين كإخوانهم من العرب والمسلمينصهيوني. ولم يستطع الثعلب رأس الكيان الصهيوني ذاته أن يكتم فرحته العارمة فهلل للحملة التي ، بل حتى أغلبية الأوروبيين يرون أن إسرائيل عدو الأمة وليس غيرها، ومفهوم أن نفس النسبة ترنو إلى المقاومة بعين الأمل والإعجاب بعدما نفضت يدها من الجيوش. نحو ٩٥% من الأوروبيين يرون في إسرائيل الخطر الأكبر على السلام العالمي، فكم هي هذه النسبة عند الحكام العرب؟

٥- هل هناك وجه مقبول للنظر إلى إيران بدل إسرائيل على أنها الخطر الرئيسي المهدد للأمن العربي، أي أنها العدو الإستراتيجي؟

أ- تجدر الملاحظة أن إيران رغم أنها كانت زمن نظام الشاه قوة إقليمية عظمى وسيفا مسلطا على رقاب المنطقة حتى احتلت جزرا إماراتية، وكان مقتضى الجوار ومصلحة إيران الإسلام ذاتها أن ترد تلك الجزر إلى الإمارات، ومع ذلك فإنه لا أحد من الإماراتيين ولا العرب حرك ساكنا، بل كانت إيران الشاه شرطي الخليج دولة مقبولة جدا في الخليج، لم يزعج أحدا، لا توسعها ولا قوة جيشها المرعب ولا قوة النفوذ الصهيوني والغربي فيها ولا حتى طموحها النووي الذي شرعت فيه، فما الجديد حتى يتمّ تقديمها لشعوبنا ليس مجرد عدو بل العدو، فترفع عداوتها إلى القمة؟

ب- هل الجديد هو تشيعها؟ كلا فإيران الشاه كانت شيعية أيضا -ولكن على الخفيف- بنفس القدر وربما بنفس مستوى التركيز لسنّية دول العرب الحالية.

. معنى ذلك أن الثورة رفعت درجة تشيّع إيران فحوّلته إلى عقيدة للدولة، مع أن إيران تبقى في المحصلة دولة، بمعنى لها مصالحها القومية التي قد تتبادل النفع مع المذهب الشيعي وقد تفترق عنه، كما حصل في النزاع بين أذربيجان الشيعية وأرمينيا المسيحية، فاقتضت مصلحة الدولة الوقوف إلى جانب الأخيرة، فضلا عن أن التشيع كالتسنن ليس واحدا، والصراع على أشده في إيران وخارجها بين جماعات شيعية حول فهوم مختلفة ومصالح متضاربة.

ولأن التشيع بمفهوم محدد قد غدا عقيدة لدولة لا يستبعد أن تجعل من نشره ودعم جماعاته -حتى وسط المذاهب السنية للإفادة من ذلك- عملا مبرمجا من أعمالها، على غرار الملحقيات الثقافية للدول الأخرى، فهل هذا هو ما يزعج الرؤساء والملوك من إيران؟ هل بلغت غيرتهم على المذاهب السنية إلى هذا الحد وهم في صراع مرير مع دعاتها؟ وما الذي حال بينهم وبين منافسة إيران وهم الأوفر منها عددا وإمكانات؟ مع أننا لا نزال على أتم اليقين من أن التبشير لمذهب إسلامي في جمهور مذهب آخر صناعة خاسرة، الجهد المبذول لإخراج مسلم من غرفة يقيم فيها داخل دار الإسلام إلى غرفة أخرى في الدار نفسها مضيعة للجهد ومضارة لعلاقات الإخوة، بينما يظل خارج دار الإسلام أربعة أخماس البشرية وهم الأولى أن تنفق في هدايتهم الجهود. الأرجح أنه لم يبق من عمر الزمن ما يكفي لتحويل مذهب إلى آخر.

ت- هل المزعج في إيران أنها قدمت الدعم لحزب الله وللمقاومة الفلسطينيةوهما فصيلان عربيان والدول العربية أولى بذلك؟ فلتفعل. ما الذي منع الدول العربية من ذلك وأموالها لا تكاد تحصى وفرة، وكثير منها ذهب هدرا أو أنفق في تمويل سندات الخزائن الغربية المهددة، لو أنفق منها ١% فقط على المقاومة لسد الباب في وجه النفوذ الإيراني أو الشيعي. لم لم تفعلوا؟ هل قرار ذلك ليس بأيديكم؟ أم أنكم لا تريدون؟ على أي حال لا تجرّموا -في الأقل- من يملك القرار

والإرادة، حتى لا يكون حالكم حال من يقول: لا أرحمك ولا أريد لرحمة الله أن تصيبك.

ث- هل مبعث العداء لإيران أو الخوف منها هو الخشية من تطوير برنامجها النووي في اتجاه عسكري؟ رغم أن إيران ما تفتأ تؤكد التزامها بالاستعمال السلمي المسموح به دوليا، ورغم أن هذا الموضوع متابع من أقوى المجاهر والصقور الدولية بما يكفيكم مؤونة القلق، وعلى افتراض أن إيران تناور، وقادرة على خداع الجميع، فما الذي يزعجكم من ذلك؟ واضح أن أشد الجهات قلقا هو الكيان الصهيوني، فما وجه مشاركتكم له في القلق، بينما لا تبدون قلقا مماثلا من امتلاك الكيان الصهيوني مئات الأسلحة النووية؟

وعلى فرض أنكم لا ترتاحون لجار آخر نووي مع أن الأقرب إلى المعقول أن ذلك من شأنه أن يصنع توازنا، وهو ما يرفضه بكل شدة الصهاينة حرصا منهم على الانفراد بهذا التفوق باعتباره رأسمالهم الأعظم.. على فرض أنكم لا ترتاحون لجار آخر نووي، فما الذي يحول دونكم وهذا الطموح وأنتم أولى به للدفاع عن أنفسكم وأنتم تمسون وتصبحون والتهديد فوق رؤوسكم من قبل من لا يتردد في التصريح مهددا بضرب السد العالي بقنبلة؟ فلم الخوف من إيران وحدها؟

ج- لم يبق غير الترجيح أن هذه المخاوف مصطنعة لإخفاء القضية الأصلية قضية المقاومة التي أجمع النظام العربي على الإجهاز عليها خضوعا للإملاءات الدولية، بما يجعلها والدول والحركات المساندة لها محل استهداف ومدرجة في أولويات هذه الأنظمة على رأس قائمة الأعداء، بينما عدو الأمة السافر ومن والاه ليسوا في عداد الدول الصديقة والشقيقة فحسب وإنما الحليفة أيضا.

والسؤال يبقى: متى سنرى بيريز يترأس الجامعة العربية إذا استمرت الأوضاع على ما هي عليه؟ وماذا تراكم فاعلون مع شراكتكم للكيان الصهيوني إذا أصبحتم وقد هدم الأقصى؟ وهل تحسبون أن سياسات التحريض على المقاومة وعلى حلفائها -ومنهم إيران- سترفع من قدركم في ميزان القوى الدولية، في عالم لا يحترم حكومات ضعيفة مبغوضة من شعوبها في حين تحظى الحكومات المنتخبة والقوية بالمزيد من الاحترام والرغبة في الحوار والتصالح معها؟ أو تحسبون أن حملاتكم، اتهاما بدعم المقاومة ولو من دون استئذان أحد -معلوم أنه لن يأذن- ستنال ممن أقدم على ذلك الدعم، أم الأحرى أنها في عين الناس وسام شرف؟

قال تعالى ".. وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب" (المائدة، الآية: ٣)

المصدر الجزيرة

الأزمة الدولية وأسعار النفط

مروان اسكندر

خلال الشهر المنصرم تحسّنت أسعار أسهم الكثير من الشركات في الاسواق المالية الدولية واسواق الخليج بما يوازي نسبة ٨ في المئة تقريبا، وفي لبنان تحسّن سعر سهم شركة سوليدير بنسبة تراوح بين ١٢ و١٤ في المئة، كما تحسّنت اسعار اسهم المصارف وإن بنسبة أدنى. وصدرت تصريحات مختلفة في أوروبا الغربية والولايات المتحدة عن بصيص نور بدأ يلوّن التوقعات المستقبلية، وان العالم ربما بدأ يتخلص من ازمته الاقتصادية قبل انجلاء آثار الازمة العالمية المصرفية والنقدية. وعزز الانطباع عن الخروج التدريجي من ازمة الانتاج تدريجاً، زيادة الهند والصين انتاجهما من البضائع وحتى الخدمات، وخصوصاً بالنسبة الى الهند.

في مقابل هذه التطورات الايجابية نوعاً ما برزت مؤشرات تنذر بتفاقم الازمة الدولية وتوسع تأثيراتها السلبية، من اهمها وضع الديون المتعلقة بحاجات بطاقات الاعتماد. ومن المعلوم ان المصارف كانت ترحّب بتأخر الزبائن في تسديد فواتيرهم الشهرية لانها تتقاضى فوائد بنسبة ١٨ في المئة سنويا عن ايام التأخير عن التسديد، ومتوسط التأخير في الولايات المتحدة يوازي شهرين. وكان الرئيس باراك أوباما قد عنّف المصارف لتشجيعها أصحاب البطاقات على تأخير تسديد استحقاقاتهم، وخصوصاً على الفوائد المرتفعة التي ساهمت بدورها في ارتفاع حجم الدين المسجّل مصرفياً على المجتمع. وبلغ مستوى هذا الدين في الولايات المتحدة، وهذه المبالغ لا تشمل ديون الدولة أو الشركات انما ديون الافراد والعائلات فقط، نسبة ٢٩٠ في المئة من الدخل القومي أي ما يوازي ٣٨ تريليون دولار منها على الاقل خمسة تريليون دولار حسابات متأخرة تعود الى مشتريات ببطاقات الاعتماد مما يفرض مشكلة في حاجة الى حل .

والى هذه النار تحت رماد الازمة العالمية، أظهرت احصاءات منظمة التعاون والانماء الاقتصادي التي تضم أعضاء من جميع الدول الصناعية الاوروبية وبلدان شمال اميركا واليابان، وايضا تركيا، ان تقلّص حجم الدخل القومي في أوروبا الغربية سيكون على مستوى انخفاض بنسبة ٤ في المئة لا ١،٥ فقط كما كانت تشير تقديرات المصرف المركزي الاوروبي. وسيرتفع عدد العاطلين عن العمل الى نسبة ١١،٥ - ١٢ في المئة، وهذه نسبة بالغة الارتفاع ستؤدي، مع البرامج التحفيزية للانفاق، الى تجاوز الدول الاوروبية نسب العجز في الموازنة وبالمقارنة مع الدخل القومي المفترضة في اتفاق ماستريشت على مستوى ٣ في المئة للمقياسين الاستنتاج الواضح للسياسات المستقبلية بالنسبة الى العائلات والأفراد هي ان عليهم ضبط انفاقهم وتحقيق بعض الوفر للاستثمار في الايام الآتية إن أمكن. وهذه النتيجة الحتمية للتطورات الدولية تفيد أو تبيّن الذي ربح، أو من خسر في الازمة الدولية الحالية. فالكثيرون يتساءلون: اذا كانت هناك خسائر بآلاف آلاف المليارات من الدولار، فمن هم الذين حققوا الارباح؟ وأين ذهبت هذه المليارات؟ سؤال شرعي ووجيه، والجواب عنه واضح الى حد بعيد.

ان الذين حققوا الارباح الطائلة هم بصورة خاصة العاملون في القطاعات المالية ممن ادمنوا تحصيل مئات الآلاف والملايين من الدولارات من المداخيل والعلاوات سنوياً، وأسرفوا في الانفاق على الطائرات الخاصة، والسيارات الفخمة، والساعات المبهرجة، والفنادق اللامعة، واللوحات الفنية، والمجوهرات والمطاعم الشهيرة، ومحترفات توفير اللذة، الخ. وهؤلاء بالطبع، وإن كانوا يحصلون عبر شركاتهم على ٣٠ الى ٤٠ في المئة من ارباح الشركات العاملة في الولايات المتحدة، وبريطانيا، وسويسرا، وهونغ كونغ، لا يشكلون نسبة كافية للإجابة عن السؤال:

من الرابح؟ ويبقى المستهلك الاميركي . المستهلك الاميركي انفق على شراء المنتجات الاستهلاكية وشراء المنازل والاسفار اكثر بكثير مما يسمح معدل دخله، اذا شاء احتساب نسبة ولو بسيطة للادخار من أجل الوقاية المستقبلية. هذا المستهلك، خلال السنين العشر الاخيرة، أي السنتين الاخيرتين من عهد كلينتون وسنوات حكم جورج بوش الابن، استفاد من الانخفاض المستمر في اسعار الفائدة .ذلك ان حاكم المصرف المركزي الاميركي حينذاك آلان غرينسبان كان يخفّض معدلات الحسم ويقول إن زيادة الانتاجية ستمنع التضخم على رغم تزايد السيولة. وهكذا أنفق الاميركيون أكثر بكثير مما حققوا من مداخيل اعمالهم، وكان ذلك على حساب تدفق الاموال للاستثمار في اسهم الشركات الأميركية، والمنتجات المركبة، وسندات الدولة، والسندات العقارية.الازمة العالمية بخّرت لاحتياطات النقدية للافراد من اميركيين، واوروبيين، وعرب، وأفارقة أو آسيويين، في انخفاض اسعار الاسهم والعقارات في الولايات المتحدة وبريطانيا واسواق البلدان الصناعية عموماً. والمستفيد بصورة خاصة كان المستهلك الاميركي بصورة خاصة الذي كان مديناً بـ ٣٨ تريليون دولار لن يسدد منها إلا جزءاً لن يتجاوز النصف، فتكون خسارة العالم لحساب المستهلك الاميركي نحو ١٩ تريليون دولار أي ما يوازي دخل أوروبا الغربية والصين مدى سنة كاملة ونتج من الازمة العالمية انحسار الطلب على شراء السيارات مما تسبب بتعرض غالبية الشركات العالمية المعروفة في هذا المجال من الانتاج لمصاعب جمة لا زالت مستمرة. كما انخفضت اعداد السياح، وشاغلي الفنادق. وحلت نزعة نحو التوفير في اقتصاد الطاقة سواء للنقل والانتقال، أو الانارة، او تشغيل الحواسيب، أو التبريد، الخ .ومما عزز هذه التوجهات تحسس مشاكل البيئة والادراك ان الاحتباس الحراري يعود في جزء غير بسيط منه الى عوادم السيارات والشاحنات .

وفي تموز ٢٠٠٨ انخفض سعر النفط من ١٤٧ دولاراً البرميل الى ما دون ٥٠ دولاراً في نهاية السنة، وبلغ السعر خلال شهر كانون الثاني ٢٠٠٩ ٣٥ دولاراً البرميل. وبدأت التقديرات تشير الى ان السعر سينخفض الى ما دون ٣٠ دولاراً، وتالياً فان الدول العربية النفطية ستواجه ضرورات الاستعانة بالمال المتكون لديها من الصناديق السيادية، علما بان بعض هذا المال تبخّر مع مؤسسات أميركية أفلست او كادت مثل "سيتي غروب" و"ليمان براذرز" و"ميريل لينش"، الخ .وتركّز الانتباه على امارة دبي التي كانت الاكثر تعولماً في الخليج والاقل اعتماداً على موارد النفط، علما بان قطاعات السياحة في دبي اضافة الى التطوير العقاري تعتمد الى حد بعيد على مداخيل النفط وشركات الانفاق المرافقة لها".أسعار النفط الى انحدار مستمر"، هكذا قال من كانوا يؤكدون في تموز ٢٠٠٨ ان اسعار النفط ستكون على مستوى ٢٠٠ دولاراً البرميل في ٢٠٠٩. والقيمون الباحثون عن مصلحة الاقتصاد العالمي والدول النفطية، واخصها الدول العربية وروسيا وايران ونروج ودول بحر قزوين، كانوا يقولون إن السعر المناسب للنفط، المادة الناضبة والتي سيؤدي انتاجها مع الوقت الى فقدانها كلياً، هو على مستوى ٦٠ – ٧٠ دولاراً البرميل، وهذا كان الاستهداف الذي أعلنه العاهل السعودي.في نهاية الاسبوع المنصرم كانت أسعار النفط على مستوى ٥٨ دولاراً البرميل. ومعلوم ان فصل الصيف يزيد الطلب على مشتقات النفط الخفيفة لانه فصل العطلات والتنقلات، وعلى الغالب سيكون متوسط سعر النفط طوال السنة بين ٥٥ و٦٥ دولاراً البرميل، أي بتحسّن عن مستوى السعر في كانون الثاني نسبته ٤٠ – ٥٠ في المئة.

ان تحسّن سعر النفط الى المستوى المشار اليه سيزيل المخاوف على الاوضاع المالية للدول النفطية الرئيسية ويعزز الاندفاع نحو تعاون أوثق بين روسيا ودول" اوبيك" من جهة،

وروسيا ودول بحر قزوين المنتجة للنفط والغاز وأهمها ايران واذربيجان وتركمانستان وقازقستان، وأي تعاون بين هذه الدول لا بد ان يرتبط استراتيجياً بتركيا لان موقعها الجغرافي بالغ الاهمية بالنسبة الى تسليمات الغاز والنفط في أوروبا.لا شك في ان ثمة اقتصاداً عالمياً يتكوّن ببطء ويعتمد الى حد أبعد على تطور التعاون الاقليمي بين دول أوروبا، وبين الصين والهند واليابان ودول شرق آسيا، ودول شمال أميركا، والدول النفطية الشرق الاوسطية وروسيا وتركيا، وهذا التوجّه لا يعني الانغلاق. فانغلاق الاسواق بعضها على البعض فيه ضرر اكيد، والتعاون الاقليمي بدل العولمة الشاملة يفيد بالتأكيد لان العالم لن يكون مستعداً لتمكين الاميركيين من الاسراف على حسابه مستقبلاً ومواجهة ازمة عالمية أخرى بعد عشر سنين قد تكون أقسى وأعتى.

المصدر: صحيفة النهار اللبنانية

ألف وجه لألف عام – «الجمهور ومشكلاته» لجون ديوي: سجال أميركي حول فخ الديموقراطية الجماهيرية

ابراهيم العريس

هناك من الناس مَنْ إذا رأى الجموع محتشدة في ساحة تصغي وهي على حماسة مدهشة لخطب الخطباء، يشعر بفرح كبير، لمرأى هذه الكتل البشرية متراصة الصفوف رافعة أيديها، صارخة مزمجرة، ويقول: هكذا هو إذاً عصر الجماهير. وهناك من الناس مَنْ إذا رأى المشهد نفسه، من وجهة نظر أخرى فزع وتساءل: ترى، أي شيء يمكن أن يدور في أذهان هذه الكتل. وأي فكر يمكن أن يكون مختمراً ها هنا. وهذا الفريق الأخير، لا شك تذكّره تلك المشاهد بعصور الفاشية والزعامات الكاريزمية، وما الى ذلك، فيفكر ملياً وهو يتساءل، مستخلصاً عبر التاريخ، وتاريخ القرن العشرين بالذات، عما انتجته مثل تلك التجمعات، وعما كان من شأن هذه الكتل حين محت فرديتها أمام هيجان الجميع، ويخلص في النهاية الى ان ما يمكن أن نسميه تلاعباً بعقول الجمع، إنما ينشأ ها هنا، في مثل هذه التجمعات وفي مثل هذه الأمكنة. طبعاً لكل من الفريقين وجهة نظره التي يراها منطقية، ولكل منهما محاججاته. وثمة في تاريخ الأفكار، وفي تاريخ السياسة أيضاً، نقاشات صاخبة أحياناً، عميقة في أحيان أخرى حول مثل هذه الأمور. كما أن ثمة في تاريخ الفلسفة نصوصاً تعرض الموضوع من دون أن تحاول أن تطلع منه بأحكام معممة. على هذا النمط الأخير، يمكن الحديث عن كتاب الياس كانيتي «الجمع والسلطة» حيث يعرض في فصول متعاقبة، حالات جماهيرية جمعية، لا شك في أن كل حال منها يؤدي الى ولادة فاشية ما، أو تعزيزها. أما بالنسبة الى السجالات الشهيرة في القرن العشرين، حول مثل هذه الأمور، فلدينا ذلك النقاش الذى ساد، أواسط عشرينات القرن العشرين بين الكاتبين الأميركيين، الصحافي والتر ليبمان، والفيلسوف جون ديوي. وهو نقاش دار أصلاً من حول كتابين كان ليبمان أصدرهما تباعاً عام ١٩٢٢ ثم عام ١٩٢٥، معلناً فيهما عداءه لفكرة الجمهور، أو الجمع. بل حتى معلناً في ثانيهما أن الجمهور فكرة شبحية لا وجود لها، بل هي اختراع سياسي يصنعه التلاعب بالأفكار، والفاشيات في شكل عام. والحقيقة ان ليبمان حين وضع الكتاب الأول «رأي الجمهور» (أو الرأي العام إذا شئتم)، ثم ألحقه بالثاني الذي عنونه تحديداً «الجمهور الشبح» انما كان يستند الى رصده الميداني للطريقة التي جرى فيها التلاعب بالجمهور ابان الحرب العالمية الأولى، ثم حشد هذا الجمهور، في ايطاليا بخاصة، من جانب فاشيي موسوليني. بالنسبة الى ليبمان، هذا الجمهور ليس له وجود حقيقي، انه شبح تم اختراعه، ومن هنا فإن أي شيء يقدم عليه هذا الجمهور - الشبح، بما في ذلك ممارسة اللعبة الديموقراطية، لا يمكن إلا أن يكون خدعة كاملة، ان جمهوراً مجمّعاً ومتلاعباً به من هذا النوع، جمهوراً يصغي بكل ايمان الى ما يقوله له زعيمه فيصدقه من دون أي نقد أو تمحيص، انما هو جمهور يجعل من نفسه بوقاً لما يفكر فيه ويراه هذا الزعيم، سواء كان هذا الزعيم ديكتاتوراً، أم حاكماً، أم حزباً، أم حتى سلطة منتخبة على تلك الطريقة «الديموقراطية» من جمهور ليس للديموقراطية الحقيقية مكان في حياته.

> حين أصدر ليبمان كتابه الثاني «الجمهور الشبح» إذاً، ثارت عاصفة من النقد والاستنكار في وجهه. وقد أتى النقد يومها من اليمين ومن اليسار، ذلك ان الفريقين، على اختلافهما وخلافهما، كانا - ولا يزالان - من النوع الذي يرى في الجماهير سلاحه المطلق ورافعته الأساسية. وقد كان جون ديوي، الفيلسوف الأميركي البراغماتي، وصاحب الكتب المهمة في نظريات التربية، وفي الديموقراطية وعلم الجمال، فى طليعة الذين تصدوا لنقد - انما ليس،

، مثل الآخرين، لنقض - نظرية ليبمان. ففي كتابه «الجمهور ومشكلاته» الذي صدر عام ١٨٢٧، وكتب أصلاً كرد مباشر على أطروحات ليبمان، لا يرفض ديوي نظريات هذا الأخير بصورة كلية، بل يحاول أن يتعمق في الموضوع، قائلاً انه إذا كان الوضع على الشكل الذي يصفه به، ليبمان وأمثاله، عن حق، فإن الذنب ليس ذنب الجمهور الذي لا شك انه - في حقيقة أمره - موجود، لكنه شبه غائب في غسق يلهيه عن الاهتمام الحقيقي بشؤونه. الذنب، بالنسبة الى ديوي هو ذنب القوى الاجتماعية، من سياسية وغير سياسية، التي - من دون أن تلغي الجمهور محولة إياه الى شبح - تغيّبه عن ذاته مبعدة إياه عن مصالحه، لمصلحة مصالحها الخاصة، منسية إياه احتياجاته ومطالبه، لمصلحة احتياجاتها ومطالبها. فيصبح هذا الجمهور مدافعاً عن مواقف تلك القوى، التي غالباً ما تكون قوى سلطوية، أو ساعية الى الوصول الى السلطة (معارضة)، كما يدافع عن مصالحها حتى وإن كانت هذه المصالح على تناقض كلي مع مصالحها. ومن هنا، يقول ديوي، حين يحل موسم الانتخابات «الديموقراطية» - أو التي يجب أن تكون، من ناحية مبدئية، ديموقراطية -، يجد الشعب نفسه منقاداً، بفعل لعبة التلاعب والتضليل، لإعطاء صوته «ديموقراطياً»، الى قوى متلاعبة، تستطيع في التجمعات الجماهيرية الضخمة أن «تقنعه» بأن عليه أن يصوت لها، لأن في ذلك مصلحته!

> واضح هنا ان جون ديوي يصل الى النقطة الأساس بأفضل مما يفعل ليبمان. حيث اننا لو قلّبنا النظر في ما يحدث في أيامنا هذه من حولنا في كل يوم - ولنأخذ مثالاً لنا هنا، الانتخابات النيابية والمواقف السياسية في لبنان هذه الأيام بالذات - لرأينا كم ان ما يقوله ديوي، يبدو وكأنه يصف حرفياً ما نعيشه كل يوم، من تفاوت بين موقف «الجمهور» ومصالحه الخاصة. وكيف أنه - بفاشية معلنة أو من دونها - يخضع تماماً لمن يتلاعبون به. وكأنه يعطي مثالاً يومياً على أبيات الشعر التي كتبها أحمد شوقي بكل حذق في مسرحيته «مصرع كليوباترا»، حيث تقول إحدى الشخصيات مشيرة الى صخب الجمهور وإذعانه أمام الخطابات الحماسية المتلاعبة: «اسمع الشعب ديون/ كيف يوحون اليه. ملأ الجو هتافاً/ بحياتي قاتليه. يا له من ببغاء/ عقله في أذنيه». بالنسبة الى جون ديوي إذاً، ليس الجمهور شبحاً. بل هو الأداة التي يتم تدجينها والتلاعب بها، كي تحقق «ديموقراطياً» ما تريد منها القوى السياسية أن تحقق. وعلى هذا الواقع الذي يصفه يضيف جون ديوي، استناداً هذه المرة وفي شكل مباشر الى تجربته الأميركية، ان هذا التلاعب بالجمهور، لا يأتي صدفة وكيفما اتفق، بل هو تلاعب يلعب الدور الأساس فيه إلهاء الجمهور - وهنا يفضل ديوي أن يعود الى كلمة الشعب مستعملاً إياها بدل كلمة الجمهور -، عن السياسة، بحيث يصبح الفعل السياسي الوحيد الذي يمارسه هذا الجمهور هو الاستماع الى الزعيم واتباع رغباته، حتى في صناديق الاقتراع. وهذا الإلهاء يتم من طريق الإعلام، حيث يكون هذا الإعلام قد ضخ في الرؤوس ما شاء له الهوى من أفكار و «حقائق» ليست في حقيقة أمرها سوى أضاليل تفبرك من أساسها لأبلسة الخصم، وتأليه الزعيم أو الحزب أو الموقف. ويرى ديوي أن هذا الأمر بات أكثر سهولة بكثير في القرن العشرين، قرن الاتصالات وجماهيرية الفنون والإعلام... حيث صار في وسع الانتشار الجماهيري للفنون من طريق الانتاج الممكنن (وهي أطروحة سيعود اليها لاحقاً، وانما من منظور آخر، الفيلسوف والتر بنجامين في دراسة شهيرة له حول مصير الفنون في زمن الانتاج المكثف الممكنن) إلهاء الجمهور العريض وإبعاده من السياسة التي لا يعود يستهويه منها سوى ما هو محلي يلامس عن كثب مصالحه اليومية المباشرة (الانتخابات البلدية مثلاً)، تاركاً السياسيات الكبرى للقوى التي تتلاعب به. ولئن كان ديوي، خلال الربع الأول من القرن العشرين قد توقع ان انتشار الإعلام الجماهيري على نطاق

واسع سيقلب المعادلة ليزيد من اهتمام الجمهور بالسياسات الكبرى، وقدرته على تكوين آرائه الخاصة بنفسه، فإننا نعرف الآن ان هذا لم يتحقق، إذ بقدر ما يزداد انتشار الإعلام وقوته، يزداد التضليل المعمم والتلاعب بالجمهور.
> طبعاً، عدا عن هذا التوقع الذي لم يتحقق، تبقى لدراسة جون ديوي (١٨٥٩ - ١٩٥٢) قوتها وصدقيتها، حيث ان كل يوم يمر، تأتي الأحداث والظروف لتؤكد صوابية حديثه عن «وجود الجمهور» و «تغييبه عن طريق التلاعب والتضليل»، على الضد من حديث والتر ليبمان عن شبحية الجمهور وعدم وجوده. الحقيقة أن المرء، أمام منظر الجماهير الصاخبة، الرافعة عقيرتها بالصراخ والتهليل للزعماء، وأحزابهم، أخطأوا أم أصابوا، ورافعين أذرعهم تحيات تذكر مباشرة بموسوليني وهتلر وستالين وفرانكو، هذا المرء لا يفوته أن يتمنى، أمام هذه المناظر لو كان ليبمان هو المحق، لا ديوي، إذ في مثل هذه الحالات... كان من الأفضل للجمهور أن يكون شبحاً، من أن يكون مغيباً، تستخدم أصواته لترسيخ «ديموقراطيات» مزيفة.

المصدر : الحياة اللندنية

الواقع السياسي الإثني العراقي
مقاربة لإعادة تأسيس
علاقة الفرد بالدولة التجربة العراقية
إنموذجاً

صلاح حسن الشمري(١)

المقدمة

أن الواقع السياسي الإثني لعراق اليوم لا يمكن بأي حال من الأحوال أن ينقطع عن جذوره التأريخية قبل وبعد تأسيس الدولة العراقية الحديثة في عشرينيات القرن الماضي نتيجة تفكك الإمبراطورية العثمانية وإضمحلالها، الذي عنى نهاية لأربعة قرون (١٥٣٤ – ١٩١٤) عاشها العراق في ظل ظروف من الإنحطاط السياسي والإقتصادي والإجتماعي، أفقدته السيادة والإستقلال ومقومات الدولة.

لقد هيمنت الحكومات العراقية المتعاقبة على الدولة، بدلاً من أن تحولها إلى بودقة تنصهر فيها تلك الحكومات، أو إطار ثابت تدخله بعد فوزها بناءاً على برامجها الإنتخابية، بفضل قوتها العسكرية المتحالفة مع قوى أجنبية وبالتالي إستمدت شرعيتها لا من مواطنيها عبر الخيارات الدستورية وإنما من تلك القوة العسكرية.

لقد عمقت تلك الممارسات السياسية، وما تمخض عنه الفكر الشمولي من محاولات لإلغاء ذلك التنوع في الطيف العراقي نتيجة إتباعه سياسة الإدماج، حالة إغتراب الفرد العراقي عن دولته، وإفتقاده الشعور بالإنتماء لهذا الوطن، وبالتالي فقدان الهوية الوطنية.

إن إنتماءات العراقيون اليوم تشكل تهديداً خطيراً للدولة العراقية، التي تعاني من مشكلة غياب الفهم الحقيقي لمفهموم الهوية الوطنية والمواطنة التي تعبر عن الإنتماء إلى القرية أو المحلة أو البلدة أو المحافظة وتذهب بعيداً إلى الإنتماء للدولة القومية أو الأمة، فبدلاً من الإنتماء للعراق تحول الإنتماء إلى إنتماء مناطقي أو مذهبي أو ديني أو قومي وباتت الهوية الوطنية مهددة وما ممارسات القتل والذبح على الهوية إلا تعبير صارخ لرفض الهوية الوطنية والإرتماء في أحضان هويات متعددة.

إن خطورة الموضوع إستلزمت منا الخوض في غماره في محاولة لإعادة تأسيس العلاقة بين المواطن والدولة، من خلال بيان المعنى الحقيقي لمفهوم المواطنة و التعرف على الأساس الذي يعتبر الفرد مواطناً في الدولة ، والحقوق والواجبات المترتبة على المواطنة و العلاقة بين التربية والمواطنة بحيث يتم التوصل إلى فهم واضح للمعنى الحقيقي للمواطنة وترسيخها بداخل النفس وهذا الفهم الواضح للمواطنة سيؤدي بالضرورة إلى أن يكون هنالك مصالحة مع الذات أولا ومصالحة مع الآخرين ثانياً وتحقيق الانتماء الوطني .

شيء من التأريخ

ينبئنا التأريخ أن مفهوم الموطنة قد ظهر أول ما ظهر في المدن السومرية القديمة، حيث الحديث كان جارياً عن الملكية، وإن الفكر السياسي عند منظريه قد بدأ في أثينا التي أخذت هذا المفهوم من مدينة إسبارطة، تلك المدينة العسكرية التي إمتازت بالضبط العسكري والصرامة الشديدة، وإتجهت شرقاً لتحتل أرض المنسيين وتحول رجالهم إلى عبيد، لتتولد طبقة إجتماعية جديدة في تلك المدينة قوامها نخبة من العسكريين الإسبارطيين، سمي الواحد منهم مواطناً بعد أن حددت مواصفاته ووضعت شروطه من قبل المشرعين ومن جملتها : المساواة وحيازة الأراضي المشاعية وأن يشغّل مجموعة من المنسيين (العبيد) وأن يأكل في الموائد الجماعية وأن يتحلى بالفضيلة السياسية وأن يكون قد تربى تربية عسكرية وذو عقلية صارمة.وقد إستفادت دولة أثينا من ذلك وقسمت سكانها إلى ثلاث طبقات رئيسية تتميز كل واحدة

منها عن الأخرى على وفق الإعتبارات السياسية والقانونية والإجتماعية، وهذه الطبقات هي(١) طبقة الأرقاء وطبقة الأجانب وطبقة المواطنين الأحرار الذين تنسحب عليهم صفة المواطنة بتوفر شرطان أساسيان هما الولادة لأب وأم أثينيين والبلوغ من العمر ثمانية عشر عاماً.

ومع أن شروط المواطنة قد تم تجاوزها بعض الأحيان مثلما قرر المشرع صولون منح الجنسية للأجانب بعد أن تتوفر لديهم شروط معينة ووزع الأراضي ووسع القاعدة الشعبية وقسم المجتمع إلى طبقات متعددة، فهناك طبقة أصحاب الأراضي وطبقة الخيالة وطبقة الملاكين وطبقة العمال ومنحهم حق المشاركة في الجمعية التشريعية، إلا أن إجراءاته سرعان ما أبطلت.

إن مفهوم المواطنة في اليونان القديم إرتبط "بالمدينة أو السياسة" (إذا أردنا العودة لأصل كلمة "سياسة" فإننا سننتهي إلى معناها الحقيقي وهو المدينة) وهي المدينة التي تضم مجموعة المواطنين والقوانين المؤسسة لهذه المجموعة. والديمقراطية الأثينية في القرن الخامس قبل الميلاد هي تعبير مباشر لمجتمع المواطنين، وأفضلهم يقرر الشؤون المتعلقة "بالدولة": الحرب، السلم، الاقتصاد، البنية التحتية، الاتفاقيات الخارجية والقوانين.

وبعد نضال مرير لفلاسفة العصور القديمة والوسيطة ظهرت كلمة مواطن مجدداً في كتابات جون لوك، بعد أن شهد مفهوم المواطنة تراجعاً كبيراً إثر سقوط الإمبراطورية الرومانية، وفي فترة الإقطاع وحتى نهاية العصور الوسطى والتي امتدت مابين ٣٠٠ حتى ١٣٠٠ ، وصدر في عام ١٦٨٩ في إنكلترا ولأول مرة قانون سمي بقانون التسامح، والتسامح مكون أساسي من مكونات مفهوم المواطنة كونه كان مساوياً للحقوق المدنية، وبعد هجرة البريطانيين ممن إكتسبوا صفة المواطن إلى أمريكا وكانوا يسمون الآباء الأوائل إتفقوا على إبرام عقد إجتماعي لحماية حقوقهم ومنها حق المواطنة الذي كان مدار نقاشات مستفيضة بعد توحيد

(١) د. غانم محمد صالح، الفكر السياسي القديم والوسيط (الموصل : دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، ٢٠٠١) ص ١٨ .

الولايات الأمريكية وصياغة الدستور الأمريكي عام ١٧٨٩ الذي عدل في عام ١٧٩١ لأسباب تتعلق بحقوق المواطنة، حيث رفعت لائحة للإعلان الوطني للحقوق المدنية.

لقد تضمن إعلان الاستقلال الإشارة إلى مفهوم المواطنة من خلال ما جاء به من أن الناس جميعاً ولدوا متساوين وان لهم حقوقاً أصيلة ولدت معهم منذ خلقهم وان الشعب هو صاحب السيادة وهو ما جاءت به مبادئ الثورة الفرنسية، فأصبح أساس مفهوم المواطنة مبني على فكرة الشعب صاحب السيادة ، وفكرة وجود حقوق أساسية للفرد كإنسان أولا وكمواطن من أبناء الشعب ثانياً.

وبقي مفهوم المواطنة في تطور مستمر خلال القرون السابقة منذ نهاية القرن الثامن عشر إلى وقتنا الحاضر، وكان تطوره متزايداً على اعتبار أن الشعب مصدر السلطات وصاحب السيادة ووجود حقوق أساسية للإنسان، فأصبح مفهوم المواطنة حقاً غير منازع فيه ، وامتد ليشمل فئات مواطنين لم تكن تتمتع بحق المواطنة مثل النساء، فأصبحن يتمتعن بحق المشاركة السياسية في اتخاذ القرارات الجماعية إلا أن ذلك لم يكن إلا في القرن العشرين ففي بريطانيا لم تحصل النساء على حق الانتخاب إلا في عام ١٩٢٩ وفي فرنسا في عام ١٩٤٥ . وتعددت أبعاد مفهوم المواطنة فشملت الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والبيئية ولم تقتصر على الجوانب السياسية والقانونية.

مفاهيم أولية

في معنى المواطن والمواطنة

يعود أصل كلمة المواطنة إلى اللاتينية وكان يشار إليها بمفردة civitas، وتغطي ثلاثة مفاهيم: المواطنة، بإعتبارها حقوق المواطن وحقوق المدينة "الدولة، والمواطنة بإعتبارها تمثل مجموعة المواطنين الذين يؤسسون مدينة أو دولة، المواطنة بإعتبارها الإقليم الذي تشغله هذه الجماعة أو مجموعة المواطنين.

والمواطنة في اللغة تعني ((المنزل الذي تقيم به وهو موطن الإنسان ومحله)) (٢) ، وتستخدم للتعبير عند تحديد الوضع الحقوقي والسياسي للفرد في المجتمع ، فالمواطن وفقاً لهذا التعريف هو الإنسان الذي يستقر في بقعة ارض معينة وينتسب إليها، أي مكان الإقامة أو الاستقرار أو الولادة أو التربية .

وقد ورد في الموسوعة السياسية بأن المواطنة هي ((صفة المواطن الذي يتمتع بالحقوق ويلتزم بالواجبات التي يفرضها عليه إنتمائه إلى الوطن، وتعرف المواطنة بمفاهيم علم الإجتماع على أنها علاقة إجتماعية تقوم بين الفرد الطبيعي ومجتمعه السياسي (دولته)، يقدم الفرد ولاءه للدولة بموجب هذه العلاقة مقابل تأمين حمايته من قبل الدولة، ومن منظور نفسي تعبر المواطنة عن الشعور بالإنتماء والولاء للوطن.

لقد عرفت دائرة المعارف البريطانية المواطنة بأنها ((علاقة بين فرد ودولة كما يحددها قانون تلك الدولة وبما تتضمنه تلك العلاقة من واجبات وحقوق في تلك الدولة ، والمواطنة تدل ضمناً على مرتبة من الحرية مع ما يصاحبها من مسؤوليات ، وهي على وجه العموم تسبغ على المواطنة حقوقاً سياسية مثل حق الانتخاب وتولي المناصب العامة))، في حين عرفت موسوعة الكتاب الدولي المواطنة على أنها ((عضوية كاملة في دولة أو في بعض وحدات الحكم، وان المواطنين لديهم بعض الحقوق ، مثل حق التصويت وحق تولي المناصب العامة وكذلك عليهم بعض الواجبات مثل واجب دفع الضرائب والدفاع عن بلدهم))، وعرفتها موسوعة كولير الأمريكية بأنها ((أكثر أشكال العضوية في جماعة سياسية اكتمالاً)).

أما المواطن فهو الإنسان الذي ينتمي إلى دولة ما ويستقر بشكل دائم أو مؤقت على أراضيها ويحمل جنسيتها، وهو انتماء يعطيه حقوقا ويملي عليه واجبات.

مقاربات لتحديد مفهوم المواطنة

لتحديد مفهوم المواطنة يمكن مقاربتها على الأقل من خلال ثلاث أبعاد أساسية:

- البعد الفلسفي : مادامت المواطنة هي إنتاج ثقافي إنساني (أي ليس إنتاجا طبيعيا)، فهي تنطلق من مرجعية فلسفية وقيمية تمنح دلالاتها من مفاهيم الحرية، والعدل ، والحق، والخير، والمصير والوجود المشترك ...

- البعد السياسي والقانوني: حيث تحدد المواطنة كمجموعة من القواعد والمعايير التنظيمية والسلوكية والعلائقية داخل المجتمع؛ التمتع بحقوق المواطنة الكاملة، كالحق في المشاركة والتدبير وإتخاذ القرارات وتحمل المسؤوليات، القيام بواجبات المواطنة، الحق في حرية التعبير، الحق في المساواة وتكافؤ الفرص...

- البعد الاجتماعي والثقافي: وهو كون المواطنة تصبح كمحدد لمنظومة التمثلات والسلوكيات والعلاقات والقيم الاجتماعية، بحيث تصبح المواطنة كمرجعية معيارية وقيمية اجتماعية، وكثقافة وناظم مجتمعي.

وبناءاً عليه يمكن تحديد أهم تجليات المواطنة في أربع فضاءات على الأقل:

١- الانتماء: أي الشعور بالانتماء إلى مجموعة بشرية ما و في مكان ما(الوطن)، مما يجعل المواطن يندمج ويتمثل ويتبنى خصوصيات وقيم هذه المجموعة التي ينتمي إليها...

٢- الحقوق: التمتع بحقوق المواطنة الخاصة والعامة، كالحق في الأمن وفي السلامة، والصحة والتعليم والعمل و الصحة والخدمات الأساسية العمومية، الحق في التنقل وحرية التعبير والانتماء والمشاركة السياسيين، والحق في

في الحياة الكريمة...
٣ - الواجبات: كاحترام النظام العام، عدم خيانة الوطن، الحفاظ على الممتلكات العمومية، الدفاع عن الوطن، التكافل والوحدة الوطنيين، المساهمة في بناء وازدهار الوطن...
٤- المشاركة العامة : المشاركة في اتخاذ القرارات السياسية العامة (الانتخاب والترشح)، تدبير المؤسسات العمومية، المشاركة في كل ما يهم تدبير ومصير الوطن...

منحة المواطنة تختلف عملية منح المواطنة (من الناحية القانونية) من دولة إلى أخرى بحسب القوانين المعمول بها، والتي لا تميز بين المواطنة والجنسية، فهنالك عدة أسس لمنح المواطنة أهمها ما يلي : الأساس الأول : القرابة والمقصود بها هنا قرابة الدم التي تمنح حق المواطنة للفرد بناءاً على مواطنة والديه فهو حق وراثي . الأساس الثاني : الولادة التي تمنح حق المواطنة للفرد بحسب مكان ولادته بغض النظر عن مواطنة الوالدين . الأساس الثالث : اكتساب المواطنة بالهجرة أو ما يسمى بقانون الهجرة والذي تعتمده العديد من الدول، فيحصل الفرد على مواطنة هذه الدولة التي يهاجر إليها إذا ما توفرت فيه شروط الهجرة المطلوبة وتمت الموافقة عليه من قبل الدولة.

الحقوق الأساسية للمواطنة

في عام ١٩٤٩ صاغ عالم الإجتماع البريطاني مارشال حقوق المواطنة ووضعها بثلاث مجاميع :
١ – مجموعة الحقوق المدنية :
وهي مجموعة من الحقوق تتمثل في حق المواطن في الحياة وعدم إخضاعه للتعذيب ولا للمعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو الحط من كرامته وعدم إجراء أية تجربة طبية أو علمية على أي مواطن دون رضاه، وعدم استرقاق أحد والاعتراف بحرية كل مواطن طالما لا تخالف القوانين ولا تتعارض مع حرية آخرين ، وحقه في حرية التنقل وحرية اختيار مكان إقامته داخل حدود الدولة ومغادرتها والعودة إليها، وحقه في المساواة أمام القانون ، وحقه في أن يعترف له بالشخصية القانونية وعدم التدخل في خصوصية المواطن أو في شؤون أسرته أو بيته أو مراسلاته ولا لأي حملات غير قانونية تمس شرفه أو سمعته، وحقه في حماية القانون له، وحقه في حرية الفكر والوجدان والدين واعتناق الآراء وحرية التعبير وفق النظام والقانون وحق كل طفل في اكتساب جنسيته.

٢ – **الحقوق السياسية** :
وتتمثل هذه الحقوق بحق كل مواطن الإنتخاب والترشيح في إنتخابات السلطة التشريعية والسلطات المحلية والبلديات، وحقه بالعضوية في الأحزاب وتنظيم حركات وجمعيات ومحاولة التأثير على القرار السياسي وشكل اتخاذه من خلال الحصول على المعلومات ضمن القانون، والحق في تقلد الوظائف العامة في الدولة والحق في التجمع السلمي.
٣ – الحقوق الإقتصادية والإجتماعية والثقافية :
وتتمثل الحقوق الاقتصادية أساسا بحق كل مواطن في العمل والحق في العمل في ظروف منصفة والحرية النقابية من حيث النقابات والانضمام إليها والحق في الإضراب، وتتمثل الحقوق الاجتماعية بحق كل مواطن بحد أدنى من الرفاه الاجتماعي والاقتصادي وتوفير الحماية الاجتماعية، والحق في الرعاية الصحية والحق في الغذاء الكافي، والحق في التامين الاجتماعي، والحق في المسكن، والحق في المساعدة، والحق في التنمية، والحق في بيئة نظيفة والحق في الخدمات كافية لكل مواطن، وتتمثل الحقوق الثقافية بحق كل مواطن بالتعليم والثقافة، هذه بالنسبة إلى الحقوق أما الواجبات التي تقع على عاتق المواطن فهي كالآتي :
١- واجب دفع الضرائب للدولة
٢- واجب إطاعة القوانين

٣- واجب الدفاع عن الدولة

المواطنة والتعددية في العراق

يعرف عن العراق وطبيعة تكوينه الإجتماعي، التميز بالتعددية في طيفه الإجتماعي، والتي قد يكون منشأها دينياً، إذ يدين غالبية أفراد المجتمع العراقي بالديانة الإسلامية المتعددة الثقافات وفقا لتعدد المذاهب الإسلامية إضافة للديانة المسيحية والصابئة المندائيون والأيزيدية، وقد يكون منشأها عرقياً على أساس تكون المجتمع العراقي من قوميات متعددة فهناك ممن ينتمون للقومية العربية أو الكردية أو التركمانية، وبالتالي تعدد الثقافات التي تشكل في إطارها العام ثقافة الشعب العراقي التي لم ترقى لتشكيل هوية وطنية صلبة على حد تعبير الملك فيصل للأسباب الآتية : -

١ - لقد ساهم تصميم الدولة العراقية وفقاً للأنماط الغربية الأثر الكبير في إلغاء الهويات القومية والطوائفية والعرقية والإثنية والدمج القسري للجماعات الإثنية، وتميزت الخطوط العريضة لأيديولوجية الدولة العراقية الحديثة بـ ((التبعية السياسية للغرب، وإعتماد رجال الإقطاع والملاكين العقاريين وشيوخ القبائل كقوة سياسية ساندة للنظام السياسي وتمذهب الدولة كركن سياسي من أركان السلطة حيث أصبحت حقاً شرعياً للعرب وليس للأكراد وللسنة العرب وليس للشيعة العرب وأن تكون الحكومة قومية عربية وليس للإسلاميين أو الليبراليين أو الماركسيين)) (٣) ، وبالتالي فأن إستبعاد أي تمثيل للشيعة أو الأكراد في تشكيل الدولة العراقية والإعتماد على طائفة العرب السنة الذين يشكلون الأقلية، إذ تبلغ نسبتهم ١٩ % من مجموع الشعب العراقي، كانت الغاية منه إستمرارية الهيمنة الأجنبية على العراق لأن الأقلية الحاكمة ستحتاج دائماً الإسناد والحماية الخارجية، وستكرس الحكم الإستبدادي، إذ لا يمكن لأي حاكمية بزعامة الأقلية أن تسعى لإنتهاج الديمقراطية سبيلاً للحكم لأن في ذلك إنتزاع السلطة منها.

إن فترة الجمهورية الأولى الممتدة من ١٩٥٨ – ١٩٦٣ لم تكن كافية لإعادة اللحمة في ثنايا الشعب العراقي وبالإنقلاب عليها عادت الدولة للسير على نفس الخط الأول الذي إنتهجته عند بدايات تشكيلها كدولة قومية طائفية إتسمت بنزعات شوفينية مارست الإلغاء والتهميش والإقصاء للجماعات الدينية أو للمكونات القومية الأخرى، وبلغت ذروة أعمالها بعد قيام الجبهة القومية والوطنية في عام ١٩٧٣ عندما أصدرت تعليماتها بإعتبار كل من لا يوافق فكرياً وسياسياً على ميثاق وخيارات الجبهة خائن للوطن ومطرود منه.

٢ – إن التنوع الديني في أي مجتمع لا يكتسب الأهمية السياسية إلا إذا ترتب عليه صراع سلطوي أو قيمي، وهنا ينبغي التفريق بين مفهومي الطائفة والطائفية، فالمفهوم الأول يشير إلى التنوع في المعتقدات أو

الممارسات الدينية بين الأفراد، أما المفهوم الثاني فإنه يشير إلى إستخدام هذا التنوع الديني لتحقيق أهداف وغايات سياسية أو إقتصادية أو ثقافية، وبالتالي إستخدام الدين لأغراض دنيوية.

إن ظهور الطائفية السياسية في المجتمع العراقي له دلالات مؤثرة لتغيب الهوية الوطنية ونتاجات مروعة تؤشر لنهاية التاريخ للدولة العراقية ((وتأسيس لنمط جديد من العلاقات الموغلة في تركيبات بنيوية معقدة سياسياً وإقتصادياً ودينياً وصراع مستديم نجد أساسه في حقل الإيقونات المادية الثلاثة (الهيمنة السياسية على السلطة – إحتكار الثروات الأرضية – توسيع الرأسمال الرمزي)) (٤) ، وهذه المرتكزات الثلاثة شكلت النسق الأول للعنف الطائفي العراقي بين الشيعة والسنة.

٣ – إن المجتمع العراقي مجتمع قائم على التنضيد الإجتماعي (المسلمون فوق المسيحيون والصابئة والأيزيديون، والسنة فوق الشيعة، والعرب فوق الأكراد وفوق التركمان، والقوميون فوق الماركسيون والليبراليون)، مما أدى إلى إفتقاده للتنظيم الإجتماعي والسياسي والتمركز

حول هويات ومرجعيات دينية وعرقية وطائفية وقومية، نتيجة الإقصاء والتهميش والإلغاء الممارس إنطلاقاً من الفوقية.

٤ – ترسيخ الصور النمطية المشوهة عن الآخرين ساهمت في تشظية المجتمع العراقي، فإطلاق صفة الروافض على الشيعة كونهم خارج النسق التأريخي الرسمي وفقاً للتصنيف الأموي الذي أمتد بإمتداد الدولة الإسلامية عبر الأمويين والعباسيين والعثمانيين ثم الأصوليين الإسلاميين إنعكس في تحديد الهوية وأنماط الثقافة، وكذلك الأمر مع الأكراد ووصمهم بوصمة البلادة والغباء أثر سلباً بإتجاه خلق جو من التعايش والتناغم بين هذه المكونات.

٥ – الأسس النظرية الأيديولوجية الواردة من الخارج كان لها ((دوراً خطيراً في عرقلة قيام الدولة – الأمة الديمقراطية الحاضنة للتنوع العراقي القومي والثقافي)) (٥) ، لأن هذه الأيديولوجيات لم تكن وليدة المجتمع العراقي وليست من إنتاجه، مما ساهم في إغتراب المواطن عنها وإبتعاده عن الحكومات التي طرحتها ومعارضتها.

إن ما يحدث على ارض الواقع العراقي اليوم هو أن الانتماء للأديان أو الإثنيات أو حتى القوميات يلاقي ترحيبا ولو كان جزئيا لدى الجميع في ظل غياب القوانين الخاصة بالمواطنة وانعدام تطبيقها وعدم تربية المواطنين على المواطنة الحقيقية وتعليمهم الانتماء إلى الوطن وتأهيلهم ليكونوا أشخاص فاعلون ضمنه وجزء من لوحة متكاملة الألوان والنسيج وللجميع حقوق وواجبات يقومون فيها .

إذ لو يسأل أحدنا من أنت؟ غالباً ما يأتي الجواب:(أنا عربي أو كردي أو تركماني، آشوري سرياني أو أرمني، مسلم أو مسيحي أو يزيدي أو شيعي أو سني إلخ...) ، والأسوء من ذلك أن يكون الإنتماء مناطقياً

فتجد من يقول لك أنا بصراوي أو نجفي أو كربلائي أو موصلي ، وقيلاً من تجده يقول أنا عراقي، لذلك تعبر هذه الأجوبة عن المشاعر الفطرية والانتماءات القومية الإثنية أو الدينية وهي بمعظمها انتماءات تطرح إشكالية تضيع فيها الهوية الوطنية بين الهويات الضيقة والمغلقة التي حدودها أقل بكثير من حدود الوطن

(٤) يوسف محسن ، اثريات الطائفية السياسية، م . س . ذ . ص ٨٠ .

(٥) د. علي كريم سعيد، حول مستقبل العراق السياسي (بغداد، ٢٠٠٤) ص ٣٨ .

إن الانتماء إلى الطائفة أو المذهب هو إنتماء لما هو دون السقف المحدد للإنتماء، وأحياناً يكون الإنتماء لما هو أبعد من حدود الوطن كالإنتماء إلى الأممية العالمية المتمثل بالأحزاب الشيوعية التي تعتبر أن الوطن هو كيان صغير ضمن المجموعة العالمية، أو العالم الإسلامي بالنسبة للتيارات الأصولية الإسلامية الذين يعتبرون أن الوطن ما هو إلا قطر لا يمثل شيء في وحدة الأمة الإسلامية، أو القومية العربية بالنسبة للأحزاب القومية التي تعتبر الوطن هو قطر قابل للانصهار في الكيان القومي العربي، أو غيرهم كالأمة الكردية بالنسبة للقومية الكردية، وبالنتيجة أن جميع هذه الهويات والانتماءات تتعارض مع حدود الوطن العراقي كما أنها تتناقض مع مفهوم الانتماء الوطني والهوية الوطنية العراقية كوعاء قانوني رسمي تستند إليه الدولة الحالية في ممارسة سياستها الداخلية والخارجية ،وهذا يعني ((إن مسألة المواطنة كتعبير فاعل في المجتمع لم تتحول إلى مشروع ثقافي وسياسي، وإننا مازلنا نعيش حالة خارجة عن الانتماء الحقيقي لحدودنا الوطنية الحالية، وإن حالة الاندماج الوطني هي مجرد حالة سطحية غير متجذرة في أعماق المجتمع وهي مجرد غطاء لحالة التفكك والانقسامات التي يعيشها المجتمع والناتجة بشكل رئيسي عن التركيز على هوية وثقافة واحدة))

محاولات لإعادة التأسيس

إننا وإذ نحاول المقاربة لإعادة تأسيس العلاقة بين المواطن العراقي والدولة، من أجل البحث عن هوية وطنية عراقية خالصة نشعر بأنها خطوة في رحلة الألف ميل غير بعيدة عن

المخاطر والمزالق ونرى بأن هناك أسس ينبغي إعادة بناءها بالشكل الذي ينسجم والغاية من هذه المحاولات ويمكن صياغتها بما يلي : -

١ - التربية على المواطنة

والمقصود فيها مجموعة المواد والنشاطات التي من شانها أن تغذي الوعي الوطني والالتزام الوطني والعمل الوطني بطبيعة مضمونها وموضوعها و تشكيل المواطن وتنميته انطلاقاً من تصور فلسفي معين لماهية المواطن ومن واقع التجربة في حياة الجماعة الوطنية ووجودها السياسي، وإن الفرد لا يصبح مواطناً بدون هذه التربية فالتربية على المواطنة تفتح مدارك تفكير المواطن وتؤدي بالضرورة إلى خلق روح الانتماء الوطني بداخله وهي روح المواطنة وجوهرها، وليس على المواطن أن يعرف مبادئ المواطنة ومعانيها الحقيقية فحسب، وإنما عليه أن يقوم بممارستها حقاً.

إن التربية على المواطنة ترتكز على ركيزتين مهمتين الأولى تحقيق المعرفة لدى الفرد والثانية خلق الرغبة والشعور في نفسية الفرد، وبالتالي فالتربية مهمة لتحقيق مفهوم المواطنة لأنها تقوم بإيصال المعرفة للأفراد حول مفهوم المواطنة ومعناها الحقيقي وما يترتب عليها من حقوق وواجبات للأفراد وللدولة، و كل ما يتعلق بهذا المفهوم، كما تقوم هذه التربية بغرس ذلك الشعور في داخل نفس الفرد المتلقي للمعرفة الخاصة بالمواطنة مما يشكل بداخل الفرد المتعلم عنصر الانتماء الوطني وهذا الأخير هو المعنى الحقيقي للمواطنة.

أن مسؤولية التربية على المواطنة تتولاها الدولة بشكل أساسي والتي عليها أن تركز جهدها على تقوية وتعميق الروابط الوطنية من خلال نشر الثقافة الوطنية الديمقراطية ودعم ومساندة مؤسسات المجتمع المدني، وإحياء جميع الثقافات الموجودة في المجتمع، التي تشكل جزءاً أساسياً من الثقافة الوطنية ، حتى يسمو الشعور الوطني على جميع الانتماءات الأخرى،، من قومية أو إثنية. ومما لاشك فيه أن حالة الانتماء إلى الهويات الضيقة هو نتيجة حتمية لغياب وفشل التربية على المواطنة في بلورة وصياغة مفهوم مشترك للمواطنة والعمل على سمو حالة الانتماء للوطن، التي تعتبر حجر زاوية كثير الأهمية في التأسيس لحالة ثقافية وسياسية مثلها مثل الديمقراطية التي لم تكن يوما مفهوم خاص بالسياسة أو بصناديق الاقتراع إنها حالة ثقافية وفكرية وتربوية تقوم على قبول الأخر والاعتراف به وبحقوقه ومشاركته الفاعلة ضمن المجتمع وهي نظام يقوم على التعددية السياسية والثقافية دون وجود لهيمنة الأغلبية على الأقلية حتى وإن كان التصويت للأغلبية ويتم ترسيخه عن طريق التأكيد على مفهوم المواطنة.

٢ – المشاركة الفاعلة في الحكم

إن المشاركة الفعلية في الحكم لا يمكن أن تجد لها مساحة على أرض الواقع ما لم يكن هذا الواقع مؤطر بالأطر الديمقراطية التي تتيح له الفرصة الحقيقية لتلك المشاركة، والممارسات الديمقراطية من شأنها أن تحجم دور الأقليات التي تبوئت سدة الحكم طيلة الحقب الزمنية الماضية والتي أسهمت بشكل فاعل في غياب الهوية الوطنية العراقية وذلك لأن الشعب هو مصدر السلطة وشرعيتها مما ينبغي معه تمكين هذا الشعب من القيام بدوره الفاعل في إعادة صياغة بناء الدولة وتشكيلها من خلال المساهمة الفاعلة و التي تعطي الفرصة المناسبة لكل مواطن للتعبير والمشاركة عن رغباته وآماله وطرح الأسئلة والحصول على أجوبتها بشفافية والمساواة في الاقتراع في المرحلة الحاسمة وهي مرحلة اتخاذ القرارات وان يتوفر لكل مواطن الحق في اكتساب المعلومات بشكل يمكنه من فهم الأمور المراد اتخاذ القرار بشأنها بحيث يتكون عنده الفهم المستنير.

٣ – المساواة أمام القانون

إن الإيمان بمبدأ المساواة بين جميع المواطنين وتكافؤهم في الفرص، بإعتبارهم مواطنين عراقيين يحملون جنسية واحدة ويقيمون بشكل دائم على أرض العراق وأنهم مواطنين متساوين في الحقوق والواجبات ، يتمتع كل فرد منهم بحقوق والتزامات مدنية وقانونية واجتماعية واقتصادية وبيئية متساوية ، بالإضافة إلى المساواة بين المواطنين أمام القانون بغض النظر عن الإعتبارات الإجتماعية والإقتصادية والسياسية والعرقية والدينية والجنس.

٤ – إعادة صياغة مفهوم المواطنة في الفكر الإسلامي المعاصر

إن الواقع العراقي اليوم لا يمكن له أن يتجاهل التنوع الديني في مكونات مجتمعه، وحيث أن المسلمين يشكلون الغالبية العظمى من هذه المكونات، لذا بات لزاماً أن نبحث مفهوم المواطنة في الفكر الإسلامي المعاصر وصولاً إلى مقاربات لإعادة صياغة هذا المفهوم بما يتوافق وواقع حال المسلمين في عالم اليوم، فالدراسات الإسلامية التقليدية لم تحدد لنا معنى الوطن من الناحية السياسية وإنما نظر إلى الوطن من ناحية الأرض ومن منظورين : -

الأول : <u>المنظور السياسي</u>، من حيث علاقة الأرض بالدعوة إلى الله بحيث أصبح هناك مفهوم دار الحرب ودار الإسلام، وهذا منظور أعم من منظور الدولة وعلاقة الفرد بها (المواطنة).

الثاني : <u>المنظور الإقتصادي</u> : من حيث الإحكام ذات الصلة بالملكية والضرائب وغيرها، وهذه الحالة أقل من المدعي.

إن الرؤية الإسلامية التقليدية لمفهوم الوطن وفقاً لهذا المنظور تصعب علينا رسم خريطة واضحة المعالم للوطن ومفهومه، فهي تارة تتوسع في رسم هذه الحدود وبالتالي إتساع الوطن طبقاً لها وتارة أخرى تضيق من هذه الحدود مما ينجم عنها إنكماشه، وذلك تبعاً لظروف الدعوة الإسلامية وعدم وجود بقعة في العالم تخلو من وجود المسلمين عليها، لذا فالوطن المراد تحديده هنا هو الوطن الذي تكون فيه الدولة ونظامها السياسي إسلامياً، وبالتالي لابد من المقاربة بين المفهوم الإسلامي التقليدي والواقع المفروض وجوده بوجود دول وطنية

بوسيلتين : (٨)

أ - إعتبار الدولة القطرية نواة للوطن الإسلامي، وإرتباط المواطنة بهذا الوطن دون غيره، فمثلاً الدولة في إيران تعتبر أفراد الشعب مواطنون فيها، ولا تضفي هذه الصفة على أي مسلم آخر بالأصالة ما لم تتوفر شروط أخرى، وفي هذه الحالة تتساوى المواطنة مع القطرية، ثم يمكن التوسع فيما بعد عن طريق الدولة الإتحادية ... وفي هذه الحالة تكون المواطنة أعم من القطرية وتتصف بالتمدد والإتساع تبعاً لإتساع الدولة الإسلامية (الوطن).

ب – الإستفادة من مفاهيم إسلامية وتوظيفها لخدمة صياغة مفهوم المواطنة منها الهجرة والولاء والنصرة والجهاد وغيرها...

٥ – إعتماد الديمقراطية نهجاً ثابتاً وعدم السماح لعودة حكم الأقلية وبالتالي العودة لحكم إستبدادي دكتاتوري من شأنه أن يعيد تلك الممارسات التي غيبت الهوية الوطنية عن الأذهان.

٦ – إعادة ترسيم الصور النمطية للآخرين وإضفاء مسحة جمالية عليها من خلال إبراز صور المحبة والتسامح والتعايش معها.

(١) باحث سياسي وقانوني

(٨) د. خليل مخيف الربيعي، م س ذ ، ص ٤٥ .

البطالة والفقر في العراق(١)

حسين علي عويش(٢)

البطالة في العراق Unemployment in Iraq:

غدت ظاهرة البطالة في العراق مشكلة ذات أبعاد اقتصادية واجتماعية تعبر بوضوح عن عجز في البنى الاقتصادية وعن خلل اجتماعي على الصعيد الوطني ، حيث تعد البطالة آفة اجتماعية خطيرة تعطل القدرات البشرية وتبدد فرص النمو والرفاه الاقتصادي . من الجدول الآتي :

بلغت البطالة في العراق سنة ١٩٨٧ حوالي (٣,٧%) من جملة قوة العمل (١٥) سنة فأكثر . وهو ما يمكن الحكم عليه بان الاقتصاد العراقي في تلك الحقبة لا يعاني من بطالة حقيقية لانشغال أكثر من مليون رجل يؤلفون اغلب قوة العمل الرجالية بالحرب ولهذا كان العراق يستورد العمالة من مصر والسودان وغيرها حيث ارتفعت هذه النسبة إلى (١٣,٥%) لسنة ١٩٩٧ بلغت نسبة الذكور منها (١٥%) مقابل (١٢,١%) للإناث أما من الناحية البيئية فترتفع نسبة البطالة في المناطق الحضرية عنها في الريف ، حيث تصل إلى (٦٩,٣%) من جملة العاطلين في الحضر مقابل (٣٠,٧%) في الريف .

وفي السنة ٢٠٠٣ وصلت نسبة البطالة في العراق إلى (٢٨,١٠%) نسبة الذكور (٣٠,٢٠%) من إجمالي الذكور ونسبة الإناث (١٦%) من إجمالي الإناث، انخفضت إلى (١٧,٩٧%) في سنة ٢٠٠٥ نسبة الذكور (١٩,٢٢%) والإناث (١٤,١٥%) أما سنة ٢٠٠٦ فقد بلغت نسبة البطالة (١٧,٥٠%) نسبة الذكور (١٦,١٦%) من جملة البطالة للذكور ونسبة الإناث (٢٢,٦٥%) [١] .وتعد أوضاع البطالة في الدول العربية هي الأسوأ بين جميع مناطق العالم حيث تتجاوز(٢٢ %) في عام ٢٠٠٣ حسب تقديرات منظمة العمل العربية.

معدلات البطالة حسب الجنس في العراق لسنوات مختلفة .

السنة / الجنس	١٩٨٧	١٩٩٧	٢٠٠٣	٢٠٠٤	٢٠٠٥	٢٠٠٦
ذكور	-	١٥,٠٠	٣٠,٢٠	٢٩,٤٠	١٩,٢٢	١٦,١٦
إناث	-	١٢,١	١٦,٠٠	١٥,٠٠	١٤,١٥	٢٢,٦٥
المجموع	٣,٧%	١٣,٥	٢٨,١٠	٢٦,٨٠	١٧,٩٧	١٧,٥٠

المصدر :

د.مهدي محسن العلاق ، التنمية البشرية في العراق ، نظرة إحصائية ، مصدر سابق ، ص : ١٢٨ .

وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي ، الجهاز المركزي للإحصاء وتكنولوجيا المعلومات ، مسح التشغيل والبطالة في العراق لسنة ٢٠٠٦ ، مصدر سابق ، ص : ٧ .

ومن الجدول السابق ونتائج المسح لمعدلات التشغيل والبطالة في العراق تبين أن محافظة ذي قار تتصدر محافظات القطر في ارتفاع معدلات البطالة حيث تجاوزت (٢٧%) لكلا الجنسين منها (٤٤,٤%) للإناث و (٢٤,٧%) للذكور تليها محافظة نينوى ثم المثنى بمعدل بطالة (٢٧,٤٨%) و (٢٢,٩٤%) على التوالي ، وسجل أقل معدل بطالة في العراق بين المحافظات بعمر (١٥) سنة فأكثر في محافظة كركوك بحوالي (٦,٤٣%) للذكور و (١٢,٩٢%) للإناث تليها محافظة واسط بمعدل (٨,٨٢%) [١] وتعود أسباب ارتفاع معدلات البطالة في العراق نتيجة للأداء الاقتصادي المتردي لجميع الأنشطة الاقتصادية المختلفة والمعتمد بشكل أساسي على المردود ألريعي للقطاع النفطي مما أدى إلى تراجع معدلات النمو الاقتصادي بشكل كبير فضلا عن الأثر السلبي لتحرير التجارة وفتح الحدود على مصراعيها

(١) وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي،الجهاز المركزي للإحصاء وتكنولوجيا المعلومات،مسح التشغيل والبطالة في العراق ٢٠٠٦،مصدر سابق،ص:٢٥.

وبدون ضوابط تذكر كالتعريفات والرسوم الكمركية لحماية الإنتاج المحلي ليستطيع المنافسة والصمود أمام السيل العارم من البضائع الأجنبية وسياسات الإغراق التي يواجهها السوق العراقي والافتقار إلى سياسات اقتصادية واجتماعية واضحة المعالم فضلا عن حل العديد من الوزارات والدوائر الرسمية وتوقف العديد من المنشآت والمصانع الحكومية وازدياد أعداد الملتحقين بالخدمة العسكرية سواء في الجيش العراقي أو الشرطة الوطنية وحماية المنشآت وترك العديد من المزارع الأهلية وإغلاق العديد من الورش والمحلات والمصانع الأهلية وتهميش شريحة كبيرة ووضعها خارج العملية الاقتصادية المجتمعية الهادفة إلى تحقيق معدلات نمو مقبولة اقتصاديا وتأثير البطالة العكسي اتجاه الاستقرار السياسي والاقتصادي وارتفاع معدلات الجريمة والصراع ألعنفي والاقتتال الطائفي والممارسات اللاأخلاقية وتفشي الرذيلة في المجتمع ،والسبب الحقيقي في ارتفاع معدلات البطالة للسنوات الأخيرة هو تغيير آلية احتساب معدلات البطالة والأسئلة الموجهة للعينات المأخوذة لغرض احتساب البطالة في العراق .

وقد يعود اختلاف هذه النسب بين المحافظات إلى تزايد أعداد الداخلين إلى سوق العمل وزيادة الطلب على فرص عمل يقابلها انخفاض في إمكانية سد هذا الطلب والذي يعود إلى انعدام الأمن والاستقرار وتفشي ظاهرة الفساد الإداري في دوائر الدولة وهدر أموال طائلة في مشاريع قليلة الجدوى وغير قادرة على تشغيل أكبر عدد من جيش العاطلين عن العمل وعدم الإيفاء بمشروع إعادة أعمار العراق .

ومن الجدول التالي يلاحظ أن معدلات البطالة ترتفع بين الذين لا يحملون مؤهلات تعليمية أو مؤهلاتهم التعليمية متدنية حيث يلاحظ أن نسبة البطالة تصل إلى حوالي (٨٠,٥%) بين الذين يحملون شهادة أقل من الإعدادية وتكون نسبتها في الذكور حوالي (٨٤,٦%) وبلغت في الإناث حوالي (٦٩,٣%) أما الذين يحملون شهادة الإعدادية فما فوق لغاية الذكور حوالي (١٥,٣%) وبين الإناث حوالي (٣٠,٦%) أما الذين يحملون الشهادات العليا (دبلوم عالي والماجستير والدكتوراه وغيرها) ، فقد بلغت نسبة البطالة فيها لعموم القطر حوالي (١%). وقد يفسر أن احد أسباب ارتفاع معدلات البطالة في العراق هو تدني المؤهلات التعليمية لعدم مواكبتها التطورات التكنولوجية التي شهدتها الأنشطة الاقتصادية واستخدام معدات تكنولوجية تحتاج إلى مؤهلات علمية عالية لغرض أدارتها وتشغيلها يضاف إلى ذلك عدم قدرة المخرجات التعليمية على إيجاد نوع من التلاؤم والتجانس مع متطلبات سوق العمل والتي تزداد تعقيداً في الوقت الحاضر من حيث شروط المنافسة والتأهيل العلمي وتؤدي زيادة أعداد المتسربين من الدراسة وعدم الالتزام بقانون التعليم الإلزامي وخاصة في مقتبل العمر إلى أضرار كبيرة بفرصهم بالعمل وتكوين الدخل فضلا عن ذلك ثمة ارتباط وثيق بين بطالة الشباب وإدمان المخدرات والجريمة وما يترتب عليهما من تكاليف اجتماعية واقتصادية باهظة [١].وتتزايد أعداد المهاجرين أو المهجرين بين الخريجين وأصحاب المؤهلات والكفاءات العالية إلى الخارج لعدم حصولهم على فرص عمل تتلاءم ومستواهم التعليمي والمهني وبالتالي تبديد لأهم مصادر الثروة في العراق .

وقد تختلف معدلات البطالة اختلافاً واضحاً لوجود حالة من التمايز في آلية التوظيف بالنسبة للإناث أكثر مما هو عليه في الذكور من خلال ارتفاع معدلات البطالة عند الإناث في جميع التخصصات عما هو عليه في البطالة عند الذكور، حيث ترتفع معدلات البطالة لدى الإناث في التخصصات المهمة مثل الحاسبات والإدارة والاقتصاد بفروعها المختلفة واللغات بأقسامها المتعددة

([١])وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي ، الجهاز المركزي للإحصاء وتكنولوجيا المعلومات ، مسح التشغيل والبطالة في العراق ٢٠٠٦ ، مصدر سابق ، جدول (٣-١) ، ص : ٢٥ .

العاطلون عن العمل حسب الحالة التعليمية والجنس لعام (٢٠٠٦) (نسب مئوية)

الفئات التعليمية	ذكور	إناث	المجموع
أمي	١٣	١٦,٦	١٤
يقرأ ويكتب	١٧,٧	١٣	١٦,٥
ابتدائية	٣٦,٢	٢٠	٣١,٩
متوسطة	١٢,١	١٠,٤	١١,٥
إعدادية	٥,٦	٩,٤	٦,٦
المجموع	٨٤,٦	٦٩,٣	٨٠,٥
مدارس مهنية	٢,٩	٣,٤	٣,٠
مراكز مهنية	٠,٢	٠,٠	٠,٢
المجموع	٣,١	٣,٤	٣,٢
دبلوم	٥,٤	١٢,٤	٧,٣
بكالوريوس	٦,٨	١٤,٨	٨,٩
المجموع	١٢,٢	٢٧,٢	١٦,٢
دبلوم عالي	٠,٠	٠,١	٠,٠
ماجستير	٠,١	٠,٠	٠,١
دكتوراه	٠,٠	٠,٠	٠,٠
أعلى شهادة اختصاص	٠,٠	٠,٠	٠,٠
المجموع	٠,١	٠,١	٠,١
المجموع الكلي	١٠٠,٠	١٠٠,٠	١٠٠,٠

المصدر :
وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي،الجهاز المركزي للإحصاء وتكنولوجيا المعلومات ، مسح التشغيل والبطالة في العراق لسنة ٢٠٠٦ ، مصدر سابق ، ص : ١١ .

وكذلك القانون والسياسة ، ومن الجدول اللاحق نلاحظ أن البطالة لدى حاملي شهادة أقل من الإعدادية قد بلغ حوالي (١٦,٥٠%) للذكور و (٢٢,٣٧%) للإناث وقد توزعت حسب البيئة في الحضر حوالي (٢١,٢٨%) وفي الريف (١٢,٩١%) وبذلك يكون مجموع نسبة البطالة لمن يحملون شهادات دون الإعدادية حوالي (١٧,٥٦%) أما اقل التخصصات بطالة فقد شهدتها التخصصات الطبية حيث بلغت نسبة البطالة بين الذكور من التخصصات الطبية حوالي (٤,١٢%) وحوالي (١٢,١٥%) للإناث أما حسب البيئة فقد سجلت (٥,٥٣%) للحضر و (١٠,٥٣%) للريف . تليها التخصصات في مجال الفنون بأنواعها حيث بلغت حوالي (٣,٧٧%) للذكور و (١٣,٩%) للإناث و (٦,٦٢%) في الحضر و (٠,٠٠%) بالنسبة للريف . أما أعلى نسبة بطالة فقد سجلت في تخصصات الحاسبات حيث سجلت معدل بطالة قدره (٤٣,٤٧%) لعموم القطر للذكور حوالي (٣٨,٢٤%) وللإناث حوالي (٤٩,٥٢%) وفي الحضر حوالي (٤٣,٦٧%) وفي الريف حوالي (٤١,٨٥) تليها التخصصات في الإدارة والاقتصاد وبكافة فروعها حيث بلغت حوالي (٢٤,٩٥%) لعموم القطر للذكور حوالي (١٧,٣٠%) والإناث حوالي (٤٠,٠٨%) وفي الحضر حوالي (٢٤,٥٥%) والريف حوالي (٢٧,٦٦%) تليها تخصصات العلوم الزراعية ، العلوم العسكرية ، الطب البيطري بلغت حوالي (٢٢,٠٧% ، ٢٠,٧١% ، ١٨,٦٥%) على التوالي وبعدها التخصصات في الهندسة والقانون واللغات والآداب والعلوم الصرفة ثم الصيدلة وكانت على التوالي (١٨,٣٦% و ١٧,٩٥% و ١٦,٦٠% و ١٥,٥٢% و ١٥,٣٩% و ١٤,٤٨%) .

وقد عكس انخفاض نسب البطالة في التخصصات الطبية والفنون إلى توفر الفرص لخريجي هذه التخصصات عن طريق التعيين المركزي الذي توفره الدولة لهذه التخصصات مع قلة عدد خريجيها بالمقارنة مع التخصصات الأخرى هذا يعكس عدم التوازن بين مخرجات التعليم مع حاجة سوق العمل إلى التخصصات العلمية المختلفة .

(١) أ.د. نبيل جعفر عبد الرضا ، الاقتصاد العراقي في مرحلة مابعد السقوط ، الطبعة الأولى ، مؤسسة وارث الثقافية ، ٢٠٠٨ ، ص :٨٤ .

معدلات البطالة في العراق حسب التخصصات والجنس والبيئة لعام (٢٠٠٦)

التخصصات	معدلات البطالة				
	ذكور	إناث	حضر	ريف	المجموع
الإعدادية فما دون	١٦,٥٠	٢٢,٣٧	٢١,٢٨	١٢,٩١	١٧,٥٦
الاختصاصات الطبية	٤,١٢	١٢,١٥	٥,٥٣	١٠,٥٣	٦,٣٢
الصيدلة	٢,٢٦	٣٨,٠٤	٢٠,٩٤	٠,٠٠	١٤,٤٨
الهندسة بكافة فروعها	١٧,٦٧	٢٤,٦٩	١٧,٣٦	٢٤,٢٠	١٨,٣٦
العلوم والعلوم الصرفة	١٠,٤٦	٢٠,٩١	١٦,٤٦	٧,٥٢	١٥,٣٩
العلوم الزراعية	١٨,١١	٤٧,٢٥	٢٣,٨٩	١٦,٥١	٢٢,٠٧
الطب البيطري	١٣,٤٠	٣٧,٢٤	١٨,٧٣	١٨,٤٠	١٨,٦٥
الإدارة والاقتصاد بفروعها	١٧,٣٠	٤٠,٠٨	٢٤,٥٥	٢٧,٦٦	٢٤,٩٥
الآداب بكافة أنواعها	١٥,١١	١٦,٠٦	١٦,٩٦	٩,٢٦	١٥,٥٢
الفنون والفنون التشكيلية	٣,٧٧	١٣,٠٩	٦,٦٢	٠,٠٠	٦,٦٢
القانون السياسي	١٣,٥٤	٣٠,٢٥	١٧,٦٥	٢١,٠٧	١٧,٩٥
اللغات	١١,٠٩	٢١,٨٩	١٧,٢٧	١١,٩٧	١٦,٦٠
العلوم العسكرية	٢٠,٧٩	٠,٠٠	٢٠,٨٣	١٩,٧٠	٢٠,٧١
الحاسبات	٣٨,٢٤	٤٩,٥٢	٤٣,٦٧	٤١,٨٥	٤٣,٤٧
التخصصات الأخرى	١٣,٥٣	١٩,٨٢	١٥,٥٦	١٥,٥٨	١٥,٥٧
المجموع	١٦,١٦	٢٢,٦٥	٢٠,٢٠	١٣,١٧	١٧,٥٠

المصدر :
-وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي ، الجهاز المركزي للإحصاء وتكنولوجيا المعلومات مديرية إحصاء السكان والقوى العاملة ، مسح التشغيل والبطالة في العراق ٢٠٠٦ ، مصدر سابق ، ص : ١٤ .

الفقر في العراق Poverty in Iraq:

الفقر(Poverty) ظاهرة معقدة ذات أبعاد اقتصادية واجتماعية وربما سياسية وتاريخية متعددة ويختلف مفهوم الفقر باختلاف البلدان والثقافات والأزمنة ،إلا أنه من المتفق عليه أن الفقر حالة من الحرمان المادي ، التي تتجلى أهم مظاهرها في انخفاض استهلاك الغذاء كما ونوعا وتدني الحالة الصحية والتعليمية والوضع السكني والحرمان من تملك السلع المعمرة والأصول المادية الأخرى فضلا عن فقدان الاحتياطي أو الضمان لمواجهة حالات المرض والكوارث والأزمات وغيرها .
ويعرف الفقر عادةً بأنه مستوى متدن من الرخاء البشري ،وقد أولت الشرائع السماوية والأديان اهتماما كبيرا بالإنسان بعده قيمة عليا لايمكن إهمالها ، واهتم الدين الإسلامي الحنيف بالفقراء ووضع التشريعات التي من شانها رفع مكانة البشر ومعالجة مشكلة الفقر كما في قوله تعالى (إنما الصدقات للفقراء والمساكين) .
وطبقا لأدبيات التنمية يتجسد القياس المعتاد للفقر في انخفاض الدخل أو قلة الأنفاق ، فكل من ينفق أقل من دولار واحد في اليوم (مع تصحيح الرقم لمراعاة الاختلاف في القوة الشرائية) يعد فقيراً في رأي بعضهم .وهناك آخرون يرون إن الحد الصحيح هو دولاران في اليوم ، ويقوم بعضهم بحساب الحد الأدنى في السعرات الحرارية ويعدونه خط الفقر.
أما الأمم المتحدة فقد فضلت مؤشرات تركيبة تراعي فرصة الحصول على التعليم والرعاية الصحية الأساسية عند حساب معايير الفقر والتنمية البشرية ، وهناك العديد من المحددات للفقر يمكن حصرها بالاتي [١].
معدلات النمو السكاني : أن النمو السكاني السريع قد يؤدي إلى الفقر وزيادته ، فضلا عن الهجرة الدولية من البلاد الفقيرة إلى البلاد الغنية التي قد تسهم في زيادة الفقر وتسارع معدلاته ، إلا أن التجربة التاريخية أثبتت أن ليس هناك

علاقة حتمية لهذين الأثرين في مجال زيادة حدة الفقر ، إلا أذا أقترن ذلك بانخفاض معدلات النمو السكاني .

العوامل الاقتصادية: تتجلى العوامل الاقتصادية التي تسهم في زيادة حدة الفقر من خلال:

- السياسات الإنمائية غير المناسبة ومنها التمييز لصالح الأنشطة ذات الإنتاجية العالية وانحياز نمط النمو المتحقق إلى جانب الأغنياء تجاوزاً على الفقراء، فضلاً عن الانحياز ضد المناطق الريفية وهذا ما يميز السياسة المحلية التي تؤدي إلى حرمان الفقراء الريفيين من فوائد التنمية.

- محدودية الحصول على البنى التحتية والخدمات الاجتماعية والأصول الإنتاجية لاسيما الأرض والمعدات ورأس المال واستئثار الأقلية من الشركات والتجار مقابل إفقار الأكثرية العظمى من المزارعين التقليديين الصغار في المناطق الريفية خاصة.

- النقص في الهياكل الأرتكازية وضعف المنافذ إلى الأسواق وانخفاض الحد الأدنى للأجور تحت خط الفقر فضلاً عن تدهور البيئة وعدم توفر الموارد اللازمة للاستثمار في مشاريع تحافظ على البيئة .

- تطبيق برامج التصحيح الهيكلي لتحسين التدهور الحاصل في نسب التبادل التجاري والدين الخارجي فضلاً عن عوامل أخرى أثرت على الفقراء .

٣) العوامل السياسية وما فعلته الحروب والأزمات السياسية في زيادة معدلات الفقر والحرمان وزيادة معدلات البطالة لغياب الإستراتيجيات التنموية والإصلاحات الاقتصادية وكثرة الأختلالات الهيكلية على مستوى الاقتصاد الكلي والاكتفاء بتطبيق سياسات عشوائية تجلت عن أخفاق عام وعدم القدرة على زيادة رأس المال المادي وتطوير رأس المال البشري و الاجتماعي واكتفت بالاعتماد على ارتفاع مستويات أسعار البترول العالمية ليكون اقتصادها ريعياً دون النظر في تطوير باقي القطاعات والأنشطة الاقتصادية والخدمية وغيرها .

وتعد قضية الفقر قضية كل العصور منذ أن وجد التفاوت في قدرات البشر وظروفهم وفي تطلعاتهم وأرزاقهم . ولعل من أخطر نتائج الفقر هو انه يؤدي إلى تآكل الثروة البشرية التي هي بحق أثمن ما في الوجود إن لم نقل أنها الوجود نفسه . ويمثل الفقر عقبة أساسية للتنمية ورفع معدلات النمو الاقتصادي ، كما يشكل الفقر والحرمان خطراً على السلام والاستقرار السياسي والاجتماعي والأمني ، فهو يولد بيئة خصبة تنمو بها أشكال متعددة من الانحراف والتطرف والمعارضة الجامحة التي تستهدف الدولة ذاتها في نهاية الأمر. (١)

وتعد مؤشرات الفقر بما تتضمنه من مؤشرات الأنفاق والدخل العائلي وتحديد مستويات المعيشة على مستوى الفرد والأسرة من الموضوعات المهمة التي تشغل بال الاقتصاديين والسياسيين على حد سواء ، وترتبط هذه المؤشرات بمدى التحسن في متوسط النمو للدخل الفردي وانعكاسه على مستوى المعيشة لتدعيم عملية الإصلاح الاقتصادي والاجتماعي . ولتقليل آثار الفقر والحرمان وانعكاساته على الحياة الاقتصادية والاجتماعية لذا لابد من إحداث سياسات اقتصادية واجتماعية كلية تترك آثارها على الأسرة واحتياجاتها الفردية ، والتي ستعمل بدورها على تقليص حجم الفجوة بين مؤشرات الفقر .

لذلك فان دراسة ظاهرة الفقر بين العراقيين ينبغي أن تنطلق من خلفية ما تعرض له الشعب العراقي من ظروف غاية في الاستثنائية أثرت في إفقار فئات واسعة من العراقيين . أما من قبل النظام السياسي السابق ونمط تعامله مع مجتمعه وسوء تصرفه بالموارد الاقتصادية وتفاقم حقبة الحصار الاقتصادي وكثرة الحروب التي خاضها سواء في الداخل أو مع الخارج والتي أدت إلى انتشار ظاهرة تجار الحروب والتفاوت في توزيع الدخل القومي وتوسيع الفروق الدخلية بين فئات المجتمع المختلفة، وازدادت الفجوة اتساعاً بين الفقراء والأغنياء ، إذ يتلقى أفقر ٢٠% من الأسر أقل من ٧% من إجمالي دخل الأسرة العراقية ، في حين يتلقى أغنى ٢٠% مانسبته

٤٤% من إجمالي الدخل للاسرة العراقية ، أو ٦ أضعاف ماتتلقاه الأسر الفقيرة [١] .

ويعد الفقر واحداً من الأمراض الخفية التي تصيب بشكل مباشر أو غير مباشر جسم وكيان التنمية البشرية وهذه الأمراض الخفية هي:- [١]
البطالة بأنواعها
غسيل الأموال (اقتصاد الظل)
الفساد الإداري والمالي
الفقر والفاقة
الجهل والأمية
الأمراض والأوبئة
انعدام الأمان والاستقرار
السلطة الغاشمة والحكم الشمولي

الفقر مفهوم نسبي يختلف من بلد إلى آخر حتى في البلد الواحد لذا لا بد من أخذ خصوصية المجتمع والفقراء فيه بنظر الاعتبار .

وقد تعددت وكثرت مفاهيم الفقر وتجاوزت المفاهيم الإحصائية فلم يقتصر على الافتقار بل تعدى ذلك إلى كل ما هو ضروري لتحقيق الرفاه الاقتصادي والاجتماعي فإذا كانت التنمية البشرية هي تحقيق للفرص والخيارات فان الفقر هو فقر الفرص والخيارات وليس فقر الدخل ، حيث حددت الأمم المتحدة حد فقر الدخل بدولار واحد في اليوم لكل شخص على أساس تعادل القوة الشرائية لعام ١٩٨٥ [١] . وعلى الرغم من القصور في مؤشر الدخل إلا أنه يمكن أن يستخدم دليل على مستويات الفقر في العراق .

وتستخدم الأسرة كوحدة للتحليل في قياس الفقر ، وقد استخدمت هذه الآلية من قبل قمة الألفية وحددت هدفها الأول المتمثل بالقضاء على الفقر والجوع ، وبلغت الأسر التي تعاني من الفقر الشديد في العراق (١١%) والأسر الفقيرة (٤٣%) وبذلك يكون المجموع (٥٤%) سنة ٢٠٠٣ [١] . وهذه النسب المرتفعة جداً تستلزم وضع الحلول الناجحة والسريعة للحد من هذه الآفة أما إذا نظرنا إلى خارطة الحرمان لسنة ٢٠٠٦ فقد تم اعتماد تصنيف خماسي وثلاثي لمستوى المعيشة فحسب التصنيف الثلاثي بلغت نسبة الأسر في وضع متدنٍ (٣١,٢%) وفي وضع متوسط (٤٤,٨%) والمتبقي في وضع عالٍ وعلى مستوى الأفراد كانت النسب (٣٣,٨% و ٤٤,٦%) أما وفق التصنيف الخماسي فقد بلغت نسبة الأسر المحرومة بشكل منخفض جداً (٥,٤%) ومنخفض (٢٥,٨%) ومتوسط (٤٤,٨%) ومرتفع (٢٢%) ومرتفع جداً (٢%) ، وعلى مستوى الأفراد كانت النسب (٦,٣ ، ٢٧,٥ ، ٤٤,٦ ، ٢٠ ، ١,٦%) على التوالي .

ويتباين الفقر بين الحضر والريف فقد بلغت نسبة الحرمان في الريف (٦٥%) مقابل (٢١%) في الحضر ، فضلا عن أن الأسر ذات المستوى ألمعاشي العالي التي بلغت (٣٠%) في الحضر و (٥%) في الريف ، وهذا يدل على إن الحرمان في الريف أعمق مما في الحضر لطبيعة الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في الريف. وعلى ضوء ما سبق فان حوالي نصف سكان العراق تقريباً يعانون من نقص الخدمات الأساسية في الصحة والتعليم والبنى التحتية والمسكن ومحيط المسكن .

وكان تقرير مسح الأحوال المعيشية ٢٠٠٤ قد اعتمدت تصنيف محافظات العراق إلى أربعة مناطق جغرافية رئيسة كالأتي
المنطقة الشمالية وتضم (دهوك ، اربيل ، السليمانية)
المنطقة الوسطى وتضم (نينوى ، كركوك ، صلاح الدين ، ديالى ، الأنبار)
المنطقة الجنوبية وتضم (بابل ، كربلاء ، واسط ، النجف ، القادسية ، المثنى ، ذي قار ، ميسان ، البصرة)
منطقة بغداد وتضم محافظة واحدة هي محافظة

---

[١] د.حسن لطيف كاظم الزبيدي ، الاقتصاد السياسي للفقر في العراق ، بحث مقدم إلى كلية الإدارة والاقتصاد ، جامعة الكوفة ، الندوة العلمية الثانية بتاريخ ٢٠٠٦/٥/٨.
[١] د. صادق علي طعان ، الأمراض الخفية .... تحديات اقتصادية

بغداد .لايرتبط هذا التصنيف بالظروف المعيشية لأنه تصنيف جغرافي سياسي (geopolitical) يعكس الأوضاع السائدة خلال عقدي الثمانينات والتسعينات وحتى سقوط النظام السابق سنة (٢٠٠٣) ، وعلى وفق هذا التصنيف تمثل المنطقة الشمالية منطقة كردستان التي كانت مشمولة بالحكم الذاتي حتى عام ١٩٩١ وبحكم مستقل بعد ذلك . والمنطقة الوسطى تشمل محافظات اقل معاناة من حرب الثماني سنوات مع إيران بحكم موقعها الجغرافي ، أما المناطق الجنوبية فقد كانت الأكثر معاناة لأسباب تتعلق بالحرب العراقية الإيرانية والانتفاضة الشعبانية التي تلت حرب الخليج (١٩٩١) ومحافظة بغداد بحكم موقعها كعاصمة ولها خصوصيتها المستقلة .فعلى مستوى الميادين تعد منطقة بغداد الأقل حرماناً بالنسبة لثلاثة ميادين هي التعليم والصحة والمسكن ، تليها المنطقة الشمالية حيث أنها الأقل حرماناً في ميادين البنى التحتية ومحيط السكن ، ثم المنطقة الوسطى حيث أنها الأقل حرماناً في ميدان واحد هو ميدان وضع الأسرة الاقتصادي ، وتشير خارطة الحرمان إلى أن المنطقة الجنوبية هي الأكثر حرماناً بالنسبة إلى خمسة ميادين من الميادين الستة لدليل مستوى المعيشة ، أما على مستوى المحافظات فان محافظة اربيل قد سجلت أدنى نسبة حرمان تليها بغداد وفقاً لدليل مستوى المعيشة تليهما محافظة كركوك ثم الأنبار . وفي المقابل يلاحظ أن المحافظات الأكثر حرماناً وفقاً لدليل مستوى المعيشة هي المثنى ثم بابل تليهما القادسية ثم ذي قار ، ثم ديالى وكربلاء المقدسة و واسط والنجف الاشرف وميسان على التوالي [١]

(١) المقالة مأخوذه من رسالة الماجستير الموسومة (دراسة في التنمية البشرية المستدامة /واقع التنمية البشرية في العراق للمدة (١٩٩٠ - ٢٠٠٦)

(٢) ماجستير اقتصاد / جامعة القادسية

([١])اندريا فيغوريتو ، بعض الملاحظات عن مقارنة مستويات الفقر بين البلدان ، الراصد الاجتماعي ، تقرير ٢٠٠٣ ، ص : ٦٤ .

([١])وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي ، مديرية إحصاء التنمية البشرية ، تقرير مؤشرات رصد الأهداف الإنمائية ، للألفية ،

([١])وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي ، الجهاز المركزي للإحصاء وتكنولوجيا المعلومات ، خارطة الحرمان ومستويات المعيشة في العراق ، الخلاصة التنفيذية ، ٢٠٠٦ ، ص ص: ١٤-١٩ .....

الحماية الدولية للممتلكات الثقافية
دراسة تطبيقية على الممتلكات الثقافية في محافظة ذي قار

الدكتور محمد ثامر (١)

المقدمة

تعد الممتلكات الثقافية واحده من أهم موضوعات القانون الدولي الإنساني ذلك القانون الذي بدأ يتسع نطاقاً وشمولية على وفق نسق متسق مع التطورات الهائلة في ميدان العلوم والبيئة والبحار والتكنولوجيا وليس تحديد أطر هذا المفهوم هو المغزى الأساس من وراء هذا التطور بل أن توفير أساليب الحماية الدولية كانت هي الشغل الشاغل للعديد من الاتفاقيات والمواثيق الدولية .

ولذلك نجد أن فرض أساليب جديدة للحماية الدولية لتلك الممتلكات كانت الغاية منه تغطية التطورات الهائلة في ميدان التدمير التي أخذت هي الأخرى تتسع وتزداد شراسة وعنفاً وتدميراً بحيث نجد تلازماً ما بين الأخطار التي تهدد تلك الممتلكات ووسائل الحماية المفروضة من قبل الاتفاقيات والمواثيق الدولية رغبة من الأخيرة في أن تضع حداً للحيلولة دون تعرض الممتلكات الثقافية بوصفها تراثاً مشتركاً للإنسانية جمعاء من أساليب الفتك والتدمير .وليس ثمة شك في أن الأخطار التي تتعرض لها تلك الممتلكات تكون على درجة أشد في حالة النزاعات المسلحة منها في حالة السلم لذلك تسارعت الجهود لتوفير الحماية الكاملة لتلك الممتلكات أثناء النزاعات المسلحة فكانت اتفاقية لاهاي لسنة ١٩٥٤ والتي تضمنت نصوصاً لحماية الممتلكات الثقافية أثناء النزاعات المسلحة .

لم يكن العراق لينأى بنفسه – وقد شهد نزاعات مسلحة عديدة – عن التعرض لمثل هذه الأضرار التي يمكن أن تنال من إرثه الحضاري الذي يمتد تقريباً على إقليم العراق بأسره في الشمال والجنوب والغرب والوسط وهي حضارات زاخرة بإرثها المجيد وبعدها الإنساني الذي يمتد إلى مسافة زمنية تقدر بستة آلاف سنة .

كان للحروب التي تعرض لها العراق والنزاعات المسلحة الدولية وغير الدولية التي شهدها إقليمه بلا شك أثر سيئ على ممتلكاته الثقافية خصوصاً في الفترة الأخيرة الممتدة من عام ٢٠٠٣ إلى الوقت الراهن ولأن محافظة ذي قار هي جزء من أرض العراق الثرية بتلك الممتلكات ولأنها تعرضت لما يتعرض له العراق بأسره من عمليات تنقيب عشوائي لم يسلم منها أي جزء من أجزاء المحافظة وآثارها بل حتى متحف المحافظة فكان من الملائم جداً أجراء هذه الدراسة على المواقع الأثرية في المحافظة التي تعرضت برمتها إلى أخطار جمة تمثلت في التنقيب العشوائي وسرقة الآثار وارتفاع مناسيب المياه وأخيراً اتخاذها كمواقع عسكرية ، وقد كان للجهود المتعاونة التي بذلها السيدات والسادة المسئولون في مفتشيه آثار المحافظة الجزء الأكبر والنصيب الأوفر في إتمام هذه الدراسة .

ولكي تكون الدراسة على مستوى منطقي ومعقول من الشمولية كان لازماً أفراد المبحث الأول للتعرف على المفهوم القانوني للممتلكات الثقافية وأساليب الحماية الدولية لها في حين جاء المبحث الثاني ليسلط الضوء على ما تعرضت له آثار محافظة ذي قار من أضرار ومخاطر جسيمة وبشكل ميداني .

المبحث الأول
الممتلكات الثقافية ونظام الحماية الدولية

ينبغي أولاً إعطاء تعريف متكامل لمفهوم الممتلكات الثقافية بغية تحديدها وتحديد ما يدخل ضمن نطاق شموليتها واستثناء ما لا يدركه إطارها كما لا بد من التطرق ولو بشيء موجز لأساليب الحماية الدولية التي تكفلت بوضع نظام دولي يضمن تلك الحماية في حالتي السلم والحرب على حد سواء

وفرض إجراءات تعزز وتعضد تلك الحماية وتحول دون أن يمتد أثر النزاعات بشكل خاص إلى هذه الممتلكات ،وإذاً فلا مناص من تقسيم هذا المبحث إلى مطلبين يتولى الأول منها تعريف الممتلكات الثقافية في حين يخصص الثاني للتعريف بنظام الحماية الدولية .

المطلب الأول
تعريف الممتلكات الثقافية

أن الممتلكات الثقافية لأي مجتمع وضعت حيث يعتقد أنها مهمة لأعضاء ذلك المجتمع وهذه الممتلكات قد تكون على هيئة معتقدات روحية تتجسد في رموز طبيعية أو قد تكون مرتبطة بمعارك تاريخية أو مدن قديمة أو قد تكون مرتبطة بأحداث سياسية مهمة أو حتى قد تكون مرتبطة بنوع من أنواع الموسيقى أو أي طريقة متفردة من طرق الزراعة التقليدية . [١]

ولذلك فالممتلكات الثقافية يمكن أن تعرف على أساس أنها كل ما أنشأه الإنسان مما هو ثابت بطبيعته وكل ما أنتجه بيده أو فكره ،والبقايا التي خلفها ولها علاقة بالتراث الإنساني ويرجع عهدها إلى أكثر من مئة عام إضافة إلى بقايا السلالات البشرية والحيوانية والنباتية والآثار العقارية والفنون الإبداعية والمقتنيات الشعبية ، ويشمل التراث الإنساني أكثر من ٧٨٨ موقع طبيعي وثقافي.[٢]

ولكن هذا التعريف ليس هو التعريف الأوحد فالملاحظ بخصوص تعريف الممتلكات الثقافية أن الوثائق الدولية حرصت على سوق تعار يف أخذت على عاتقها مهمة توسيع هذا المفهوم [٣] ليتلاءم أكثر فأكثر مع تطور نمط الحماية وبما يعكس المسحة الإنسانية التي بدأت تطغي على قواعد القانون الدولي العام ومع مراعاة أن تصنيفها أخذ هو الآخر يعتمد على معايير عديدة . [٤]

فالمادة الأولى من اتفاقية لاهاي لحماية الممتلكات الثقافية في حالة النزاع المسلح لسنة ١٩٥٤ عرفتها بأنها((أ – الممتلكات المنقولة أو الثابتة ذات الأهمية الكبرى لتراث الشعوب الثقافي كالمباني المعمارية أو الفنية أو التاريخية ، الديني منها والمدني ، والأماكن الأثرية ، ومجموعات المباني التي تكتسب بتجمعها قيمة تاريخية أو فنية ، والتحف الفنية ، والمخطوطات والكتب والأشياء الأخرى ذات القيمة الفنية التاريخية أو الأثرية وكذلك المجموعات العلمية ومجموعات الكتب الهامة والمحفوظات ومنسوخات الممتلكات السابق ذكرها .

ب – المباني المخصصة بصفة رئيسية وفعلية لحماية وعرض الممتلكات الثقافية المنقولة المبينة في الفقرة أ كالمتاحف ودور الكتب الكبرى ومخازن المحفوظات وكذلك المخابئ المعدة لوقاية الممتلكات الثقافية المبينة في الفقرة أ في حالة نزاع مسلح .

ج- المراكز التي تحتوي على مجموعة كبيرة من الممتلكات الثقافية المبينة في الفقرتين أ و ب والتي يطلق عليها اسم ((مراكز الأبنية التذكارية)) . [٥] والملاحظ على نص هذه المادة أنها توسعت في مفهوم الممتلكات الثقافية فلم تحصرها بذات الممتلكات بل شملت أيضاً الأماكن المخصصة لعرضها أو حفظها أو حمايتها وهي توسعة جديرة بالإشادة إذ غالباً ما تظم هذه المباني ممتلكات ثقافية على درجة كبيرة من الأهمية التاريخية سواء أكانت محاط نظر قاعة العرض أم مخبأه في مخازن عقارية أو حديدية خصصت لخزنها وحمايتها والمحافظة عليها ومعالجة الآثار التي قد تصيبها .

أما اتفاقية باريس بشأن التدابير الواجب اتخاذها بحظر ومنع استيراد وتصدير ونقل ملكية الممتلكات الثقافية بطرق غير مشروعة لسنة ١٩٧٠ فعرفت في مادتها الأولى الممتلكات الثقافية في مادتها الأولى بقولها ((تعني العبارة ((الممتلكات الثقافية)) لأغراض هذه الاتفاقية ، الممتلكات التي تقرر كل دولة ،لاعتبارات دينية أو علمانية ، أهميتها لعلم الآثار ، أو ما قبل التاريخ أو التاريخ والآداب أو الفن أو العلم التي تدخل في إحدى الفئات التالية :

ب- المجموعات والنماذج النادرة من مملكتي الحيوان والنبات ومن المعادن أو علم التشريح ،والقطع الهامة لصلتها بعلم الحفريات ((البالينتولوجيا)) .
ت- الممتلكات المتعلقة بالتاريخ ،بما فيه تاريخ العلوم والتكنولوجيا والتاريخ الحربي والتاريخ الاجتماعي وحياة الزعماء والمفكرين والعلماء والفنانين والوطنيين ، والأحداث الهامة التي مرت بها البلاد .
ث- نتاج الحفائر الأثرية القانونية وغير القانونية ، والاستكشافات الأثرية .
ج- القطع التي كانت تشكل جزءاً من آثار فنية أو آثار فنية أو آثار تاريخية مبتورة من مواقع أثرية .
ح- الآثار التي مضى عليها أكثر من مئة عام ، كالنقوش والعملات والأختام المحفورة .
خ- الأشياء ذات الأهمية الأثنولوجية .
د- الممتلكات ذات الأهمية الفنية ومنها:
١- الصور واللوحات والرسوم المصنوعة كليا باليد ،أيا كانت المواد التي رسمت عليها أو استخدمت في رسمها ((باستثناء الرسوم الصناعية والمصنوعات المزخرفة باليد) .
٢- التماثيل والمنحوتات الأصلية ،أياً كانت المواد التي استخدمت في صنعها .
٣- الصور الأصلية المنقوشة أو المرسومة أو المطبوعة على الحجر .
٤- المجمعات أو المركبات الأصلية ، أياً كانت المواد التي صنعت منها.
ذ- المحفوظات النادرة والكتب المطبوعة في عهد الطباعة الأول والكتب والوثائق والمطبوعات القديمة ذات الأهمية الخاصة (من الناحية التاريخية أو الفنية أو العلمية أو الأدبية الخ .....) سواء أكانت منفردة أم في مجموعات .
ر- طوابع البريد والطوابع المالية وبما يماثلها ، منفردة أو جماعات .
ز- المحفوظات بما فيها المحفوظات الصوتية والفوتغرافيه والسينمائية .
أ- قطع الآثار التي يزيد عمرها على مائة عام ،والآلات الموسيقية القديمة)) .[٦]

ويلاحظ على نص هذه المادة أنه وسع كثيراً من مفهوم الممتلكات الثقافية فبعد أن وردت المادة الأولى في صدرها عبارة عامة مطلقة كادت أن تكون كافية بمفردها بنصها ((الممتلكات التي تقرر كل دولة لاعتبارات دينية أو علمانية أهميتها لعلم الآثار)) عادت لتفصل في هذه الممتلكات والاعتبارات ولتدخل ممتلكات شتى أو أجزاء من تلك الممتلكات حيثما تعلقت بالتاريخ أو بتاريخ الحفر الأثري سواء أتم بطريقة شرعية أم لا و الصور واللوحات والرسوم والتماثيل والمنحوتات الأصلية والصور المنقوشة على الحجر والمخطوطات النادرة بل حتى الطوابع البريدية والرقوق السينمائية وقطع الأثاث التي يزيد عمرها على مائة عام ولعل الرغبة واضحة من وراء هذا التوسع في نطاق الممتلكات أو في ذكر تفاصيلها لكي لا يترك ثمة خيار للشك في مدى عد مثل تلك الأموال ممتلكات ثقافية .

وجاءت اتفاقية باريس لحماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي لسنة ١٩٧٢ بأسلوب جديد لتعريف الممتلكات الثقافية وذلك بالتمييز بين التراث الثقافي والتراث الطبيعي فالتراث الثقافي طبقاً للمادة الأولى هو ((الآثار،الأعمال المعمارية وأعمال النحت والتصوير على المباني والعناصر والتكاوين ذات الصفة الآثارية والنقوش والكهوف ومجموعات المعالم التي لها جميعاً قيمة عالمية استثنائية من وجهة نظر التاريخ أو الفن أو العلم .

المجتمعات : مجموعات المباني المنعزلة أو المتصلة التي لها بسبب عمارتها أو تناسقها أو اندماجها في منظر طبيعي ، قيمة عالمية استثنائية من وجهة نظر التاريخ أو الفن أو العلم .

المواقع : أعمال الإنسان أو الأعمال المشتركة بين الإنسان والطبيعة وكذلك المناطق بما فيها المواقع الأثرية التي لها قيمة عالمية استثنائية

من وجهة النظر التاريخية أو الجمالية أو الاثنولوجية أو الانثرويولوجية .

أما التراث الطبيعي فهو ((المعالم الطبيعية المتألفة من التشكيلات الفيزيائية أو البيولوجية من مجموعات هذه التشكيلات ، التي لها قيمة عالمية استثنائية من وجهة النظر الجمالية أو العلمية ،التشكيلات الجيولوجية أو الفيزيوغرافية والمناطق المحددة بدقة مؤلفة موطن الأجناس الحيوانية أو النباتية المهددة ،التي لها قيمة عالمية استثنائية من وجهة نظر العلم أو المحافظة على الثروات .

المواقع الطبيعية أو المناطق الطبيعية المحددة بدقة التي لها قيمة عالمية استثنائية من وجهة نظر العلم أو المحافظة على الثروات أو الجمال الطبيعي . (٧)

والملاحظ على هذه الاتفاقية أنها أدخلت في نطاق الممتلكات الثقافية صنفاً جديداً يعكس الرغبة القائمة والمتطورة والمتجددة في توسيع نطاق هذا المفهوم وأقرناه من جهة أخرى بما يمكن أن يتوفر له من مقومات علمية تحرص على الحفاظ على المعالم الطبيعية الفيزياوية أو البيولوجية أو المناطق التي تشكل موطناً لها والتي يهددها خطر حال وتشكل من وجهة نظر العلم أو الثروة قيمة عالمية استثنائية أو قيمة جمالية تستند على الطبيعة بشكل أساس وكذلك المناظر الطبيعية ، الوثائق التاريخية ، المعتقدات الدينية ، الممارسات والصناعات الأثرية ، أي شيء من صنع الإنسان أو إنتاج براعته و الأماكن الروحية المقدسة . (٨)

أما قانون الآثار العربي الموحد الصادر عن اجتماع وزراء الثقافة العرب المنعقد في بغداد لسنة ١٩٨١ فقد عرف الآثار في الباب الأول منه بأنها ((يعتبر أثر ، أي شيء خلفته الحضارات أو تركته الأجيال السابقة من يكشف عنه أو يعثر عليه سواء أكان ذلك عقاراً أو منقولاً يتصل بالعلوم أو الفنون أو الآداب أو الأخلاق أو العقائد أو الحياة اليومية أو الأحداث العامة وغيرها من يرجع تاريخه إلى مائة عام مضت متى كانت له قيمة فنية أو تاريخية .

ويجوز للسلطة أن تعتبر لأسباب فنية أو تاريخية أي عقار أو منقول أثر إذا كانت للدولة مصلحة وطنية في حفظه وصيانته بصرف النظر عن تاريخه وتعتبر من الآثار ذات الشأن الوثائق والمحفوظات كما تعتبر بقايا السلالات البشرية والحيوانية والنباتية من الآثار التي يجب المحافظة عليها وصيانتها شأنها شأن الآثار الأخرى)) . (٩)

ولعل الملاحظة الأجدر على هذا التعريف هو الفقرة الأخيرة منه التي إلى أجازت للسلطة الوطنية عد أي عقار أو منقول بمثابة أثر بغض النظر عن تاريخه إذا كانت هناك مصلحة وطنية تقتضي حفظه وصيانته .

أما اتفاقية مالطا ١٩٩٢ لحماية التراث الثقافي الأوربي فإن مفهوم الممتلكات الثقافية يتضمن قسمين رئيسين ، التراث الثقافي الطبيعي والمواقع الأثرية المدنية وأن التمييز بينهما قد امتد ليشمل في ذات الوقت دراسة التخطيط العمراني في أوربا . (١٠)

في حين أحالت المادة الأولى من بروتوكول لاهاي الثاني لسنة ١٩٩٩ الملحق باتفاقية لاهاي لسنة ١٩٥٤ الخاصة بحماية الممتلكات الثقافية في حالة النزاع المسلح إلى المادة الأولى من الاتفاقية أعلاه إذ جاء في الفقرة ب من المادة الأولى من البروتوكول ما نصه ((يقصد بـ ((الممتلكات الثقافية)) الممتلكات الثقافية كما عُرفت في المادة الأولى من الاتفاقية)) (١١) والمقصود هنا اتفاقية لاهاي لسنة ١٩٥٤ الخاصة بحماية الممتلكات الثقافية .

وأعطت اتفاقية حماية التراث الثقافي غير المادي لسنة ٢٠٠٣ في مادتها الثانية تعريفاً مفصلاً لهذا المفهوم بنصها ((١- يقصد بعبارة التراث الثقافي غير المادي الممارسات والتطورات وأشكال التعبير والمعارف والمهارات وما يرتبط بها من آلات وقطع ومصنوعات وأماكن ثقافية التي تعتبرها الجماعات والمجموعات وأحياناً الأفراد جزء من

من تراثهم الثقافي وهذا التراث الثقافي المتوارث جيلاً بعد جيل تبدعه الجماعات من جديد بصورة مستمرة بما يتفق مع بيئتها وتفاعلاتها مع الطبيعة وتاريخها ، وهو ينمى لديها الإحساس بهويتها والشعور باستمراريتها ويعزز من ثم احترام التنوع الثقافي والقدرة الإبداعية البشرية ولا يأخذ في الحسبان لأغراض هذه الاتفاقية سوى التراث الثقافي غير المادي الذي يتفق مع الصكوك الدولية القائمة المتعلقة بحقوق الإنسان ومع مقتضيات الاحترام المتبادل بين الجماعات والمجموعات والأفراد والتنمية المستدامة .

٢- وعلى ضوء التعريف الوارد في الفقرة (١) أعلاه يتجلى التراث الثقافي غير المادي بصفة خاصة في المجالات التالية :

أ- التقاليد وأشكال التعبير الشفوي بما في ذلك اللغة كواسطة للتعبير عن التراث الثقافي غير المادي .

ب- فنون وتقاليد أداء العروض .

ج- الممارسات الاجتماعية والطقوس والاحتفالات .

د- المعارف والممارسات المتعلقة بالطبيعة والكون .

هـ- المهارات المرتبطة بالفنون الحرفية والتقليدية)) .[١٢]

هذا وتجدر الإشارة إلى أن بعض الاتفاقيات الدولية عاملة بعض الممتلكات على أنها ممتلكات ثقافية رغم أنها لم توردها في تعريفها لتلك الممتلكات ، فالمادة الرابعة من اتفاقية باريس لحظر ومنع استيراد وتصدير ونقل ملكية الممتلكات الثقافية لسنة ١٩٧٠ أدخلت ضمن هذا المفهوم الممتلكات التالية :

أ- الممتلكات الثقافية التي يبتدعها فرد أو مجموعة أفراد من أبناء الدولة المعينة والممتلكات الثقافية التي تهم الدولة المعينة والتي يبتدعها داخل أراضي تلك الدولة رعايا أجانب أو أشخاص بلا جنسية مقيمون في تلك الأراضي .

ب- الممتلكات الثقافية التي يعثر عليها داخل أراضي الدولة .

ج- الممتلكات الثقافية التي تقتنيها البعثات الأثرية أو الأنثولوجية أو بعثات العلوم الطبيعية بموافقة السلطات المختصة في البلد الأصلي لهذا الممتلكات .

د- الممتلكات الثقافية التي يتم تبادلها طوعاً

ه- الممتلكات الثقافية المهداة أو المشتراة بطريقة قانونية بموافقة السلطات المختصة في البلد الأصلي لهذه الممتلكات .

وكذلك الحال مع الإعلان الآسيوي للممتلكات الثقافية حيث عد (الفلكلور) في مادته الأولى والتراث الشعبي ضمن مفهوم الممتلكات الثقافية بعد أن ميز بين التراث الشفوي الفلكلور والتراث المدون .[١٣]

أما على صعيد القانون الداخلي فقد خضع العراق لعدة تشريعات كان أولها الإعلان الذي أصدرته الدولة العثمانية في ١٠ نيسان ١٩١٦ ثم أصدر الجنرال مود في ٢٢ أيار ١٩١٧ أعلاناً بشأن حماية الآثار والتراث وفي ١٤ تشرين الأول ١٩٢٢ أصدر مجلس الوزراء قراراً الحق بموجبه مديرية الآثار القديمة بوزارة الأشغال والمواصلات ثم صدر قانون الآثار في عام ١٩٢٤ ويتألف من ثلاثين مادة وفي عام ١٩٣٦ صدر قانون جديد للآثار عدل في عام ١٩٧٤ وعدل في عام ١٩٧٥ .[١٤] وقد اعتمد المشرع العراقي معياراً سهلاً لتحديد الأموال الأثرية يتعلق بعمر المال .

فإذا كان مئتي سنة أو يزيد فهو مال أثري وهذه مسألة فنية يقدرها ذوو الخبرة والاختصاص إلا أنه يجوز استثناء خلع الوصف المذكور على الأموال التي يقل عمرها على مئتي سنة لمقتضيات المصلحة العامة ولغرض المحافظة عليها بسبب قيمتها التاريخية والقومية والدينية والفنية وبقرار من وزارة الثقافة والإعلام ينشر في الجريدة الرسمية [١٥] وهو معياراً معتاد في القوانين والتشريعات

العربيـة الخاصـة بـالأموال ذات القيمـة الفنيـة والتاريخية . [١٦]

المطلب الثاني
نظام الحماية الدولية

أن من البديهي القول أن الحماية الدولية التي تكفلت الاتفاقيات الدولية فرضها على الممتلكات الثقافية كانت نتيجة حتمية للأضرار الجسيمة التي منيت بها الأخيرة وازدياد الأخطار التي تعرضت لها نتيجة التطور الهائل في تقنية الحرب خصوصاً ما أفرزته الحربين العالميتين الأولى والثانية بل أن اتساع نطاق الحرب لتأخذ مدلولاً دولياً كان بحد ذاته يشكل خطراً حالاً يتعين معه التفكير بحماية مجدية وأساليب تكفل نمط معين من وقاية هذه الممتلكات قبل بدء النزاع المسلح وحمايتها أثنائه .

وفي الحقيقة أن الإشارة الأولى لحماية الأعيان الثقافية أثناء النزاعات المسلحة وردت في الفكر الإسلامي فهي تبدو واضحة في وصايا الرسول الكريم (ص) والخلفاء من بعده للقادة والجند على حد سواء [١٧] ولأن هذا الفكر كان إنساني الطبع والطابع فسرعان ما غزا لباب الفلاسفة وأفكار الفقهاء فترجم بوصفه مبدأ أساس للتمييز بين الأهداف العسكرية والممتلكات المدنية وكان فضل السبق في هذا التمييز للفقيه الفرنسي جان جاك روسو الذي طرح هذا المبدأ بوضوح قائلاً ((أن الحرب ليست علاقة بين شخص وآخر وإنما بين دولة وأخرى يكون فيها الأفراد أعداء بالصدفة ليسوا كأشخاص أو مواطنين وإنما كجنود وليسوا كأفراد الوطن وإنما كمدافعين عنه)) [١٨]

وجاء على ذات الشاكلة ما طرحه الفقيه فاتيل في القرن الثامن عشر إذ يقول ((مهما كان السبب في تخريب بلد ما يجب عدم الاعتداء على معالم العمارة التي هي شرف الإنسانية والتي لا تساهم قط في جعل العدو أكثر قوة : المعابد ، القبور ، المباني العمومية وجميع الأعمال التي تحظى بالاحترام لجمالها فماذا يجني من تدميرها ؟ إذ يغدو عدواً للبشرية ذلك الشخص الذي يحرمها بطيبة خاطر من هذه الآثار الفنية وهذه النماذج من الذوق)) .[١٩]

ألا أن النص الإتفاقي الأول الذي كرس حماية الممتلكات الثقافية في اتفاق ذي طبيعة مدونة هو المادة ١٧ من إعلان بروكسل في ٢٧ آب ١٨٧٤ والتي نصت على أن ((في حالة قصف مدينة أو مكان محض أو قرية يجري الدفاع عنها يجب اتخاذ جميع التدابير اللازمة لعدم الاعتداء قدر الإمكان على الأماكن المخصصة للعبادة والفنون والعلوم))[٢٠]

أما اتفاقيتي لاهاي لعام ١٨٩٩ و ١٩٠٧ فقد حرمت في أكثر من نص من نصوصها تدمير ملكية العدو أو حجزها ما عدا في الحالات التي تدعو ضرورة الحرب إلى ذلك[٢١] وحظرت كذلك مهاجمة أو قصف المدن أو القرى والبيوت والمباني المجردة من وسائل الدفاع بأي وسيلة كانت [٢٢]كما حظرت نهب المدن والبلدات حتى وإن كانت محط هجوم [٢٣] وحرمت الإتلاف المقصود للمؤسسات المخصصة للعبادة والأعمال الخيرية والتعليم والفنون والعلوم حتى وإن كانت ملكاً للدولة [٢٤] كما أوصت في حالة الحصار اتخاذ كافة التدابير اللازمة لتفادي الهجوم ، قدر المستطاع ، على المباني المخصصة للعبادة والفنون والعلوم والأعمال الخيرية والآثار التاريخية والمستشفيات والمواقع التي يتم فيها جمع المرضى والجرحى شريطة أن لا تستخدم في الظروف السائدة آنذاك لأغراض عسكرية [٢٥] ونتيجة لما شهدته تلك الأعيان من آثار مدمرة نتيجة الحرب العالمية الأولى فقد سارت العمليات العسكرية بالضد من حرفية النصوص ومعناها فقد نص ميثاق ريورخ في المادة الأولى منه على أن ((تعتبر الآثار التاريخية والمتاحف والمؤسسات الثقافية والتربوية والفنية والعلمية أماكن محايدة ، وينبغي على أطراف النزاع احترامها وحمايتها بتلك الصفة ويجب أن يحظى الأفراد العاملون في المؤسسات المشار إليها بالاحترام والحماية ويجب إعطاء الاحترام والحماية ذاتها للآثار التاريخية والمتاحف

والحمايـة ذاتهـا للآثـار التاريخيـة والمتـاحف والمؤسسات الثقافيـة والتربويـة والفنيـة والعلميـة في زمن السلم وزمن الحرب)) . [٢٦]

ولكـن التنظـيم الأكثـر تقنيـة لحمايـة الممتلكـات الثقافيـة بـرز فـي اتفاقيـة حمايـة الممتلكـات الثقافيـة في حالـة النزاع المسلح لسنة ١٩٥٤ تلك الاتفاقيـة التـي ميـزت بـين إجـراءات الحمايـة المتخـذة وقـت السـلم وإجـراءات الحمايـة المتخـذة وقـت الحـرب ومهدت لذلك بـأن أعلنـت فـي مادتهـا الثامنـة عشرة في أن القاعدة في نطاق تطبيق الاتفاقيـة هـي وقت نشوب نزاع مسلح بين طرفين أو أكثر من الأطراف المتعاقدة وأن لم تعترف دولـة أو أكثـر بوجـود حالـة الحرب وفي جميع حالات الاحتلال الكلـي أو الجزئـي لأراضي أحد الأطراف المتعاقدة حتى إذا لم يواجه هـذا الاحـتلال بـأي مقاومـة حربيـة وأن كـان النـزاع المسلح أو الاحتلال لدولة لم تكن طرفاً في الاتفاقيـة وأن الاستثناء في التطبيق هو وقت السلم . [٢٧]

ففـي وقـت السـلم أوجبـت الاتفاقيـة علـى أطرافهـا الاسـتعداد لوقايـة الممتلكـات الثقافيـة الكائنـة فـي أراضيها من الأضرار التي قد تنجم عن نزاع مسلح وذلك باتخاذ التدابير التي قد تراها مناسبة [٢٨] كما حتمـت علـى الـدول الأطـراف أن تـدخل فـي اللـوائح والتعليمات الخاصة بقواتها العسكرية أحكاماً تكفل تطبيق هذه الاتفاقية وأن تغرس فـي أعضاء قواتها المسلحة روح الاحترام الواجب توفره نحو الثقافات والممتلكـات الثقافيـة لجميـع الـشعوب وأن تعـد الأقسام والأخصائيين وتلحقهم في صفوف قواتها المـسلحة لكـي تكـون مهمـتهم الـسهر علـى احتـرام الممتلكـات الثقافيـة ومعاونـة الـسلطة المدنيـة المـسؤولة عـن حمايـة هـذه الممتلكـات . [٢٩] وبالتالي فسواء أكانت الممتلكات الثقافية وطنية أم أجنبية الأصل أو كانت ملكية تلك الممتلكات تعود للدولة أو لمؤسسة عامة أو حتى لمجرد أشخاص عاديين وبغض النظر عن جنسيتهم فإنها ستكون متمتعة بالحماية شريطة أن تكون موجودة على إقليم الدولة أثناء النزاع . [٣٠]

أما في نطاق النزاعات المسلحة فقد أوجـــــدت الاتفاقيـة مصطلحين الأول أطلقت عليه احترام الممتلكات الثقافية وبموجبه تتعهد الدول الأطراف بالامتنـاع عـن اسـتعمال الممتلكـات الثقافيـة أو الوسـائل المخصـصة لحمايتهـا أو الأمـاكن المجـاورة لهـا مباشـرة لأغـراض عـسكرية قـد تعرضـها للتـدمير أو التلـف وكـذلك تلتـزم بـأن لا تـأتي أي عمـل عـدائي موجـه ضـدها وأن هـذه الالتزامـات لا يمكـن التخلـي عنهـا إلا فـي حـالات الضرورة الحربية القاهرة كذلك أوجبت المعاهدة تحريم أي سرقة أو نهب أو تبديد لهذه الممتلكات ووقايتهـا مهمـا كانـت الأسـاليب التـي تظهـر فيهـا هذه الأعمال وتلتزم الدول المتعاقدة أيضاً بتحريم أي عمـل تخريبـي أو تـدابير انتقاميـة تمـس تلـك الممتلكـات ولـيس لهـا أن تـستولي علـى ممتلكـات ثقافية منقولة كانت في أراضي أي دولـة متعاقدة أخرى بل لا يجوز لدولـة طرف في هذه الاتفاقيـة أن تتحلـل مـن هـذه الالتزامـات بحجـة عـدم اتخـاذ التدابير الوقائية التي أوصت بها الاتفاقية . [٣١]

أمـا فـي وقـت الاحـتلال فقـد ألزمـت الاتفاقيـة الدولة المحتلة سواء أكان الاحتلال كلـي أم جزئـي بالتزامين أساسين :

الأول : تعـضيد جهـود الـسلطات الوطنيـة المختصة في المناطق الواقعة تحت الاحتلال بقدر اسـتطاعتها فـي سـبيل وقايـة تلـك الممتلكـات والمحافظة عليها .

الثـاني : اتخـاذ تـدابير عاجلـة للمحافظـة علـى الممتلكـات الثقافيـة إذا منيـت تلـك الممتلكـات بأضـرار نتيجـة للعمليـات الحربيـة وتعـذر علـى الـسلطات الوطنيـة المختـصة اتخـاذ مثـل هـذه التـدابير كمـا عليهـا أن تلـزم وتحـث حركـات المقاومـة داخـل الإقلـيم بوجـوب مراعـاة أحكـام الاتفاقية . [٣٢]

أما المصطلح الثاني الذي أوجدته الاتفاقية فهو نظـام الحمايـة الخاصـة ويـتم بموجـب هـذا النظـام وضع عدد محدود من المخابئ المخصصة لحماية الممتلكـات الثقافيـة المنقولـة ومراكـز الأبنيـة التذكارية والممتلكات الثقافية الثابتة الأخرى ذات الأهمية الكبرى تحت الحماية [٣٣] التي تكفل

لها الحصانة ضد أي عمل عدائي بمجرد قيدها في السجل الدولي وعن أي استعمال لها أو للأماكن المجاورة لها مباشرة لأغراض حربية [٣٤] ولكن بشروط :

أ- أن يكون على مسافة كافية من أي مركز صناعي كبير أو أي هدف حربي مهم يعد نقطة حيوية كالمطار أو محطة إذاعة أو مصنع يعمل للدفاع الوطني أو ميناء أو محطة للسكك الحديد ذات أهمية أو طريق مواصلات هام ولكن يجوز الاستغناء عن شرط الموقع إذا تمت بناية الموقع بصورة لا يجعل من المحتمل أن تمسه القنابل أو كان هناك تعهد بعدم استخدام الهدف العسكري أثناء نشوب النزاع .

ب- ألا تستعمل لأغراض حربية .

ت- لا يعد وجود الحراس ورجال الأمن أو أي قوة مسلحة وضعت خصيصاً لحراسة المبنى من قبيل الاستعمال للأغراض العسكرية .

ث- أن تسجل في السجل الدولي للممتلكات الثقافية الموضوعة تحت نظام الحماية الخاصة .[٣٥]

وأكدت اللائحة التنفيذية وجوب تعيين ممثل للممتلكات الثقافية الموجودة على أراضي أي طرف بمجرد اشتباكه بنزاع مسلح أما إذا احتل أراضي دولة أخرى فعليه تعيين ممثل خاص للممتلكات الثقافية الموجودة عليها .[٣٦]

والملاحظ على الاتفاقية أنها تسند مسؤولية تنفيذ أحكامها إلى القوى الحامية المكلفة بحماية أطراف النزاع والى منظمة اليونسكو المواد ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، من اتفاقية ١٩٥٤ .[٣٧]

فالاتفاقية لا تعهد بأي تفويض خاص إلى اللجنة الدولية للصليب الأحمر للسهر على احترام أحكامها ، ولكن ما من شك أنه يتعين على اللجنة الدولية الإشراف على احترام المادة٥٣ من البروتوكول الأول والمادة ٦، من البروتوكول الثاني . كما يجب عليها السهر على احترام أية أحكام أخرى واردة في اتفاقية جنيف أو البروتوكولين الإضافيين .

بل والأبعد من ذلك أن اللجنة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر برمتها هي المعنية بحماية الممتلكات الثقافية لأنها معنية بكل ما يتعلق بحماية ضحايا الحرب ولهذا السبب أعتمد مجلس المندوبين عام ٢٠٠١ قراراً هاماً حول هذا الموضوع .[٣٨]

وتجدر الإشارة إلى أن اتفاقية باريس بشأن التدابير الواجب اتخاذها لحظر ومنع استيراد وتصدير ونقل الممتلكات الثقافية بطرق غير مشروعة لسنة ١٩٧٠ حظرت تصدير الممتلكات الثقافية أو نقل ملكيتها عنوة كنتيجة مباشرة أو غير مباشرة لاحتلال دولة أجنبية لأراضي دولة أخرى وألزمت الدول الأطراف أن تحترم التراث الثقافي في الأقاليم التي تكون مسؤولة عن علاقاتها الدولية وحتمت عليها اتخاذ كل التدابير المناسبة لحظر ومنع استيراد وتصدير ونقل ملكية الممتلكات الثقافية في تلك الأراضي .[٣٩]

وحظرت المادة ٥٣ من البروتوكول الأول الملحق باتفاقية جنيف لسنة ١٩٤٩ جملة من الأعمال وذلك من دون إخلال بأحكام اتفاقية لاهاي المتعلقة بحماية الممتلكات الثقافية في حال نزاع مسلح لعام ١٩٥٤ وأحكام المواثيق الدولية الأخرى الخاصة بالموضوع وهي :

أ-ارتكاب أي عمل من الأعمال العدائية الموجهة ضد الآثار التاريخية أو الأعمال الفنية أو أماكن العبادة التي تشكل التراث الثقافي أو الروحي للشعوب .

ب- استخدام مثل هذه الممتلكات في دعم المجهود الحربي

ت- اتخاذ مثل هذه الممتلكات محلاً للهجمات الانتقامية .

ودعمت هذه المادة بنص المادة١٦ من البروتوكول الثاني الملحق باتفاقية جنيف لسنة ١٩٤٩ التي حظرت ارتكاب أي عمل عدائي موجه ضد الممتلكات الثقافية واستخدامها لدعم المجهود الحربي .

ولعل التقدم الأبرز في ميدان الحماية الدولية هو التعريف الذي وضعه النظام الأساس للمحكمة الجنائية الدولية المعتمد في روما سنة ١٩٩٨ إذ عرف الجريمة الدولية بأنها ((..... تعمد توجيه هجمات ضد المباني المخصصة للأغراض الدينية أو التعليمية أو الفنية أو العلمية أو الخيرية والآثار التاريخية ..... شريطة أن تكون أهداف عسكرية)) [٤٠] سواء ارتكبت في نزاع مسلح دولي أو غير دولي .[٤١]

المبحث الثاني
حماية الممتلكات الثقافية في محافظة ذي قار

لقد لاحظنا في المبحث الأول سعي الاتفاقيات الدولية في توسيع مفهوم الممتلكات الثقافية وتوسيع أساليب ووسائل الحماية الدولية التي تحظى بها تلك الممتلكات ونحاول في هذا المبحث التطرق إلى الأضرار والمخاطر التي تعرضت لها الآثار والممتلكات الثقافية في محافظة ذي قار حصراً ناهيك عما تعرضت له الممتلكات الثقافية في عموم العراق . وبما أن الاتفاقيات الدولية ألزمت الدولة المحتلة بتعضيد جهود السلطات الوطنية المختصة بقدر استطاعتها في سبيل وقاية الممتلكات الثقافية وألزمتها اتخاذ تدابير عاجلة للمحافظة على تلك الممتلكات لذا فإن هذا المبحث سيقسم إلى مطلبين ليناقش الأول جهود سلطات الاحتلال لتعضيد جهود السلطات الوطنية ويناقش الثاني اتخاذ التدابير العاجلة للمحافظة على الممتلكات الثقافية .

المطلب الأول
التزام الدول المحتلة بتعضيد جهود السلطات الوطنية للمحافظة على الممتلكات الثقافية

لم يكن تعامل مجلس الأمن ايجابياً أو حتى قانونياً مع قضية حماية الممتلكات الثقافية العراقية بشكل عام ذلك أن من مجموع خمسة عشر قراراً أصدرها مجلس الأمن بشأن ما يسمى الحالة في العراق [٤٢] لم يكن نصيب هذه القضية إلا فقرة في القرار ١٤٨٣ في ٢٠٠٣ هي الفقرة السابعة التي نصت على ((يقرر أن تتخذ جميع الدول الأعضاء الخطوات المناسبة لتسير أن تعود بسلام إلى المؤسسات العراقية تلك الممتلكات الثقافية العراقية والأشياء الأخرى ذات الأهمية الأثرية والتاريخية والثقافية وذات الأهمية العلمية النادرة وذات الأهمية الدينية التي أخذت بصورة غير قانونية من المتحف الوطني العراقي والمكتبة الوطنية ومن مواقع أخرى من العراق منذ اتخاذ القرار ٦٦١ (١٩٩٠) المؤرخ ٦ آب ١٩٩٠ بما في ذلك عن طريق فرض حظر على الاتجار بهذه الأشياء أو نقلها وكذلك الأشياء التي من المعقول الاشتباه في أنها أخذت بصورة غير قانونية ويطلب إلى منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) والمنظمة الدولية للشرطة الجنائية (الإنتربول) والمنظمات الدولية الأخرى حسب الاقتضاء المساعدة في تنفيذ هذه الفقرة)) . [٤٣]

كما وردت أشارة أخرى في ديباجة القرار ١٥٤٦ (٢٠٠٤) التي نصت على ((وأن يشدد على ضرورة أن تحترم جميع الأطراف تراث العراق الأثري والتاريخي والثقافي والديني وأن تحمي هذا التراث)) .[٤٤]

فالفقرتين أعلاه على مايرتباه على الدول الأعضاء من التزام باتخاذ الخطوات اللازمة للمحافظة على الممتلكات الثقافية العراقية وخصوصاً المسؤولية المباشرة على الولايات المتحدة وبريطانيا [٤٥] فإن هذه المعالجة لم تكن لتتناسب مع عدد القطع المسروقة والتي بلغت خمسة عشر ألف قطعة أثرية [٤٦]ومع مطالبات العراق للأمم المتحدة باستعادة آثاره المنهوبة والمهربة والتي تعود إلى الجلسة السادسة والستين من جلسات الدورة الثانية والثلاثين التي عقدت في ١١ تشرين الأول ١٩٧٧ ومن

ثم آثار مندوب العراق الدائم لدى الأمم المتحدة موضوع استعادة الآثار المسروقة والمنهوبة وذلك في كلمته أمام الجمعية العامة في ١/ ١١ /١٩٧٩ وفي نيسان من عام ١٩٨٧ أحال العراق إلى رئيس اللجنة الدولية الحكومية (١٧٠) طلباً بإعادة المحفوظات القديمة الموجودة حالياً في المتحف البريطاني .[٤٧]

وكانت لجنة من خبراء اليونسكو قد أوصت في ٢٨ أبريل ٢٠٠٣ بإقامة مؤتمر دولي حول الممتلكات الثقافية العراقية يضع خطة عملية لحماية تلك الممتلكات وإقامة وحدة عاملة تابعة لليونسكو يكون مقرها العراق لتنسيق جهود الوكالات الدولية والمحلية العاملة في هذا الميدان [٤٨] بعد تقارير تلقتها المنظمة تؤكد الأخطار الحقيقية التي تواجهها المواقع الأثرية في العراق من دمار [٤٩] هذا بالإضافة إلى ما تلقته المنظمة ومديرها العام كيو فيرد ميتور من إعلانات مفتوحة تطالب بتوفير حماية سريعة للممتلكات الثقافية العراقية .[٥٠]

لقد شهدت المواقع الأثرية في محافظة ذي قار عمليات نهب لا زالت مستمرة منذ عام ٢٠٠٣ مما جعل مصير آلاف القطع الأثرية مجهولاً وتؤكد عالمة الآثار الأمريكية إليزابيث ستون التي أمضت سنوات في التنقيب في المحافظة أن هذه القطع الأثرية تقدر قيمتها بمليار دينار عراقي وأعربت العالمة الأمريكية عن الأسف للانعدام التام للمعلومات بشأن القطع المسروقة وأكد ريتشارد سون أن هذه القطع على أقل تقدير ستعرض بعد خمس أو ست سنوات في معارض نيويورك وجنيف وطوكيو وأن الشيء المؤكد في ذلك كله هو حجم التدمير الهائل الذي لحق هذه المواقع وهو ما توضحه صور الأقمار الصناعية الملتقطة لتلك المواقع والتي تبدو فيها وكأنها أشبه بلوحة شطرنج تملؤها المربعات المحفورة الفارغة. [٥١]

وتشير مديرية آثار المحافظة إلى أن القوات الأمريكية احتلت المتحف والمواقع القريبة منه عام ٢٠٠٣ وحولتها إلى ثكنة عسكرية ثم سلمته إلى القوات الرومانية ثم إلى القوات الإيطالية التي تتألف من ثلاثة آلاف عسكري وهي رابع أكبر قوة بعد القوات الايرلندية والبريطانية والاسترالية وفي منتصف ٢٠٠٤ سلمت القوات الإيطالية المتحف إلى القوات العراقية ولكن المتحف وفي مساء نفس اليوم تعرض لحريق هائل كما تم إحراق المكتبة الثمينة الملحق به .

وتشير مصادر المديرية أيضاً إلى أن عمليات التنقيب الرسمي قبل عام ٢٠٠٣ كانت محصورة في أربعة مواقع هي جوخه وتل أم العقارب في الرفاعي وموقع يزيخ في القلعة وموقع شميث في مدينة الفجر أما الآن فهناك مئات المواقع تشهد عمليات تنقيب غير رسمية يقوم بها أشخاص عاديين ليس لديهم خبرة في كيفية التعامل مع الكنوز الأثرية والنفائس التاريخية ناهيك عن أن آلالات المستخدمة هي الفؤوس والمجارف العادية من دون أن تتم الاستعانة بالخرائط وغالباً ما تجري العمليات ليلاً مما يعرض القطع الأثرية لمزيد من الكسر والإتلاف أثناء عمليات الحفر.

أما جهود السلطات الوطنية فتتلخص بقوة حماية الآثار التي تشكلت عام ٢٠٠٥ من قوة محدودة قوامها ٢٠٠ شخص فقط تستخدم ١٢ أليه غير مدرعة وهي مكلفة بمهمة حماية المواقع الأثرية في عموم المحافظة والتي تنتشر على مساحات مترامية الأطراف تأخذ الشكل المثلث من حدود محافظة المثنى إلى حدود محافظة القادسية ثم إلى الجنوب ولذلك فإن هناك العديد من المواقع يتعذر على هذه القوة حمايتها بسبب وقوعها في مناطق نائية جداً أو تسيطر عليها مجموعات مسلحة خارجة عن القانون بالإضافة إلى انعدام الإسناد الجوي الذي يجعل مهمة هذه القوات غاية في الصعوبة .[٥٢]

ويؤكد (كودرفي) المستشار الثقافي لقوات

لقوات الاحتلال أن هناك مائة موقع أثري كانت بحاجة إلى الحماية في بداية تموز ٢٠٠٣ وأن عشرين موقع منها كانت تتعرض للنهب بشكل مستمر وتشير دراسات أخرى إلى أن جميع المواقع في المحافظة كانت تتعرض لعمليات نهب ولكن بدرجات متفاوتة مما أدى إلى اختفاء بعض المواقع اختفاء كلياً في حين تعرض بعضها للنبش والتخريب ومن بينها مواقع كبرى كتل نفر وتل المدائن وتل جوخة وتل شنكره وتل اللوح أسين بسما يا.[٥٣]

وبدورها أكدت مديرة هيئة الآثار والتراث العراقية أميرة عيدان أن محافظة ذي قار تشهد أكبر عمليات نهب للآثار العراقية مقارنة بباقي المحافظات العراقية وأن بلدة الفجر شمال المحافظة تعد واحدة من أكثر مناطق نهب وتهريب الآثار العراقية واصفة المنطقة بأنها ((سوق عالمي للتداول بالآثار)) [٥٤]وتضيف عالمة الآثار اللبنانية جوان فرسخ أن جيوش اللصوص والناهبين لم تترك حتى ولا شبراً واحداً من العواصم السومرية في محافظة ذي قار لقد شهدت بقايا الحضارة السومرية تدمير بشكل ممنهج في سياق البحث غير المتواني عن التحف الممكن بيعها وأن تلك المدن السومرية القديمة كان يمكن أن تقدم لو تم الحفر فيها بشكل لائق معلومات هائلة وجديدة عن تطور الجنس البشري وأن هذه العمليات إذا استمرت على هذا المنوال فإن العراق ربما ينتهي به المطاف وقد أصبح بلداً بلا تاريخ .[٥٥]

من جهة أخرى أثار اكتشاف منقبي أثار ايطاليون لرقيمات حجرية تعود إلى حضارة أور في الألف الثالث قبل الميلاد التساؤلات حول مشروعية مثل هذه الأعمال إذ وصفت رئيسة الفريق سيلفيا شيوري لوكالة الأنباء الإيطالية (أنيا) أن الاكتشافات تمت في موقع أثري لا يبعد كثيراً عن موقع مدينة أور حيث تتمركز القوات الإيطالية وأن وجود مثل هذه الرقيمات يرجح أن يوجد منها الكثير . [٥٦]

المطلب الثاني
التزام الدول المحتلة باتخاذ التدابير العاجلة للمحافظة على الممتلكات الثقافية

في الحقيقة أن هناك ثمة اختلاف في تحديد عدد المواقع الأثرية في المحافظة بشكل دقيق ولكن مديرية مفتشية أثار محافظة ذي قار تؤكد أن هذا الاختلاف موده الطرق المستخدمة في المسح الأثري فنظام المسح العسكري GRMS يظهر أن هناك أكثر من ألف موقع أثري أما نظام المسح المدني UTM وهو نظام عالمي فيظهر أن هناك ٦١٤ موقع فقط كمسح أجمالي بما في ذلك المواقع التي تعرضت للتنقيب بطرق غير رسمية .

كما تشير مصادر المديرية إلى أن مياه الأهوار غمرت عدداً من المناطق الأثرية المهمة الواقعة إلى الجنوب الشرقي من المحافظة في حين أن المياه غمرت بشكل كامل أربع مواقع أثرية على درجة كبيرة من الأهمية هي موقع أثار تل شعيب وموقع أثار تل الجلعة وموقع أثار الجفة وموقع أثار الجرباسي التي تقع جميعها على الضفة الجنوبية لنهر الفرات وأشارت مصادر المديرية إلى أن هناك تقارير علمية نشرتها الصحافة المحلية بكثرة كانت قد حذرت من تعرض المزيد من المواقع الأثرية في المحافظة وبالتحديد في مناطق مختلفة من أهوار المحافظة التي تمتد باتجاه محافظة البصرة جنوباً وباتجاه محافظة ميسان شرقاً والتي شهدت في الآونة الأخيرة ارتفاعا ملحوظاً في مناسيب المياه شمل أكثر المواقع الأثرية التي تقع على نهر الفرات القديم وتمتد في منطقة الخميسية في قضاء سوق الشيوخ إلى نهر عمر ٤٠ كم جنوب المدينة وكانت معظم هذه المواقع الأثرية قد ظهرت للعيان بسبب عمليات التجفيف التي نهجتها الحكومة العراقية منذ عام ١٩٩٠ حتى عام ٢٠٠٣ وعلى نطاق واسع ولكن الخطوات التي اتخذت بعد هذا التاريخ تضمنت بعض الإجراءات لإعادة المياه الى الأهوار لكن هذه

هذه الإجراءات لم تكن مدروسة بطريقة علمية مما أدى إلى تسرب المياه إلى أماكن ومواقع أثرية يعود تاريخها إلى ٢٥٠٠ سنة قبل الميلاد والتسبب في تدميرها أو الحيلولة دون الوصول إليها وشمولها بعمليات المسح وباستخدام الكاميرات الرقمية وتثبيتها على خرائط ((W.G.S.٨٤)) [٥٧].

ولم يكن ارتفاع مناسيب المياه هو الخطر الوحيد الذي يهدد الممتلكات الثقافية في المحافظة والذي يستلزم تدابير عاجلة بل كان هناك ما هو أشد خطورة ألا وهو اتخاذ مواقع تلك الممتلكات كثكنات عسكرية مما كان له أثار سلبية حقيقية على تلك الممتلكات من عدة وجوه أهمها :

أولاً : أن اتخاذ تلك الممتلكات كمواقع عسكرية مثلما حدث مع زقورة أور التي اتخذتها القوات الأمريكية كقاعدة عسكرية أطلقت عليها قاعدة (تليل) يؤثر تأثير سلبي هائل على بنية الموقع المذكور فحركة الاليات العسكرية وإقلاع الطائرات تعرض جدران وهياكل وأسس المواقع الأثرية للأضرار بل حتى لمخاطر الانهيار فالمقبرة الملكية تعاني في الوقت الحاضر من تداعي الجدران وتخلخل الأسس فضلاً عن ارتفاع الرطوبة والأملاح الناجمة عن تسرب المياه الجوفية وتراكم مياه الأمطار في قاع المقبرة في حين ما زال معبد (دب لا ما خ) يتعرض إلى زحف الكثبان الرملية التي تؤثر على جدرانه .

وبينت الصور المأخوذة عبر الأقمار الصناعية لمدينة أوروك القريبة من أور لعالمة الآثار الألمانية ما رجيت فان أس و التي كانت تجري أبحاثاً في المدينة قبل عام ٢٠٠٣ بتكليف من معهد الآثار الألماني أن الربوة التي شيدت عليها مدينة أور تضررت كثيراً بسبب أنشاء هذه القاعدة إذ أن الحفارات أزالت حياً بأكمله من الجزء الجنوبي الشرقي للمدينة في حين أوضح خبير الآثار البريطاني جون كور نيس أن الجيش الأمريكي أقام مبنى بكل ملحقاته من أسلاك ومواسير تحت الأرض في قاعدة (تليل) وهي مناطق لم يشملها التنقيب من قبل خبراء الآثار[٥٨] وتشير مصادر أخرى إلى أن نسبة الدمار بلغت ١٠ % سنوياً بسبب تواجد القوات العسكرية وإقامة السواتر وحفر الخنادق وجرف الأراضي وإدخال الآليات العسكرية الثقيلة[٥٩] ويذكر أن إنشاء مطار عسكري في مدينة أور يعود إلى الحرب العراقية الإيرانية إذ كان هذا المطار يؤمن دعماً لوجستياً للطائرات العراقية المشاركة في الحرب ولكن توسع الحرب وامتدادها فرض توسعة المطار حتى أصبح قاعدة عسكرية متكاملة محمية ببطاريات صواريخ أرض جو وبطاريات المدافع المضادة للطائرات وعدداً من وحدات الحماية وبالتالي كان لا بد لهذه الوحدات أن تتخذ مكانها حول القاعدة فانتشرت الأسلحة والصواريخ ومقرات التدريب على مساحة واسعة من الأرض أتت على مساحة واسعة من الآثار وساهمت في تدميرها وأعلنت المنطقة كمنطقة عسكرية يحظر على المدنيين دخولها وبعد ٢٠٠٣ استغلت القوات متعددة الجنسيات وجود القاعدة الجوية لتجعل منها مقراً لقوات التحالف فجرى مرة أخرى توسيع المكان وإنشاء أبنية ضخمة بطريقة دمرت الكثير من المواقع الأثرية والأراضي التي يقع تحتها تاريخ العراق واستمرت القوات المتعددة الجنسيات بمنع دخول الزائرين والمعنين إلى مدينة أور الأثارية إلا بعد الحصول على موافقات أمنية معقدة وكثرت نقاط التفتيش المحيطة بالمدينة مما أعاق عمليات الصيانة الضرورية التي تحتاجها بعض المواقع الأثرية خصوصاً إذا ما علمنا أن أخر عمليات الصيانة جرت لتلك المواقع كانت في الستينيات من القرن المنصرم ويواجه الخبراء والمعنيين ومفتشي الآثار في المحافظة صعوبات جمة في الوصول إلى تلك المواقع فكيف إذا كان الأمر يتعلق بزيارات دورية تتطلبها عمليات الصيانة .

ثانياً : أن اتخاذ الممتلكات الثقافية مواقع عسكرية يجعل تلك المواقع عرضه لعشرات الصواريخ فمدينة أور الأثارية التي تضم زقورة أور وبيت النبي إبراهيم (ع) وقصر شولكي

والمقبرة الملكية ومعبد (د ب لا ما ج) الذي يعد أقدم محكمة في تاريخ البشرية غالباً ما تتعرض إلى سقوط القذائف وصواريخ الكاتيوشا التي تصل أهدافها التي يرسمها المناوئون لوجود القوات المتعددة الجنسيات بل أن بعض تلك القذائف تسقط على بعد مسافة لا تتجاوز ٢٠ م عن زقورة أور التي يعود تاريخها إلى ٢٨٠٠ قبل الميلاد .

أن اتخاذ القوات المتعددة الجنسيات للمواقع القريبة من المواقع الأثرية قاعدة لانطلاق عملياتها القتالية جعل من المواقع الأثرية عرضه لسقوط القذائف والصواريخ فمتحف الناصرية تعرض للحرق لقربه من مقر القوات الإيطالية في حين تتعرض واجهته الأمامية للأضرار كلما نشبت مواجهات داخل المحافظة مع القوات الإيطالية أو مع فوج المهمات الخاصة الذي يتخذ من البناية المجاورة للمتحف مقر له مما أعاق وأخر افتتاح المتحف أمام الزائرين والباحثين والمعنيين وتؤكد مصادر مديرية المفتشية أن جماعات مجهولة تقوم بإطلاق القذائف والصواريخ على تلك المنطقة بشكل خاص على الزقورة فالمدينة الأثرية تتعرض أسبوعيا لسقوط صاروخ أو صاروخين ففي منتصف شهر شباط ٢٠٠٨ مثلاً أكدت المفتشية أن المصادر الامنية في المحافظة ابلغتها وقوع ثلاثة صواريخ في محيط المدينة على بعد ٣٠ م من الزقورة فيما سقط صاروخ أخر قرب بيت النبي إبراهيم (ع) أما في شهر آذار ٢٠٠٨ فقد تعرضت القاعدة العسكرية الأمريكية لهجوم بأكثر من تسعة صواريخ وقع اثنان منها في محيط مدينة أور وهكذا فلا يمر أسبوع واحد من دون أن يسقط وابل من الصواريخ والقذائف في محيط المدينة الأثرية أوضمن حدود مدينة أور .

وبذلك تكون الولايات المتحدة وقوات الدول المتحالفة معها خصوصاً القوة الإيطالية قد خرقت المادة الأولى من اتفاقية جنيف لعام ١٩٤٩ والمادة ٤٢ من اتفاقية لاهاي ١٩٠٧ [٦٠] والمادة الخامسة من الفصل الأول من اتفاقية لاهاي ١٩٥٤ والمادة ١٩ من تعليمات تنفيذ اتفاقية لاهاي ١٩٥٤ [٦١] وإذا كانت الولايات المتحدة لم تصادق بعد على اتفاقية ١٩٥٤ ولا على البروتوكلان الملحقان بها بحجة الخشية من أن يمنعها تصديقها هذا من استخدم الأسلحة النووية ((إذ أنه ليس بالإمكان الحؤول دون وصول مثل هذا الإشعاع إلى أماكن بعينها مهما كانت طبيعة هذه الأماكن)) ولكن الولايات المتحدة مع ذلك حرصت وفي أكثر من مرة على أتباع أكثر نصوص هذه الاتفاقية بعدها ((قانون دولي عرفي)) خصوصاً وأن الرئيس كلينتون أبدى في عام ١٩٩٩ رغبته في الانضمام للمعاهدة [٦٢] كما أن إيطاليا واستراليا ورومانيا كن من بين الأطراف التي صادقت على الاتفاقية فقد صادقت إيطاليا على اتفاقية لاهاي ١٩٥٤ في ٩ /٥/ ١٩٥٨ [٦٣] وصادقت على اتفاقية باريس ١٩٧٢ في ٢ / ١٠ /١٩٧٨ وعلى الاتفاقية الأوربية لحماية التراث الثقافي لسنة ١٩٦٩ في ١٦ / ٩ / ١٩٧٤ [٦٤]أما روما نيا فقد صادقت على اتفاقية ١٩٥٤ في ٢١ / ٣ / ١٩٥٨ .[٦٥]

الخاتمة

من ذلك يتضح أن المعاهدات والمواثيق الدولية قد حرصت أشد الحرص على تتبع مسألة الحماية الدولية للممتلكات الثقافية تتبعاً مزدوجاً اتخذ شكل توسيع نطاق هذا المفهوم عبر الاتفاقيات المتلاحقة كما اتخذ مفهوم توسيع نظام الحماية الدولية خصوصاً أثناء النزاعات المسلحة الدولية وغير الدولية بما في ذلك وضع الاحتلال الذي يتجسد بتحمل الدول المحتلة مسؤولية حماية الممتلكات الثقافية للدول تحت الاحتلال .

الذي يتجسد بتحمل الدول المحتلة مسؤولية حماية الممتلكات الثقافية للدول تحت الاحتلال .

ألا أن الملاحظة الجديرة بالاهتمام هو أن العراق تعرض وعبر تاريخه الحديث والمعاصر لعمليات نهب استهدفت أرثه الحضاري وتاريخه الذي يمتد ليشكل فجر الإنسانية جمعاء وأن مطالبات العراق تعود إلى سنوات مبكرة ولكن دون جدوى .

لقد اتضح بشكل جلي أن جميع المواقع الأثرية في محافظة ذي قار تعرضت أما لعمليات تنقيب عشوائي تستخدم فيها آليات بدائية تحطم وتهشم ألاف القطع الاثرية بحثاً عن كنوز ذهبية أو حلي أو لارتفاع مناسيب المياه خصوصاً مياه الأهوار التي ارتفعت بشكل غير منظم ولا مدروس ليتيح الفرصة أمام المهتمين بوضع أساليب للوقاية من مخلفات هذه الزيادة ويبقى الخطر الأعظم هو اتخاذ تلك المواقع كثكنات عسكرية مما يعرضها لمخاطر سقوط الصواريخ التي أخذت تسقط عليها بشكل منتظم ناهيك عن عمليات جرف وحفر الخنادق والمواقع التي يستلزمها وجود القوات العسكرية .

أن الزيارات الميدانية تؤكد بما لا يقبل الشك عمليات التدمير المنظم التي عانت منها جميع المواقع الأثرية في المحافظة بلا استثناء والتي ما كان لها أن تتم لولا انعدام السلطة وغياب القانون بعد عام ٢٠٠٣ .

أن هذه الدراسة يمكن أن تعطينا جملة من الاستنتاجات والتوصيات :

١- تتحمل الولايات المتحدة طبقاً لقرارات مجلس الأمن المشار إليها في الدراسة والقوات الإيطالية والرومانية طبقاً للاتفاقيات الدولية المسؤولية المباشرة عن التدمير الهائل الذي لحق بالممتلكات الثقافية في محافظة ذي قار .

٢- تتحمل الولايات المتحدة المسؤولية المباشرة عن الأعمال العسكرية التي قامت بها لبناء قاعدة تليل العسكرية ومطالبتها بالرحيل فوراً من القاعدة وتحويل القاعدة إلى مبنى مدني وفتحه أمام لجان الصيانة والمختصين والباحثين .

٣- تتحمل الولايات المتحدة والحكومة الإيطالية حصراً المسؤولية المباشرة عن أعمال التنقيب غير الرسمي التي قامت بها الفرق الأمريكية والإيطالية ويتحملان مسؤولية إعادة الممتلكات الثقافية المكتشفة جراء هذه التنقيبات إلى متحف المحافظة .

٤- زيادة عديد قوة حماية الآثار في المحافظة وبما يتلاءم مع الرقعة المكانية التي تغطيها تلك االقوة .

٥- تزويد قوة حماية الآثار والمفتشية بآليات مدرعة تمكنها من القيام بمهامها على أحسن صورة .

٦- نشر الوعي الثقافي في المحافظة بما يساهم من الحد من عمليات التخريب والتدمير في الممتلكات الثقافية التي يقوم بها الأهالي .

٧- إيجاد مركز للتنسيق بين المفتشية والجامعة والمحافظة والشرطة لغرض المحافظة على الممتلكات بوسائل شتى تقليدية ومبتكرة .

٨- الإسراع بفتح متحف المحافظة بعد تأمين الحماية اللازمة له وبعد استرجاع ممتلكاته من المتحف الوطني .

٩- الإيعاز لفوج الطوارئ الذي يتخذ من المبني المجاور لمتحف المحافظة بإخلاء المبنى فوراً وذلك لأنه يشكل انتهاكاً لأحكام الاتفاقيات الدولية .

١٠-التنسيق مع منظمة اليونسكو من أجل درج الممتلكات الثقافية في المحافظة وشمولها بنظام الحماية طبقاً للمادة ١٢ من اللائحة التنفيذية لاتفاقية ١٩٥٤ ووضع شعار الاتفاقية على الممتلكات المشمولة بهذا النظام طبقاً للمادة ٢٠ من اللائحة التنفيذية .

(١) كلية القانون /جامعة ذي قار

ذي قار تميّز بيئي وعمق تاريخي

بيئة البدو

حسن علي خلف (١)

المقدمة :
استوطن العرب القدماء في الحافات الغربية لنهر الفرات قبل مجيء الإسلام ، او بالمناطق الصحراوية التي تفصل جزيرة العرب عن نهر الفرات والتي تدعى بالبادية الغربية التي تمتد من الرطبة الى صفوان طولا . وهذه المجموعة من القبائل العربية ، تسعى وراء الماء والعشب ، وأحيانا تحتفر الابار لتستقر وتسمي (الركايا) الابار بأسمائها . والعربي ساكن الصحراء بطبيعته حر ، يأنف السيطرة على مقدراته ويترفع عن الخنوع . وكانوا يرون ان تخير بقاع الارض على الايام هو مدعاة للعز ويتسق مع تلك الأنفة ، فمن اجل ذلك كانوا يترفعون عن المدن والقرى ويحبذون البداوة ، و صارت سمتهم البداوة وديدنهم الارتحال لا يبتنون بيتا ثابتا بل يهيمون حيث عنَّ وطاب لهم ، بيوتهم على ظهور مطاياهم (إبلهم) ينصبونها حيث اقاموا معتمدين على ماشيتهم يغذونها بما انبتت الارض من عشب طبيعي ، ويتغذون بلحومها والبانها ويبيعون ما فاض لديهم منها ، ومن صوفها وشعرها ووبرها لسد ما بقي من احتياجاتهم والتي هي عادة ما تكون بسيطة لا تتعدى على الملبس او اكتساب درهم يستعينون به عند الحاجة . وجدير بالذكر ان العرب جميعهم من بدو وحضر من اصل واحد يقطنون بلاد واحدة هي شبه جزيرة العرب والواقعة بين الخليج وبحر عمان والاقيانوس الهندي والبحر الاحمر متصلة براً بسوريا والعراق . (والتي هي الان السعودية ودول الخليج واليمن) . فالحضر يقطنون السواحل من الجزيرة واخصب تلك السواحل هي تهامة وحضرموت وبعض سواحل اليمن والحجاز ، والاراضي المرتفعة المروية بماء المطر ، مثل هضاب نجد واليمامة والجبال الممتدة من حائل متخللة قسما كبيرا من بلاد الحجاز واليمن وتهامة، ولهم ايضا بعض البلدان في السهول . اما البدو فاكثر سكانهم في السهول ، يراقبون سير الفصول ، فاذا اشتد بهم الحر طلبوا الأنهر ومجاري المياه والأراضي النضرة ، واذا ذهب القيظ ونزل الغيث وارتوت الأرض وانبتت ربيعها ، توغلوا في القفار مستصحبين ماشيتهم وبيوتهم ، وهم في كلا الحالتين لا ينقطعون عن الاتصال بالحضر لبيع ما يفيض لديهم وشراء ما يحتاجون إليه من مأكول وملبوس . ولم يكن هنالك من فرق في اللغة والعادات والديانة بين البدو والحضر ،

العرب على حافات العراق :

اولا :- قبل الفتح الاسلامي :
سكنت العديد من القبائل على حافات العراق الغربية قبل الفتح الاسلامي ومن تلك القبائل قضاعة الذين سكنوا الحيرة بقيادة زعيمهم مالك بن نصر بن زهير . وبعد حروب مع ملك الفرس سابور الاول تركوا الحيرة ونزلوا مدينة الحضر . وهنالك ايضا قبائل قنص بن معد في الانبار واياد في الحيرة وعبد القيس في البطائح وبكر بن وائل على حافات البطائح وكانت معها عنزة وضبيعة وبنو النمر وغفيلة وبنو سدوس وعجل وشيبان وحنظلة . وكانت لبكر حروب مع الفرس ابرزها معركة ذي قار التي اتخذت مدينة الناصرية اسمها من تلك المعركة . وكذلك هنالك قبائل من مضر فيما كان على حافات الاهوار قبائل عامر بن صعصعة ، وسكنت الى جانبها بطون من كلب وحنظة وتميم الذين عرفوا ببني العم ،

ثانيا :- بعد الفتح الاسلامي اهلية :- :

حصد المسلمون انتصارات باهرة على الفرس في معارك ذات السلاسل والولجة والمذار والحني والجسر واكبر تلك المعارك القادسية التي تم بها فتح العراق وطرد الاجانب ، وتم تمصير البصرة سنة (١٤ هـ) المصادف(٦٣٥ م) وتمصير الكوفة (١٧ هـ) المصادف (٦٣٨ م) وقد تدفقت قبائل كثيرة الى العراق الخصب من الجزيرة العربية قسم منها سكن في هاتين الحاضرتين والاخر سكن في المناطق المحاذية للفرات والبطائح من جانبها الغربي ومن تلك القبائل ازد شنوؤة – بنو الحندق حلف بني تميم – بنو العم – بنو النجار بطن من الخزرج – بنو الليث بطن من بكر بن وائل – بنو العنبر بطن من تميم – بنو عبس بطن من غطفان – بنو العتيك مع حي من مزيقاء – الاسلم من خزاعة – الحارث بطن من مذحج – الرباب من تميم – بنو بجيلة – باهلة من قيس عيلان – جذيمة من طيء – دارم من حنظلة تميم – كنانة – مزينة بطن من طابخة – مازن من تميم – مجاشع من تميم - نمي بطن من عامر بن صعصعة – سدوس من ذهل بن شيبان – بنو سليم بن منصور – بنو عامر – بنو عوفة بطن من عبد القيس – عقيل بن عامر بن صعصعة – عبد القيس الذين منهم الجارود – عطارد من تميم – بطون من بكر بن وائل – قضاعة من حمير – بنو رياح من يربوع – بنو ربيعة – بنو رفاعة – رقاش بن بكر بن وائل – راسب من القحطانية – شيبان بن عكابة – خزاعة – بني ذهل الصغرى – بنو غطفان[١] . وقد اختلطت هذه الاقوام بالسكان الاصليين للبطائح ولمدن غرب الفرات من انباط وسومريين وبابليين وصابئة مندائية وتعايشت تجمعها تبادل المنفعة والتكافل الاجتماعي ، واستمرت هذه الحال في تغيير مستمر للخارطة القبلية طيلة العصرين الاموي والعباسي . فارتحلت اقوام وحلت اخرى غيرها ، وتجددت اسماء واضمحلت بطون . وحصلت فيها تمردات منها حركة القرامطة وثورة الزنج واستقلال عمران بن شاهين في البطائح الذي خلف سلالة دامت اكثر من مئة سنة [١] . واستمر هذا الحال طيلة حكم الدولة العثمانية الذي سبقه تشكيل امارة المنتفق وزعيمها العتيد راشد بن محمد بن مغامس الذي تم اسقاط امارته على ايادي الوالي العثماني اياس باشا بحدود سنة ١٥٠٠م ، وبذلك ولدت امارة المنتفق الاخرى بزعامة ال شبيب والتي استمرت الى حين تاسيس الناصرية سنة ١٨٦٩م ، والتي كان عمادها بني الاجود والقبائل الملتحقة بها وبني سعيد والقبائل المتحالفة معها وبني مالك والقبائل المنتظمة تحت لوائها.

القبائل البدوية المحيطة بالناصرية بعد تاسيسها :-

ان الصحراء في العراق تتكون من ثلاث مناطق ، هي بادية الجزيرة وهذه تقع بين نهري دجلة والفرات وتتصل بسوريا والبادية الشمالية التي تنقسم الى قسمين : الاول غرب الرمادي وانتهاء بغرب كربلاء ، اما القسم الثاني من غرب كربلاء الى وادي الخناق واللصف والزكلاء وعين عطبة ، والقسم الثالث من الصحاري هو البادية الجنوبية التي تبدأ من الزكلاء الى صفوان وهي تحادد محافظة الديوانية والمثنى وذي قار والبصرة . وفي هذه المنطقة (البادية الجنوبية) تسكن عشيرة الضفير ابتداء من بصية الى صفوان وتمتار هذه القبيلة من المدن المصاقبة للصحراء . مثل بصية وسوق الشيوخ والخميسية والزبير والسلمان واحيانا السماوة .فيما تقطن القبائل الريفية على حافة نهر الفرات الغربي والتي يتشكل منها اتحاد قبائل المنتفق ، وهي (مالك واجود وسعيد) . وعلى وجه الخصوص فأن القبائل المحيطة بالناصرية تماما هي قبائل

[١] - حسن علي خلف – المفصل في تاريخ مدينة الناصرية – ج١ ص ٥٧.

ال غـزي والحـسينات والـشواليش والعـصوم وال مـارد والـصبيخة وبعض قبائـل الاجـود فـي القـسم الغربي من نهر الفرات . اما شمال المدينـة فتقطنـه قبائـل ال مـصطفى والبـدور وقـسم مـن الحـسينات وقسم من ال ازيـرق . وشمال شرق المدينـة فكـان لقبائل ال ازيرق وقسم من خفاجة وال نياز وبعض القبائـل المتحالفـة مـع ال ازيـرق . وفـي الـشرق فتـسكن قبائـل الحـسينات والعـساكرة والقبائـل المتحالفة معها وقسم من عرب بني جعدة وقسم من الجوابر وقبائل ال ابراهيم . واللافت للنظر ان عملية توزيع الاراضي بموجب سندات الطابو في فترة تاسيس الناصرية ، وضعت معظم الاراضي بيد ال سعدون وبعض المتنفذين من سكان المدينة الجدد ، وحدث انقسام في ولاء العشائر بعد اعتقال ناصـر باشـا ووضـعه تحـت الاقامـة الجبريـة فـي الاستانة بين اتباع سعدون بن منصور وفالح بن ناصر . وكـان يغذي هذا الانقسام بن رشيد امير حايـل ، ومبـارك الـصباح شـيخ الكويـت والجانـب العثمـاني الـذي يتبـع سياسـة (فـرق تـسد) فحـدث اضطراب عظيم في المنتفق ، ولجأ سعدون باشا الـى اعمـال الـسلب والنهـب والغـزو ضـد العـشائر الموالية الـى ابـن عمـه الـشيخ فـالح بـن ناصـر[١] . فراحت الدولـة العثمانيـة تحـاول القـضاء علـى هذا المتمـرد ، وارسـلت العديـد مـن الحمـلات التاديبيـة ولكـن دون جـدوى ، بـل تمكـن سـعدون باشـا مـن القضاء على هذه الحملات وقتل قائدها في مدينـة الشطرة[١] . ولم يتمكن سعدون باشا وغيره من ال سعدون من اخضاع القبائل وتحويلها الى عبيد او فلاحين يستاجرون الاراضي من ملاك وهميين ، ومن جانب اخر ظلت العلاقة بين سكان الناصرية وباشوية بغداد غير مستقرة .

بيئة الاهوار :-

البيئـة الاخـرى الـذي يميـز منطقـة الناصـرية عـن محافظـات العـراق الاخـرى الـى جانـب البيئـة الصحراوية ، هي بيئة الاهوار المتكونه منذ تكوين السهل الرسوبي الذي نشأ بفعل ذوبان الزحافات الجليدية التي تغطي شمال العراق واوربا بل واغلب شمال الكرة الارضية . وسكن في هذه الاهوار اناس موغلون في القدم يعدون من طلائع الاستيطان الاولى في جنوب العراق سواء من (عصر العبيد) او العصور السومرية التي تلته ، والتجاء الاقوام السومرية الى الاهوار للاحتماء باحراشها من بطش الاقوام الغازية والتي قوضت سلالة اور الثالثة التي انشأها القائد (اورنمو ٢١١١- ٢٠٩٥ق - م) حيث تم تدمير هذه السلالة من قبل العيلاميين القاطنين في هضبة عيلام شرق العراق والتي هي (قسم من ايران اليوم)[١] . الى جانب هذه الاقوام هناك (الاقوام المندائية) او الصابئة ايضا كانوا يتعايشون مع سكان الاهوار وربما هم بقايا السومريين او الاكديين او البابايين . وان سومر التي حكمت العراق تعني فيما تعنيه (سكان القصب) أي سومريم وتعني (سكان الاهوار) فيما تعني كلمة اكديم (سكان السهوب) واختلط مع سكان الاهوار بقايا بعض الاقوام التي حكمت جنوب العراق (الناصرية اليوم) مثل الكوتيين والحيثيين واللولوبيين . وهذه اقوام غازية من خارج العراق واختلط ايضا مع سكان الاهوار قوم من الاخمينيين والساسانيين . وكانت هذه الاقوام تتعايش فيما بينها يجمعها روابط المصالح المشتركة ، الامنية والاقتصادية والاجتماعية واحيانا السياسية ، حيث غالبا ما يأوي المتمردون على السلطة الى هذه الاهوار . الى جانب هؤلاء السكان كان عرب عامر بن صعصعة يصاقبون هؤلاء السكان ويختلطون معهم . وبعد الفتح الاسلامي ازداد النفوذ العربي بمناطق الاهوار وطغى على حياة السكان الاصليين واصبح العنصر العربي هو السائد بلغته ودينه وطقوسه الى يومنا هذا . والاقوام الموجودة سابقا والتي اشرنا اليها ذابت ضمن هذا الوجود الجديد او تحالفت معه للحماية . فنقلت الاقوام العربية الوافدة الى الاهوار عاداتها وتقاليدها وحاولت فرضها على السكان الاصليين ولكن ذلك لم يدم طويلا ، حيث تخلق الكل بعادات وتقاليد السكان الاصليين الا اللغة والدين ،

، فكانت تمارس طقوسه بشكل يقترب من ممارسة سكان البراري والصحاري له . وان بيئة الاهوار بسيطة جدا من حيث المعاش وكسب الرزق والعمل والصناعات والممارسات الحياتية اليومية . فلم يكن هنالك تعقيد لا في الطقوس ولا في العلاقات الاجتماعية المبني اغلبها على صلة القرابة او العصبة للقبيلة والولاء للشيخ او للتجمع العشائري او للحي . فيما كان سكان المدينة بعد تاسيسها قليلي الاختلاط مع هذا المجتمع او المجتمع الصحراوي ولكنه بتقادم الايام ازداد واتسع ليشمل جميع مناحي الحياة وخاصة بعد دخول الانكليز وتهدم السور المحيط بالناصرية سنة ١٩٢٦ م ، سنة لوعة .

(١) باحث تاريخي

مشكلات الأشراف الاختصاصي

عبد الكاظم جابر ضمد(١)

يعتمد نظام الاشراف التربوي في الجمهورية العراقية على نوعين من الاشراف هما الاشراف الذي يختص بالتعليم الابتدائي والذي يقوم بالعملية الاشرافية فية المشرف التربوي . والاختصاص التربوي الذي يختص بالتعليم الثانوي والذي يقوم بالعملية الاشرافية فية الاختصاصي التربوي علما بان العملية الاشرافية واحدة .

فالاشراف التربوي هو نشاط يهدف الى تحسين المواقف التعلمية وخدمة جميع العاملين في مجال التعليم والتربية لاطلاق قدراتهم ورفع مستواهم المهني بما يحقق رفع مستوى العملية التربوية .والمشرف التربوي هو الفرد الذي لدية القدرة على احداث التغير في العملية التعلمية في المدرسة عن طريق ممارسته للسلطة المخولة له .اذاً فالاشراف التربوي والاشراف الاختصاص هما وجهان لعمله واحدة .

ومن خلال اطلاعنا على النظم التربوية في الوطن العربي لم نجد هناك مصطلحاً مهنيا يخص عملية الاشراف للتعليم الثانوي ومصطلحاً مهنياً يخص عملية الاشراف في التعليم الابتدائي ولامصطلحا يميز المشرف الذي يمارس عملة في التعليم الابتدائي عن المشرف الذي يمارس عملة في التعليم الثانوي بل وجد ان مصطلح المشرف التربوي مصطلح عام يشمل المشرف سواء مارس عملية الاشراف في التعليم الابتدائي او مارس الاشراف في التعليم الثانوي . ونوّدأن نذكر أن مصطلح الاشراف التربوي في هذا البحث يقصد بة العملية الاشرافية التي يقوم بها الاختصاصي التربوي في التعليم الثانوي . وهو فن التعاون مع مجموعه من الافراد يمارس المشرف عليهم سلطته بطريقة تحقق اقصى فاعلية في اداء العمل .

لقد اختلف التربويون في طبيعة العملية الاشرافية فمنه من نظر اليها على اساس انها تقوم على مجموعه من الافتراضيات ومن هذه الافتراضيات ان المدرسين اشخاص لا يعرفون مايجب ان يفعلوه وكيف يبحثون عن المعرفه والافكار الجديدة لذلك فهم يحتاجون الى المشرف التربوي الذي يتابعهم ويستقصي المعرفه لهم ويدربهم ، و آخرون يرون ان عملية الاشراف التربوي هي عملية تفاعل ثنائيه بين المدرس والمشرف تهدف الى تحسين العملية التعليمية بالاضافه الى النمو الشخصي والمهني للمدرس والمشرف على حد سواء ، ومنهم من يرى ان الاشراف سلسلة من التفاعلات والاحداث تتم بين المشرف التربوي والمدرس أي ان هناك مجموعه من المدخلات وبالتالي هناك مجموعه من المخرجات كذلك يرى البعض أن العملية الاشرافية هي عملية ديمقراطية تعاونية تعنى بالموقف التعليمي لجميع عناصره من مناهج ووسائل وبيئه ومدرس وطالب و تهدف الى دراسة العوامل المؤثره في ذلك الموقف التعليمي وتقييّمها للعمل على تحسينها وتنظيمها من اجل تحقيق افضل الاهداف ،. ومهما اختلف تعريف مفهوم الاشراف التربوي فان هدفه تحسين العملية التربوي غير ان هناك اختلافا بالاساليب والوسائل التي يجب اتباعها لتحقيق الهدف بشكل فعال (عبد العزيز عوضيه ٢٠٠١) .

ان التطورات التي شهدتها الانظمة التعليمية بشكل عام وتطورات الاشراف بشكل خاص واتساع مجال العمل فية والذي تغير تبعا له دور المشرف التربوي بشكل خاص اتضحت اثارها في تغير الكثير من مفاهيم الاشراف فالعملية الاشراقية في المؤسسات التعليمية على اختلاف انواعها تهدف الى دراسة الظروف التي تؤثر في عملية التربية والتعليم والعمل على تحسين تلك الظروف بالطريقة التي تضمن تنمية قدرات وامكانية الطالب وفق ماتهدف الية التربية عبر امتداداتها بين اكبر مساحة من نخبة المثقفين حيث تحولت النظرة الحديثة عن اطار الطابع الكلاسيكي للأشراف التربوي عندما كان يوجه اهتماماتة لمراقبة نشاطات المدرسين وتثبيت

فالاشراف التربوي بوصفة الحديث المتقن يقدم خدمة مهنية عالية فنية وعلمية وذلك لتنوع اغراضة وغاياتة في تعريف مستلزمات مهنية التدريس والقيادة والادارة للمدرس في المؤسسات التعليمية (عمر سعيد ٢٠٠٠) .

وانطلاقا من واقع الاشراف التربوي الحالي تظهر الضرورة في البحث عن الحلول اللازمة للانتقال بهذا الواقع في الممارسات الاشرافية الى المستوى الافضل المطلوب لتحقيق الاهداف ، وقبل البحث عن الحلول ينبغي ان يسبق ذلك عملية التشخيص حتى يتم العلاج.

اهمية البحث والحاجة الية

تعتبرالتربية من اهم الوسائل لحل القضايا الاجتماعية والاقتصادية وتحقيق الرفاهية لكل دول العالم وذلك لما لها من الاهمية واعتبارها الاداة الرئيسية لاعداد وتنمية القوة البشرية المدربة والقادرة على صنع التقدم وقيادتة (بهجت١٩٩٣)

.

ويشكل ميدان الاشراف التربوي احدى الميادين الهامة التي تدخل في صلب العملية التربوية بحيث يعد الركائز التربوية في تطوير العمل التربوي(النوري ١٩٩١) .

والمشرف التربوي يعتبر احد العناصر الفعالة في العملية التربوية حيث يساهم بشكل فعال في الارتقاء بعملية التعليم وتحسين اداءه كما يهتم بكفاءة وفاعلية عناصر الموقف التعليمي التي تؤثر على فاعلية العملية التربوية ككل ويعد الاشراف التربوي احد الاسس الهامة للعملية التربوية وهو بعد من ابعادها لاغني عنه ؛ حيث يشكل ميدانا هاما من الميادين التربوية التي تركز الانظار حوله في الفترة الاخيرة وذلك للارتقاء به وتطويره ،لما له من اهمية في تحسين عملية التعلم والتعليم وتطوير فاعليتها ولقد تطور الاشراف تطوراً هاماً ، وارتبط تطوره بتطور النظريات والفلسفات الادارية فالتطورات والاتجاهات العلمية التي احدثت تغيرا في مفهوم الادارة التربوية كان لها تاثير مباشراً وغير مباشراً في مفهوم الاشراف التربوي وتطويره من مرحلة التفتيش الى التوجية الى الاشراف الشامل (البلوشي ١٩٩٩) وتكمن اهمية الاشراف التربوي في تطوير المناهج والعملية التربوية بهدف تحسين عملية التعلم وارتباط العملية الاشرافية بمستوى التحصيل لدى الطلاب بقدر ما ينمو المدرس ينمو الطلاب (المغيدي ١٩٩٧) .

ويعتبر الاشراف التربوي حلقة الوصل بين التخطيط والتنفيذ في العملية التربوية ولهذا كله وجب الاهتمام بالاشراف التربوي وادراك اهميتة في عملية التعلم والتعليم ولاينبغي ان يتوقف هذا الاهتمام على التطوير اللفظي فقط وانما لابد من رصد واقع الاشراف التربوي ورصد مشاكله والمعوقات التي تحول دون تطويره ودراستها من اجل اتخاذ العلاج المناسب لها وذلك لان الاشراف التربوي اصبح حاليا ضرورة ملحة في كل سياسة تربوية.

(١) مرشد تربوي / مديرية تربية ذي قار

ثقافة اللاعنف والتسامح في التعامل مع الآخر

د.علي حسين الحلو

التسامح : لغة مشتقة من السماحة أي الجود ويقال: اسمح وسامح أي وافق على المطلوب، واسمحت الدابة انقادت والمسامحة : المساهلة .وسمح : جاد وأعطى عن كرم وسخاء والتسامح: يعني التساهل (١)
ولكن التسامح لا يعني تقبل الظلم الاجتماعي او تنحي المرء عن المعتقدات و التهاون بشأنها، انما يعني ان يبقى المرء حرا في التمسك بمعتقداته وان يتمسك الآخرون بمعتقداتهم، و الإقرار بأن البشر مختلفون ولهم الحق في العيش بسلام وهو يعني عدم فرض أراء الفرد على الغير، كما انه لا يعني خفة الفكر او جمود الحرية الفكرية و الأدبية للعقل البشري او الخوف من تكوين أفكار شخصية للإنسان او الخوف من الحوار، كما انه لا يعني ممارسة دور الحرباء بالتلون بفكر وآخر والقفز من عقيدة الى عقيدة فالتسامح اذن هو التعبير الأكثر كمالا لحرية الإيمان والتفكير، انه تأكيد لمشاعر الضمير و الإحساس (٢)
وفي بلدنا العراق _ وكما لا يخفى على الجميع _ انه بلد متعدد دينيا و مذهبيا و قوميا، فهناك المسلم و المسيحي والصابئي و اليزيدي و الشيعي والسني ومذاهب
مسيحية متعددة، والعربي والكردي والتركماني والآشوري والكلداني، إضافة إلى الاختلاف الثقافي والفكري والعقيدي ، وتنوع الاتجاهات السياسية وبلدنا اليوم بحاجة إلى إطار يوحد جميع الطوائف والأديان والشرائح الاجتماعية ومما لاشك فيه انه لا يمكن ان يصار إلى إطار توحيدي يضم كل الفئات والقوميات والاتجاهات وهو يرتكز الى الخصوصيات اياً كانت ، فالشعب بحاجة الى إعادة ترتيب أولوياته والبحث عن صيغ تستوعب التناقضات الدينية والقومية وتستجيب لطموحات.
الجميع بشكل متساو ، ولعل الصيغة الفضلى هنا هي المجتمع المدني.
والتسامح هو احد القيم التي يعتمدها المجتمع للخروج من أزماته على أساس التكافؤ في الحقوق بعيدا عن الإقصاء والتهميش، وهذا ما يحتاجه عراقنا العزيز للخروج من أزمة التراكمات التاريخية والصراعات الظاهرة والكامنة ، إذن فثقافة التسامح وإشاعة قيم التعايش والتعددية تطمح إلى خلق أجواء لا تسمح بانقلاب الاختلاف الى معارك دامية وإنما تبقى وجهات النظر محترمة في إطار القانون وحرية التعبير والرأي. (٣)

دلالات التسامح

التسامح...من وجهة نظر نفسية
يتمتع الانسان المسلم المتسامح بصحة نفسية عالية، ولديه قدرة متفوقة في التقييم ويدرك مدى سلوكه وانعكاسه على الآخرين وبه من صفات التفاعل والأداء بحيث ترضي الآخرين من الناس حتى باتت سمة الجودة في أداء العلاقات الاجتماعية هي السمة الثابتة نسبيا والغالبة على سلوكه، رغم انه يتعرض للكثير من الضغوط الخارجية لغرض الإثارة او محاولة إبعاده عن مساره الإنساني في التعامل مع مشكلات الحياة بهدوء، ولكن مصادر الجذب والتأثير لا تأخذ مفعولها به إطلاقا، فلديه درجة عالية من الرضا عن أسلوب الحياة الذي يمارسه ولديه من الثقة بالنفس بحيث يدركها الآخرون دون عناء ولديه قناعة كاملة بالاكتفاء الذاتي النفسي وبدوره يكون هذا الاكتفاء منعكسا في العلاقة مع الآخرين. ان الحاجة الى العطف والمحبة والتسامح ونبذ العنف تنم عن شعور عظيم باحترام الذات وقدرة عالية على الامتلاء النفسي الذي لا يجعل شعور العجز بالنقص والإحساس بالتفاهة سلوكا لأي منا فالعفو والصفح هو قدرة الإنسان على العطاء

الدائم، أما العنف والكراهية وسلوك القتل والعدوان وخطف الناس ينم عن النقص وقلة الرضا عن النفس ومن اجل ذلك كانت الحاجة الى العطف والصفح والتسامح ، ونبذ العنف مطلب حيوي يرمي إلى بلوغ الطمأنينة والظفر بالأمان النفسي.

-٣-

٢.التسامح.. من وجهة نظر تربوية
كلنا مطالبون بتوفير الأجواء المناسبة للتسامح وجعل- القيم التي نؤمن بها- ذات مضمون حياتي في مختلف نواحي تعاملاتنا ، وأولها تأصيلها في الأسرة الصغيرة وتشذيب سلوكياتنا بمزيد من التسامح . ان البيئة التي يعيش فيها الطفل يجب تهذيبها لمنع كل المثيرات التي تؤثر على حياة تحفز مسببات العنف، فنحن في الواقع مطالبون بتكريس التعايش في منهجنا ومدارسنا والتركيز المستمر لنمو أبنائنا وأجيالنا على التسامح.
إننا في حاجة ماسة إلى مراجعة مناهجنا الدراسية والى استئصال الخطابات الإنشائية وألا نشجع نمو مشاعر العزل العنصري بين الأطفال، كما إننا يجب ان نحثهم على تفهم الثقافات الأخرى وتذوق ما فيها من قيم جمالية و أخلاقية، فالتسامح في حقيقته تربية مستمرة، فمشاعر ضبط النفس و قبول الآخر و الإدراك باننا نعيش في عالم واحد تشترك فيه الأقطار المختلفة و تتعايش فيه الأعراق و الجنسيات جنبا إلى جنب هو نوع من التسامي فوق المطامع و المصالح الضيقة . ان التسامح يقضي بأن نرى مصالحنا في إطار مصالح الآخرين .ان على عاتق أسرنا ان تعلم أطفالها مناقشة الأمور العائلية كما يجب تعليم الأولاد داخل الأسرة أهمية الحوار و قبول الرأي الآخر مهما كان مخالفا له، ولعل ما يؤسف له ان التعليم في مجتمعنا العربي لا يشجع على الحوار ، فالمدرس نادرا ما يتحاور مع طلبته بل يريد منهم تلقي المعلومات المقررة فى المنهج ، كما لا يقبل

-٤-

منهم النقد ، فيما الأب يريد من سلطته الأبوية أن تهيمن على كل صغيرة وكبيرة في الأسرة و الحاكم لا يقبل بغير ٩٩،٩٩ % من أصوات الناخبين ، فهل في ظل هذه الأجواء ينمو حس النقد ، لذا فأن تكريس التسامح لابد ان يتغلغل في كل مفردات حوارنا وجنبات حياتنا والعمل على قبول الآخر في مختلف أبعاد مسيرة نهضتنا .

٣.التسامح ... من وجهة نظر إسلامية
ان الإسلام الذي جاء رسول الإنسانية محمد (صلى الله عليه واله وسلم) وقدمه ذلك التقدم الملحوظ حمل بين طياته قوانين عدة مهمة عملت على نشره في شتى إرجاء العالم الأكبر فمن أشهر هذه القوانين التي كان لها الدور الأكبر، قانون اللين و اللاعنف و التسامح الذي أكدت عليه الآيات المباركة فضلا عن الأحاديث الشريفة ، يقول سبحانه و تعالى ((و ليعفوا و ليصفحوا ا لا تحبون ان يغفر الله لكم)) اما التسامح من وجهة نظر السنة النبوية فهو يتجسد في كل قول و عمل للرسول الأكرم فيقول علية أفضل الصلاة والسلام ((رحم الله امرءآ سمحا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى)) ٠
ان سيرة الرسول محمد (ص) و أهل بيته عليهم السلام كانوا ابرز تجل و مصداق لسلوك منهجية السلام و التسامح في الأمة ، فالرسول الأكرم قائد الحركة السلمية اللاعنفية الأولى في تاريخ العالم وهو (عليه أفضل الصلاة و السلام) حامل راية السلم و السلام لأنه يحمل للبشرية النور و الهداية و الخير و الرشاد و الرحمة و الرأفة فيقول (ص) ((إنما أنا رحمة مهداة)) ولعل

-٥-

أروع شاهد على ما نقول عندما دخل النبي الأكرم (صلى الله علية وسلم) مكة فاتحا دفع الإمام

) ليحمل الراية ويصرخ (اليوم يوم المرحمة اليوم تصان الحرمة)) حينما كان يحملها سعد بن عبادة مرددا شعاره الجاهلي (اليوم يوم الملحمة اليوم تسبى الحرمة) كما عفا (صلى الله علية واله) عن كل المجرمين وقادة الحرب في قريش ولم يعاقب على جريرة خلال سنوات الدعوى وهو القائل قولته الشهيرة (اذهبوا فأنتم الطلقاء) لكل من ناصبه العداء حتى عفا عن وحشي قاتل عمه الحمزة ومن خلال هذه المنظومة القيمية

والأخلاقية نرى ان المطلوب من الإنسان المسلم دائما وأبدا ، وفي كل أحواله وأوضاعه ، ان يلتزم بمقتضيات التسامح و متطلبات العدالة ، فالتسامح كسلوك وموقف ليس منة او دليل ضعف وميوعة في الالتزام بالقيم ، بل هي من مقتضيات القيم ومتطلبات الالتزام بالمبادئ فالغلظة و الشدة و العنف في العلاقات الاجتماعية و الإنسانية هي المناقضة للقيم ، وهي المضادة لطبيعة متطلبات الالتزام وهي دليل ضعف لا قوة .

فعلينا إزالة السلبيات من خلال فحص أفكارنا و دوافعنا و مشاعرنا ثم بعدها نبدي تعاطفنا مع من سبب لنا الألم قبل ان نبدأ في تعلم كيفية التسامح معه ونتحرر من أفكار الماضي و ليعلم الناس جميعا ((ان التسامح مهارة من الممكن تعلمها مع شيء من التدريب وصقل هذه المهارة بدون تكلفة مادية وإنما بالابتسامة الصادقة لاختيار رؤية أخرى للحياة

د.علي حسين الحلو
اختصاص علم النفس/ جامعة ذي قار

-٦-

خاتمة

ان التسامح يزيل سرطان الكراهية . من نفوس الناس ويقدم لهم الدليل أيضا على ان العظماء من الأنبياء و المصلحين و المؤمنين ذاقوا المر من اجل التسامح و دعوا الى عدم نبذ الآخر وان اختلف معه وعلينا نحن البشر ان نتحلى بروح التسامح لا بروح التغاضي او النسيان او التصالح مع الأحقاد الدفينة ، فالتسامح هو التحول من موقف سلبي الى موقف ايجابي ٠

ان البشرية اليوم تموج تحت وطأة الكراهية و تعميق السلبيات الناجمة عنها ، فالبعض منا يكره أخيه المسلم من المذهب الآخر لا لأنه كفر او ارتد بل لأنه اختلف معه و الحال نفسه مع أصحاب الأديان الأخرى ،

الهيمنة الغربية

من الاستشراق ..... إلى العولمة

د. عبد الحسين العمري
جامعة ذي قار

توطئة

يواجه العالم العربي والإسلامي ، كما واجه من قبل ، الموجات التي جاءت من بلاد الغرب ، التي تمثل تيارات فكرية وعقائدية ودينية ، يواجه اليوم تحدياً لايقل في أهميته وخطره عن التيارات السابقة ، إن لم يكن أخطرها على الاطلاق وهو يمثل امتداداً لتحدً سابق عمل على قراءة الأخر وتشخيص نقاط الضعف والقوة ، وذلك هو الاستشراق ، الذي كان رواده ومنشؤه من حملة الفكر والقلم والثقافة ، إلا أنهم كانوا خير معين لصانعي القرار السياسي في تقديم أفضل ما لديهم من خيرات ومعلومات تسهم في صنع القرار الأمثل للسيطرة والتحكم بالشرق العربي والإسلامي . وأما التيار الجديد الذي يعد امتداداً للاستشراق ، فهو العولمة .

ما العولمة

وردت الإشارة الأولى للفظة (عولمة) في القاموس اللغوي وبسنة ١٩٦١، ولم تحظ بأي اهتمام أكاديمي ولم يتم تداولها بين الدارسين ألا في ثمانينات القرن الماضي ، كما أنها لم يتم تأليف الكتب عنها بشكل ملفت للنظر قبل منتصف الثمانينات سوى(٣٤) مؤلفاً كلها كانت في مكتبة الكونكرس الأمريكي ، ولم

(١)

ينشر كتاب منها واحد قبل عام ١٩٨٥.

والعولمة هي ترجمة لكلمة (Globalization) والتي قد تترجم إلى (كوكبة) إلا إن لفظة العولمة هي أكثر استعمالا في الأوساط الثقافية . وهي في ابسط تعريفاتها تعني جعل العالم بكل كياناته وبلدانه المختلفة وثقافاته المتعددة كياناً واحدا لاتفصله عن بعضه بعضاً حدود . بل يتحول بذلك إلى ما اصطلح عليه

(٢)

(القرية الكونية) ويعنى بها إن العالم يصبح كلاً واحداً مترابطاً عن طريق سبل الاتصالات الحديثة واعتماد أجزاء هذا العالم على بعضها فيما بينها اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً وثقافياً . إن العولمة في مفهومها الشمولي تتبنى علاقات اقتصادية وثقافية وسياسية وغير مقيدة على أساس إن البشر يتفاعلون فيما بينهم كونهم يقطنون كوكباً واحد اً من دون اعتبار لحدود أو مسافات فاصلة بينهم .

كذلك من تعريفات العولمة أنها (تعني بشكل عام اندماج أسواق العالم في حقول التجارة والاستثمارات المباشرة وانتقال الأموال والقوى العاملة والثقافات

والتقانة ضمن إطار من رأسمالية حرية الأسواق ،أولا،وثانياً، خضوع العالم

لقوى السوق العالمية مما يؤدي اختراق الحدود القومية والى الانحسار الكبير في سيادة الدولة وان العنصر الأساس في هذه الظاهرة هي الشركات الرأسمالية

(٣)

متعددة القوميات) ، مما يشير إلى أنها تعني ارتباط الحوادث وما يجري في كل إنحاء العالم فيما بينها من زاوية التأثر والتأثير في مجمل الحركة العامة الإنسانية سواءً أكانت على الصعيد المادي أم الثقافي أم السياسي .

من الاستشراق إلى العولمة :

إن العولمة في المجالات التي تعمل فيها ،الاقتصاد والسياسية والثقافة ،تؤسس لنمط جديد من أنماط السيطرة والتحكم خدمة لطرف دون الآخرين وهي بالنتيجة تعد مؤسساً فكرياً نشأ وخرج في متبنياته الإيديولوجية من رحم الاستشراق ؛ لان الاستشراق كان يعني الاهتمام بالشرق ومشرقته من اجل معرفة نقاط ضعفه وقوته .لكي يتجنب نقاط القوة التي تعد مناطق خطرة بالنسبة للغرب يجب تجاوزها وقد ترجمها ارنولد توينبي بقوله (صحيح إن الوحدة الإسلامية نائمة . ولكن يجب إن نضع في حسابنا إن النائم قد يستيقظ إذا أثارت البروليتاريا العالمية للعالم المتغرب ضد السيطرة الغربية ونادت بزعامة معادية للغرب ،

فقد يكون لهذا النداء نتائج نفسانية لا حصر لها في ارتياظ الروح النضالية للإسلام . حتى ولو أنها نامت نومةأهل الكهف أذا يمكن لهذا النداء إن يوقظ أصداء التاريخ البطولي للإسلام .....

وهناك من مناسبتان تاريخيتان كان الإسلام فيهما رمز سمو المجتمع الشرقي في انتصاره على الدخيل الغربي..ففي عهد الخلفاء الراشدين بعد الرسول حرر الإسلام سورية ومصر من السيطرة اليونانية التي أثقلت كاهلهما مدة إلف عام تقريبا. وفي عهد نور الدين وصلاح الدين والمماليك احتفظ الإسلام بقلعته أمام هجمات الصليبيين والمغول، فإذا سبب الوضع الدولي ألان حرباً عنصرية فيمكن

للإسلام إن يتحرك ليلعب دوره التاريخي مرة أخرى..... وارجو إن يتحقق ذلك)

وهذا الرأي طرحه توينبي والاستشراق هو الذي تتبناه الدوائر الغربية –آنذاك – إما العولمة فهي توسع مساحتها لتشمل العالم كله . والسبب في ذلك بروز دول استطاعت إن تجد لنفسها مكانا على الساحة السياسية والاقتصادية والثقافية ، بما في ذلك سيادة القيم الرأسمالية الليبرالية وتحرير الأسواق وخصخصة القطاعات العامة وإزالة التعريفة الخاصة بمرور البضائع ، هذا على صعيد النشاط الاقتصادي ، إما على الصعيد السياسي فهي تعني الهيمنة على الوضع السياسي العالمي ، ومؤسساته والقضاء على القرار السياسي المستقل تلبية للقرار السياسي أحادي القطب الذي يقود العالم وعلى الصعيد الثقافي ، فهي (العولمة) تعني إيجاد نمط من الثقافة الاستهلاكية تقوم على تفكيك الثقافات المحلية وضرب

(٥)

الجذور لكثير من التقاليد الوطنية ، وتهدف أساسا إلى التفكيك المتعمد للكيانات ذات الاستقلالية الثقافية والسياسية والاقتصادية وتحويلها إلى كيانات هزيلة مسلوبة الإرادة تسودها نزعات قبلية أو طائفية أو لغوية ثقافية ،لأجل إفقادها القدرة على مواجهة الزحف الرأسمالى العالمى ،

وإشاعة ثقافة كسيحة تخاطب الغريزة والحاسة وتبتعد عن مخاطبة العقل لإشاعة الأحباط والخضوع ، ثقافة تتبنى في منهجيتها الحصول على اللذة وتهتم بالمصلحة الفردية أكثر من اهتمامها

بالقيم والمثل والمعاير الأخلاقية ؛ لأنها تهدف إلى إشاعة ثقافة الجنس الشاذ والعنف المدير ، وهكذا نفهم لماذا هي تتبنى عولمة السلع والخدمات والأفكار والعادات والتقاليد وأنماط السلوك وأنواع الملابس والأطعمة والأفلام والغناء والموسيقى والعلوم والفلسفات وجميع إشكال الفنون والآداب والثقافة .

يرى الذين يروجون لظاهرة العولمة أنها تهدف لتقدم وتطور الناس والبلدان لأنه

النظام العالمي – حسب رؤيتهم – هو نظام رشيد يضم العالم بأسرة ، فلم يعد هناك انفصال أو انقطاع بين المصلحة الوطنية والمصالح الدولية ، وبين الداخل والخارج وهو يحاول إن يضمن الاستقرار والعدل للجميع بما في ذلك المجتمعات الصغيرة ، ويضمن حقوق الإنسان للإفراد وهو سينجز ذلك من خلال مؤسسات دولية رشيدة مثل هيئة الأمم المتحدة ومنظماتها والبنك الدولي وقوات الطوارئ الدولية ، وسيتم هذا كله ضمن ما يقال له الشرعية الدولية)

(٦)

ومن هؤلاء الذين يروجون لذلك كثير من الأكاديميين ويحاول تسويغ العولمة وإضفاء صفة الشرعية عليها ولذلك فقد وصفوها بأنها نهاية التقدم البشري ونهاية التاريخ وانه يجب على الجميع ، إفرادا وجماعات ،إن ينخرطوا ويتكيفوا مع النظام العالمي الجديد ، إن هم أرادوا التقدم والإزهار – والبقاء – رغم معارضة البعض الأخر لذلك لأنها من وجهة

(٧)

نظرهم تهدف إلى الهيمنة والاستعمار الجديد وخدمة المؤسسات العالمية.

إن هذه التوجهات المتعارضة لدى كثير من الفئات المثقفة والطبقات النخبوية في المجتمعات

العربية والإسلامية ، هي واحدة من أهداف الاستشراق سابقاً ، العولمة ألان ، حيث إن الاستشراق ، كان وما يزال ، يحظى لدى كثيرين في الثقافة العربية بأنه أسهم في رفد المجتمعات والسعي لإخراجها من ظلمات التخلف وجعلها تسير على طريق التطور والرقي ، وهذا ما تفعله العولمة ألان ، برأي الكثيرين ، وهذا يعني من منظور عقلاني صحيح ، انسلاخاً عن الأصل وإتباعا للمستورد ، وكذلك يعني فقدان الثقة بالموروث والنفس وان العقلية التي تؤمن بذلك هي عقلية جامدة متحجرة غير مبدعة . تمثل الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها العولمة عن طريق ما تسلكه أو تتبناه من وسائل ، حالة اتساع وشمولية للنظرية الغربية في السيطرة على العالم ، وأهداف العولمة هي ذات الأهداف التي سعى الاستشراق والمستشرقون في تحقيقها ، حيث يكاد إن يكون الهدف العلمي (ظاهرياً) . والهدف الديني والسياسي وغيرهما هي الأهداف نفسها إلتي تسعى إليها العولمة ألا أن الاستشراق كان يبغي الشوق الإسلامي لما يمثله تاريخاً من حضارة واتساع رأي فيها للمستشرقين. إن الإسلام مثل حالة من حالات العالمية المنتصرة والتي أثرت في وقتنا الحاضر في ظهور العولمة المضادة أي (العولمة الغربية) ولان الاستشراق نشأ في أحضان الحروب الصليبية ، بل إن المستشرقين كانوا فيما بعد – إبان الاستعمار الغربي للبلاد الإسلامية والعربية – وبما قدموه من نتائج أبحاثهم العلمية وما قاموا به من جهد فكري على صعيد تحقيق المخطوطات وفرزها وإحصائها ومعرفة أمكنة وجودها ، وكذلك دراسة اللغة العربية وآدابها وجهود علمائها ، كانوا يقدمون كل ذلك إلى أصحاب القرار السياسي لكي يكون دليلاً للتعامل مع المشرق الإسلامي والعربي وإما الهدف السياسي فقد كان يمثل الرباط الوثيق بين الاستشراق والاستعمار الغربي للبلاد الإسلامية حيث إن المستشرق لم يكن باحثاً علمياً فحسب ، بل كان باحثاً علمياً غربياً وهذا يجعله يكتب لابوحي ضميره العلمي ، بل بوحى انتمائه الجغرافي الجغرافي والديني والسياسي وهذا يجعله غير موضوعي (وانه في اللحظة الحاسمة التي كان فيها على المستشرق إن يقرر ما إذا كان ولاؤه مع الشرق أو مع الغرب الفاتح ..

(٨)

اختار المستشرق الغرب ،ودائماً منذ نابليون ، وحتى اللحظة الحاضرة) لذلك (فقد حمل الاستشراق الحديث –في ذاته – معالم الخوف الأوربي

(٩)

العظيم من الإسلام) ،وهو السبب نفسه الذي يدفع الغرب ألان إلى تبني نظرية العولمة باتجاه العالم بأكمله ،وان الهدف الاقتصادي بات يملي على الغرب إتباع أساليب جديدة في بسط هيمنتها العالمية ويبدوان نظرية العولمة هي -في المفهوم الغربي – اقرب الطرق لتلبية المصالح الغربية إذ أنها يشترك فيها الجانب الثقافي والاقتصادي والسياسي والديني الاجتماعي ممثلة هذه الاتجاهات بوسائل الاتصال الحديثة من الأقمار المخصصة لنقل مكالمات الفاكس والهاتف وأجهزة النداء والخاصة بنقل البث الإذاعي والتلفازي والبث المباشر إلى المنازل .

كذلك تقوم شبكة الانترنيت بنشر معلومات وثقافات ذات مستوى علمي وأخلاقي متدنٍ لأنه محكوم بغايات هدامة لثقافة الأخر واخلاقة وسلوكياته التي تمت بجذورها إلى متبنياته الفكرية والعقائدية والتراثية ،مما سبب إفقاده الثقة بنفسه وإتباع الثقافات الممنهجة –على طريق العولمة ، وهذا ما يسهل السيطرة عليه وجعله تابعاً مستهلكاً لما تنتجه الثقافة التي تبغي الهيمنة عبر القارات ..

الهوامش

١- ينظر:الثقافة الإسلامية والتحديات المعاصرة /٥٢٠

٢- المصدر والصفحة.

٣- العرب والعولمة /٤١٢.

٤- مذاهب فكرية معاصرة /٦٥٢.

٥- محنة العولمة /٩.

٦- النظام العالمي الجديد /١٨٠.

٧- الثقافة الإسلامية والتحديات المعاصرة /٥٢٤

الحداثة وسياسة البيت الأبيض

الدكتور رياض صبار(١)

من الواضح أن أيدلوجية الدولة ـ أية دولة ـ أخذت تستوعب أغلب الشرائح المثقفة . لتكون هذه الشرائح المبررة الشرعية والمعبرة عن أيدلوجية النظام السياسي بحجة الحداثة والتغير وأصبحت الشرائح المثقفة كما يصفها (ريجيس دوبريه) أنها (الحارس أو شرطي الأفكار)
وأصبحت الدولة أداة أنتاج الأفكار وتسويقها .
رفضت الثورة الطلابية في آيار ١٩٦٨ في فرنسا هذا التوجه واكدت رفضها للبنى التحتية والفوقية التي تحكم المجتمع ورفض كل ماهو قديم وتقليدي وطائش من افكار ورفضت السلطات وكل ما يكتشف فيه قيداً على الحرية والديمقراطية ذلك أن كل سلطة هي سلطة لتهميش ما دونها وماالحداثة إلا حاثة التهميش حداثة العسكر وتحت شعارات الثورة الطلابية ذوت تيارات فكرية شغلت الساحة الثقافية والفلسفية والفكرية مثل الحداثة والبنيوية.
بيد أن الحداثة أصبحت شعاراً لسياسة البيت الأبيض بعد أن غادر الفكر الأمريكي مفاهيم الاستعمار القديم ، عاد ثانية باسم الحداثة ..الديمقراطية..العولمة.التي شرعتها امريكا ثانية بتنظير الاستلاب وإخضاع الشعوب لتحديثها سواء اكان ذلك بروح الحداثة ام بآلية التفكيك ام بتهميش ما امكن من قوى الشعب الفاعلة .
وقد وصف النظام السياسي لأدارة البيت الابيض قواه العسكرية بقوى التحرر والديمقراطية وأداة التغير والحداثة.
واخذ موضوع الحداثة يشغل اغلب الدراسات واهتمام المثقفين في مقوماتها الاساسية المحددة في : الذات والعقل والتأريخ . وتشغل كل مفردة من هذه المفردات مساحة شاسعة من التنظير لتلتقي في النهاية على هدف مفاده أن تتوجه انظار قوى التغيير الى الطبيعة والانسان بدلاً من (الميتافيزيقيا) الفضاء الخارجي لتبيح استخدام القوة العسكرية وفرض عوامل الحداثة وآلياتها بالاحتلال وهي عودة لمفاهيم الاستعمار القديم ولكن بثوب الحداثة.
لتضمن الدول الكبرى سلامة التعامل مع شعوب مستلبة خاضعة لارادتها . وصاحب هذا التيار السياسي العسكري في الادارة الامريكية نخبة من المساومين والمضاربين في الثقافة والسياسة والأعلام لتسليع النتاج الفكري وتسويقه المعبر عن ايديولوجية النظام السياسي للبيت الأبيض الذي يعتمد اساساً على اجهزة رصينة تأخذ على عاتقها الترويج لفكرة الحداثة في الاحتلال بوصفهم أنموذجا كاملا . واباحة تقويض الأنظمة والشعوب والعبث بكل مقدراتها من فكر واعتقاد ونظم سلوكية واخلاقية بدعوى اعادة البناء والترتيب على اسس حديثة تليق بعصر العولمة والانفتاح الحضاري في زمن الأتصالات.
يعجز المرء احياناً لاستيعاب الدعائية الاعلامية والفكرية لقوى الاحباط والخيبة المعبرة عن ايديلوجية النظام السياسي والمهيمنة في عالم ضاع فيه الخيط والعصفور . ويقف احياناً اخرى مذهولاً من سفسطائية التنظير الاعتباطي لما يسمى الحداثوي السياسي ليس لأن تنظير هذه القوى عصي على الفهم انما لارباك المفاهيم وسذاجة الخطاب المتغافل لحقوق الاخرين ذلك يكيل بمكيالين فمن أين جاء الاحتلال بعوامل الحداثة ؟ نعرف الجواب على ذلك :ـ ((علمنا هوميروس الكذب بصورة لائقة)) كما قال ارسطو أي حداثة تلك التي ترى انهم يمثلون النموذج الكامل والآخر ليس اكثر من شيء عديم الفائدة مما يعطيهم الحق في السيطرة عليه وادعاء العمل على تحديثه ؟ اذا كانت((الحداثة نمط حضاري متميز يناقض النمط التقليدي)) كما عرفها (بوديارد) فاي نمط عسكري دموي حضاري ذلك الذي يلغي الاخر ويفرض سلوكياتها واخلاقياتها ، وهل الأستعمار القديم نمط حضاري مميز ؟
اذا كانت العلاقة بين الافراد ـ كما تدعي الجهات المهيمنة ـ انتقلت من نمطها التقليدي (غير

الرسمي) الى نمط (رسمي) لدخول المجتمعات عصر التصنيع والعلم والفردانية - مع التسليم بهذا الامر اذا صح في المجتمعات العربية - فهل يؤدي ذلك الى فقدان المجتمعات والشعوب هويتها المعرفية والاخلاقية واساسيات سلوكها القيمي ؟ حتى تستهل قوى الظلام والدمار والتفكيك تغيير ثوابت هذه المجتمعات،ووسمها بما تشتهي من نتاجات تحت مسميات خادعة من ديمقراطيات شكلية وتقدم ممتهن وحريات مزكومة ببنادق الميليشيات والطوائف التي حرقت الاخضر واليابس بعباءة الدين . ليس ضد احد ، ليس ضد الدين ، وليس ضد العلم والتقدم ، ونرقص للحداثة والديمقراطية لان مجتمعاتنا (موت ــ قراطية) منذ زمن ومتمسكين بان نحب لأخينا كما نحب لأنفسنا غير ان الحداثة اكدت على الذاتية التي ارتكزت على العلم ، فقوى الاستكبار الحداثوية ترى نفسها (السيد) واجب الطاعة والخضوع ، والطبيعة والانسان ليس اكثر من شي يجب اخضاعه بالقوة . ولذا حسبت هذه القوى ـ اتباع (مونيكا) على وجة التحديد ــ ان شعوب العالم الضعيفة تشكل الجزء الاهم من هذه الطبيعة ،فيجب اخضاعها بالقوة ، حتى تساهم في تمكين قوى الدمار من امتلاك القدرة والاقتصاد بما يمكنهم من ايجاد نظام سياسي يعدهم بالقوة والتقدم والمتعة والنمو . وبهذا التوجه الاستعماري تحولت المنظومة القيمية التي تطرحها الحداثة لسطوة القطب الواحد . اذ اصبحت الحداثة تضمن لنفسها السيطرة على دول وشعوب العالم ، وترى في ذلك رسالة عليها ان تقوم بها ، لانها تمثل النموذج الكامل

ولا تخلو جعبتها من اهداف مضمرة في الربح وحساب الاقتصاد بما يخدم الانسان والقيم الراسمالية في المجتمع الامريكي . فمن اين ياتي الاعتبار في تنظير الحداثة السياسية ؟ السيطرة على طبيعة العراق ؟ الم يكن للذات والعقل والتاريخ كمقومات

للحداثة صوت شاحب في المفهوم الامريكي ؟ وكيف نحسب تنظير تفكيك المؤسسات العراقية في حداثة الهيمنة والاحتلال ؟ واحداث قيم ماانزل الله بها من سلطان ، تبحث عن صراط مستقيم في عقول نخرة لبعض المتزلفين ؛ احفاد (داود) المصابين بعقدة اوديب ، المتفككين قطاع الطرق واشباه الرجال .

(١) أستاذ الأدب العربي/جامعة ذ ي قار

بين الصدر وماركس

الدكتور صلاح الجابري(١)

لماذا لم تتحقق نبوءة ماركس بتحول الرأسمالية في الدول الغربية إلى مرحلة الاشتراكية؟
لقد استعمل الصدر تناقضا آخر أعاق حركة التناقض الذي اكتشفه ماركس بين الطبقة الرأسمالية والطبقة العمالية. وهذا التناقض الذي تحدث عنه الصدر هو الذي يفسر لنا سبب عدم تحقق نبوءات ماركس حول التحولات التي كان يجب أن تشهدها الدول الرأسمالية الكبرى نحو الاشتراكية، بل لقد تحقق العكس وهو أن النظام الرأسمالي في الدول الرأسمالية ازداد ترسخاً يوماً بعد يوم ولم تبد عليه بوادر الانهيار. وعلى العكس مما تنبأ به ماركس، فإن العمال لم يزدادوا بؤساً وفقراً واستغلالاً، بل ازدادوا ثروة ورخاء، وأصبحوا مدلّلين من قبل الطبقة الرأسمالية المستغِلة. ما الذي حصل إذن؟ يقول الصدر: ((إن هذا الذي وقع - في الحقيقة - كان نتيجة تناقض آخر عاش مع التناقض الطبقي منذ البداية. ولكن ماركس والثوار الذين ساروا على هذا الطريق لم يستطيعوا أن يكتشفوا ذلك التناقض، لهذا حصروا أنفسهم في التناقض الطبقي، وفي التناقض بين المليونير الأمريكي أو الإنجليزي وبين العامل الأمريكي أو الإنجليزي، ولكنهم لم يدخلوا في الحساب التناقض الآخر الأكبر الذي أفرزه جدل الإنسان الأوربي، وأفرزه تناقض الإنسان الأوربي فغطى على هذا التناقض الطبقي، بل جنده، وأوقفه إلى فترة طويل من الزمن)) [١]. ماذا يقصد الصدر بجدل الإنسان؟ يقصد أن كل أشكال التناقض بما فيها التناقض الطبقي وليد الإنسان، وليد تناقض جدلي مخبوء في داخل محتوى الإنسان، هو ذلك التناقض بين جزئه المادي الترابي وجزئه الروحي والمعنوي. فليس التناقض الطبقي وليد تطور الآلة، كما افترضت ذلك الماركسية بل هو وليد جدل الإنسان، وهو من صنع الإنسان الأوروبي، وليست الآلة هي التي خلقت النظام الرأسمالي، وإنما الإنسان الأوروبي الذي وقعت هذه الآلة بيده هو الذي أفرز نظاماً رأسمالياً يجسد قيمه في الحياة وتصوراته للحياة، بكلمة واحدة يجسّد محتواه الفكري الذي ارتكز على جزئه المادي. فالتناقض الأكبر إذن ، الذي التفت إليه الصدر، هو بين نظامين فكريين، أو أيديولوجيتين متقابلتين، هما: المحتوى الفكري للإنسان الغربي، والمحتوى الروحي والفكري للإنسان الشرقي.
فذلك التناقض الآخر هو الذي دفع الرأسمالي المستغل إلى أن يتحالف مع العامل، لكي يشكل هو والعامل قطباً في هذا التناقض، فلم يعد التناقض تناقضاً بين الغني الأوروبي والعامل الأوروبي، بل إنّ هذين الوجودين الطبقيين تحالفا معاً وكونا قطباً في تناقض أكبر بدأ تاريخياً منذ بدأ ذلك التناقض الذي تحدث عنه ماركس.
أما ما هو القطب الآخر في هذا التناقض؟ فهو شعوب العالم الثالث أو الشرق عموما.
وقد انعكس هذا التناقض الأكبر اجتماعياً من خلال صيغ الاستعمار المختلفة التي زخرت بها الساحة التاريخية منذ أن خرج الإنسان الأوربي والأمريكي من دياره ليفتش عن كنوز الأرض في مختلف أرجاء العالم، ولينهب الأموال بلا حساب من مختلف البلاد والشعوب الفقيرة.
إن هذا التناقض غطى على التناقض الطبقي، بل جمَّد التناقض الطبقي؛ لأن جدل الإنسان من وراء هذا التناقض كان أقوى من جدل الإنسان من وراء ذلك التناقض. إنّ الثراء الهائل الذي تكدس في أيدي الطبقة الرأسمالية في الدول الرأسمالية لم يكن كله، بل ولا معظمه من نتاج عرق جبين العامل الأوروبي والأمريكي وإنما كان نتاج غنائم حرب، وكان نتاج غنائم غارات على البلاد الفقيرة، وعلى بلاد أخرى استطاع الإنسان الأبيض أن يغزوها وأن ينهبها...
ومن خلال هذا التناقض وجد الرأسمالي الأوربي والأمريكي أن من مصلحته أن يقاسم العامل شيئا من هذه الغنائم التي ينهبها مني ومنك ومن

والمستضعفين في الأرض... ولهذا نرى أن العامل بدت حياته تختلف عن نبوءات ماركس...))[١]
والنتيجة التي يخرج فيها الصدر هي أن التناقض لا يمكن حصره في صيغة واحدة هي التناقض الطبقي بين الرأسمالية والطبقة العاملة، بل إنّ له صيغاً متعددة، وكل هذه الصيغ تنبع من منبع واحد وهو التناقض الرئيسي المتمثل بالجدل الإنساني.
ولكننا نلاحظ أن تعليل الصدر لفشل نبوءات الجدل الماركسي يستبطن اعترافاً بأطراف الجدل نفسه، أي واقع التناقض الطبقي؛ فحديثه عن اكتشاف تناقض آخر أكبر من التناقض الطبقي، بصفته السبب الواقعي من وراء عدم تحقق نتائج التناقض الطبقي التي تنبأ بها ماركس، يعني أنه يعترف بموضوعية التناقض الطبقي، لكنه يختلف في تحديد سببه، و في تحديد وظيفته. فالتناقض الطبقي هو مصداق من مصاديق جدل الإنسان الأوروبي نفسه، في داخل مجتمعه، ومصداق آخر لهذا الجدل خارج المجتمع الأوروبي هو السبب في توحيد الطبقتين العاملة والرأسمالية في تقابلها مع طرف أكبر هو الآخر (الإنسان الشرقي أو الشعوب الفقيرة بشكل عام).
فهل هذا يعني أنه لولا هذا التناقض الأكبر لتحققت نبوءات ماركس، وهل يقصد الصدر هذا المعنى؟؟ أو نسأل سؤلاً بنيوياً: هل تسمح نصوص الصدر ذاتها بهذا المعنى؟ من دون الحاجة إلى أي مستوى من مستويات التأويل، فإن النصوص تشير صراحة إلى أن التناقض الطبقي، بوصفه شكلاً من أشكال جدل الإنسان، أو مصداق من مصاديقه، هو واقع موضوعي، لكن هذه النصوص ترفض تماماً أن تمنح هذا التناقض صفة الخالقية أو المحرِّك للتاريخ، ولتطور البنى الاجتماعية، أي ترفض الشكل الديالكتيكي لحركة البنى الاجتماعية المتناقضة، وإنما تجعل نتائج هذا التناقض مرتبطة بنتائج ومؤثرات تناقض آخر، ربما هو ليس الوحيد على الساحة أيضا، وإنْ كان الأكبر والأشمل؛ لأن هذه النصوص ترفض تحديد نفسها بشكل من أشكال التناقض، وترى أن سبب فشل نبوءات ماركس أنه حصر نفسه في التناقض الطبقي كشكل وحيد للتناقض، يقول الصدر: ((... إننا لم نحصر أنفسنا في إطار التناقض الطبقي، بل قلنا إن جدل الإنسان دائما يفرز أي شكل من أشكال التناقض الاجتماعي))[١].
التناقض الذي يقصده الصدر هو التناقض الداخلي للإنسان بين طريفيه المادية (الترابي) والروحي (النفخة الإلهية). فكل طرف يجر الإنسان لصالحه، ولذلك فالطرف المادي في تكوين الإنسان الأوروبي هو الطاغي والمنتصر بحكم النظام الفكري الذي يؤمن به، ويفترض أن الخلقية الإسلامية وروحانيتها تجعل من الطرف الروحي والمعنوي في تكوين الإنسان المسلم هو الطاغي والمهيمن، والمتصرف في الحياة طبقا لمعاييره. ومعايير الطرف المهيمن في الإنسان الأوروبي هي التي قادته إلى استعمار البلدان الفقيرة والهيمنة عليها. أي قادته إلى فرض تناقض خارجي هو التناقض بين المحتوى الفكري والروحي للإنسان الشرقي والمحتوى الفكري للإنسان الأوروبي، فاندفع الإنسان الأوروبي نحو ضده، واستطاع استغلاله ونهب ثرواته وخيراته، وهذا الثراء الجديد هو الذي جمد التناقض الطبقي بين الرأسماليين وطبقة العمال في المجتمعات الأوروبية.
فالقضية لدى الشهيد الصدر تعود كلها إلى أساس ديني، ويريد أن يقول من دون هذا الأساس، فسيتحول الإنسان الأوروبي إلى مستغِل ومستعمِر، والإنسان المسلم إلى مستغَل ومستعبَد. وتجدر الإشارة إلى أن لينين التفت إلى مثل هذا الحل، لفشل تنبؤات ماركس بتحول الدول الأوروبية الرأسمالية الكبرى إلى الاشتراكية، فقد عزاه لينين في كتابه ((الامبريالية أعلى مراحل الرأسمالية))[٢] (وربما أن الصدر اطلع على ذلك) إلى تحول أوربا إلى استعمار ينهب ثروات الأمم الضعيفة الأخرى، فأثرى، وتمكن من تخدير الطبقة العاملة التي كانت مستغلَة قبل هذا الحين، فجمد بذلك التناقض بين الطبقة العاملة والطبقة الرأسمالية، وتحولت طبقة العمال، بفضل مصادر الثروة الجديدة التي

جلبها الاستعمار، إلى طبقة مترفة، وهذا من شأنه أن يوقف حركة الديالكتيك التي تعتمد على الصراع الطبقي[١]. لكن الشهيد الصدر يضيف إليه تفسيرا دينيا للشعور الذاتي بالتناقض بالنسبة للإنسان الأوروبي حيال الإنسان الشرقي. وهو ذلك التناقض الداخلي بين المكون المادي، والمكون الروحي المعنوي في الإنسان عموما. أي تقابل بين ثقافتين وعقيدتين، الأولى روحية معنوية في أساسها، والأخرى مادية نفعية في أساسها. ولذلك اندفع الإنسان الأوروبي نحو الشرق لتذويب هذا التناقض تحت شعار نقل الحداثة والديمقراطية، والقضاء على الاستبداد.

إذا كان الصدر يؤمن بالتناقض الداخلي في الإنسان، فلماذا نقد التناقض الديالكتيكي لدى هيغل وماركس؟ الجواب واضح هنا، فالصدر يعترف بالتناقض كتقابل بين طرفين، لكنه لا يؤمن باجتماع الطرفين المتناقضين، وإنما يؤمن بتحقق احد الطرفين على حساب الآخر، في حين آمن كل من هيغل وماركس باجتماع الطرفين المتناقضين في طرف ثالث جديد أكثر تطورا. لكن هذا الأمر لا ينتهي عند هذا الحد، فلا زال هناك سؤالا مهما على الصدر أن يجيب عليه بوضوحه المعهود، وهو إذا كان الصدر يؤمن بوجود تكوينين في خلق الإنسان أحدهما مادي ترابي والآخر روحي معنوي، ألم يكن الإنسان حاصل جمع هذين التكوينين، وأنه، كبنية متكاملة، هو حصيلة هذا التكوين الثنائي المتناقض، فهل هناك إنسان مادي التكوين فقط، وآخر روحي التكوين فقط؟ أم أن الإنسان تركيب موحد لعنصرين متناقضين: مادي وروحي. وإذا كان كذلك أليس في هذا التصور جمع لطرفين متناقضين في وحدة تكوينية جديدة على غرار ما فعل هيغل وماركس؟ أليس الإنسان في مسيرته التطورية ينمي حسدا ماديا، ويشبع غرائز فطرية، وفي نفس الوقت يربي روحا وعقلا ومبادئ معنوية؟؟ إذن التناقض الذي يريده الصدر هو التناقض الذهني، الذي لا يتسع الواقع لطرفيه معاً، بل يتسع لأحد الطرفين فقط. فالتناقض بين الإنسان الأوربى والإنسان الشرقى هو تناقض بين جهتين جهتين مختلفتين من الواقع، ففي مثل هذا الحال يكون الواقع الغربي نفي للواقع الشرقي، والواقع الشرقي نفي للواقع الغربي، طبعاً يكون هذا من منطلق فكر يؤمن بهذا التناقض بين الواقعين، ولكن النظرة قد تختلف من منطلق فكر لا يرى تناقضاً بين الواقعين، كما تفترض الممارسة الديمقراطية والفكر الناتج عنها. فهذا الفكر يرى أن الانسجام يمكن أن يعم جوانب متضاربة لواقع واحد، إذا تبنَّت أسلوباً حضارياً جديداً في التعامل والسلوك لا يقوم على الصراع والتقاتل من أجل البقاء، فالعدالة في توزيع الثروة واحترام حرية الفرد يمكن أنْ تحقق هذا الانسجام مهما كانت تناقضات المجتمع عميقة ومتجذرة.

وتصوير الصدر لهذا التناقض بين الشرق والغرب هو انعكاس لظرف تاريخي وسياسي كان يعيشه الصدر نفسه، واقع الآثار التي تركها الاستعمار، والتهديد الذي يمارسه الفكر الوافد لما هو راسخ من أفكار ورؤى.

ويبقى من الحق القول إن هذا التناقض الأكبر، هو الذي يفسر الاستعمار، كما رأى الصدر، بوصفه تخارجاً ثقافياً شاملاً للإنسان الأوروبي في علاقته مع الإنسان الشرقي، ولذلك فهو في الوقت نفسه تفسير للاستشراق أيضا. وشيء شبيه بهذا المعنى أشار إليه إدوارد سعيد في تفسيره للاستشراق بأنه: ((..أسلوب من الفكر قائم على تمييز وجودي <انطولوجي> ومعرفي <ابستمولوجي> بين الشرق و (في معظم الأحيان) "الغرب"))[١].

ووفقا لتفسير الصدر هذا للاستعمار سنكتشف مفارقة كبيرة جدا في موقف الماركسيين المؤيد للاستعمار الغربي تجاه العالم الثالث، بوصفه وسيلة لتسريع حركة القوانين التاريخية لتعجيل نقل المجتمعات البدائية أو الإقطاعية نحو الرأسمالية

(١) دكتوراه فلسفة/كلية الآداب ـ جامعة ذي قار

نجم والي يحج إلى إسرائيل

مثقفون أضاعوا طريق الثقافة

حسن إسماعيل

القاص والكاتب نجم والي هو رابع عراقي يزور الدولة التلمودية بشكل علني فقد سبقه إلى ذلك عبد القادر الجنابي (الشاعر السريالي المقيم بباريس) ثم كنعان مكية الكاتب والسياسي المقيم بالولايات المتحدة ثم مثال الالوسي عضو مجلس النواب .هذا إذا ما استثنينا عدة زيارات شبة سرية أو شبة علنية قام بها المصرفي المسيس احمد ألجلبي .

لا نريد الخوض ألان في تاريخ الصراع العربي الصهيوني الذي استغرق قرابة قرن كامل فهو واضح للجميع كما هي حصيلته حيث اقتلع شعب من أرضه وحل محله قوم آخرون ثم تفجرت ثورة فلسطينية كبرى نالت تعاطف واعتراف العالم لكن الدعم الغربي لإسرائيل وحالة الضعف العربي وقفا حجر عثرة إمام تحقيق الأهداف الفلسطينية المشروعة .

نريد إن نتساءل فقط عن الكيفية المطلوبة لتفاعل المثقف مع مثل هذه المسالة بل قل المعضلة الأكثر تعقيدا في تاريخ البشرية حين أضحى الفلسطينيون ضحايا للضحايا – كما يقول الراحل ادوارد سعيد – من اليهود الذين تعرضوا للإبادة إبان الحرب العالمية الثانية . ومعضلة بكل تشابك إبعادها التاريخية والدينية والستراتجية والاقتصادية لايمكن تناولها بهذه الخفة كما يفعل الكاتب والقاص نجم والي حين كتب كلاماً هو ، في نهاية الأمر ،من (ناقل القول) مديناً الأنظمة العربية المتاجرة باسم فلسطين والتي تقتل وتضطهد خيرة أبناء الشعب بأسم القضية الفلسطينية أيضا.انه كلام صار يعرفه المواطن الأمي في العالم العربي.وهو لايعني اطلاقاً إن قضية الشعب الفلسطيني قضية عادلة.

ما لم يتناوله السيد نجم والي هو حق الشعب الفلسطيني في الحياة والحرية خاصة وانه أشار إلى حق الشعب الإسرائيلي في ذلك وهذا هو الكيل بمكيالين بل قل هي الضحالة بعينها .فلماذا يحق للشعب الإسرائيلي العيش على ارض كان يستوطنها منذ زمن غابر ولا يحق لعرب فلسطين ذلك وهي أرضهم منذ إلف ومئات من السنين. أي مثقف هذا الذي لا يستفزه تغيير معالم مدينة القدس أو رفض عودة أربعة ملايين لاجئ فلسطيني إلى وطنهم ؟

نعتقد إن السيد نجم والي لم يطلع بما فيه الكفاية على سيرورة الصراع العربي –الصهيوني وألا ما انتهى إلى الدفاع عن كيان عنصري ودولة دينية في زمن ترتفع فيه راية الدفاع عن حق الشعوب في تقرير مصيرها والمساواة في حقوق المواطنة بغض النظر عن الدين أو العرق أو الجنس.

لو كان السيد نجم والي قرأ عبد الوهاب المسيري صاحب (الموسوعة الصهيونية) - وهو معارض لنظامه المصري والانظمه العربية – أو قرأ ادوارد سعيد ما انتهى إلى ما انتهى إليه. يقول الراحل سعيد بان باحثين إسرائيليين تأكدوا من إن الدول العربية المركزية (مصر ،سوريا،الأردن)عرضت على إسرائيل السلام بعد حرب ١٩٤٨لكن بن غوريون رفض ذلك.فماذا يعني هذا؟لايعني سوى إن هذه الدولة التي تأسست على أيدي عصابات الارغون والهاغانا وسواهما ونفذت مجازر معروفة آنذاك هي دولة توسعية ومستنفرة عسكرياً بشكل دائم كونها تشعر بالعداء لمن يحيط بها .

لقد انتقمت الرأسمالية الألمانية المأزومة (المهزومة في الحرب العالمية الأولى) من اليهود الأبرياء في أوربا فقام الغرب الرأسمالي بإهداء ارض فلسطين إلى الحركة الصهيونية فصار الفلسطينيون ضحايا للضحايا .

ومازالت الدولة الألمانية تدفع التعويضات عن إبادة اليهود ومن جملة تلك التعويضات قبول إعداد كبيرة من الشبان الفلسطينيين لاجئين في ألمانيا لإبعادهم عن ميدان المواجهة مع الاحتلال الصهيوني . كان حرباً بأي مثقف يتناول مثل هذا الموضوع إن يقدم بعض الأفكار أو يتصور

سيناريو حل يضمن الحرية والكرامة لكلا الشعبين كان تنشأ دولة ديمقراطية واحدة لا تميز دينياً أو عرقياً بين كافة المواطنين كما حصل في جمهورية جنوب إفريقيا بعد انهيار نظام الابارتيد لكن يجب إن لاننسى بان جمهورية مانديللا لم تأت إلا بعد كفاح شاق ومرير .

لقد بدأ السيد نجم والي فارغاً تماماً من أي فكرة أو تصور عن معضلة شاخصة تزهق جراءها أرواح الأبرياء منذ عشرينيات القرن الماضي .

وكأنه كان ينوي فقط شتم الأنظمة العربية والسخرية من إعلامها(ولا أقول ثقافتها لأنها لأتملك ثقافة)وديماغوجيتها .ونرى إن الشاعر مظفر النواب قد وفر على الجميع مثل هذه المهمة كونه .عرى تلك الأنظمة الفاسدة وببلاغة عالية صارت من المأثور العربي ،اليوم. إن مهمة الكاتب والمثقف هو إن يدل على المفاتيح وبذلك سيكون تأثيره مجديا إذ سيساعد من استغلقت علية الأمور ليراها واضحة مثلما هو مطالب بأن يكون بعيداً عن السلطة (أي سلطة حكومية أم حزبية)وبذلك سيحافظ على سلطته هو، سلطة المثقف. وهذا ما جسده وبجدارة ومصداقية عاليتين المفكر الفلسطيني الراحل ادوارد سعيد حين رفض طلب الرئيس الأمريكي الأسبق كلنتون لحضور مراسيم توقيع اتفاقية السلام في اوسلو بين اسحق رابين وياسر عرفات لقناعته بخطأ القبول بهذه الاتفاقية التي لا تضمن حقوق الشعب الفلسطيني . كما هو حرصه في كل زيارة يقوم بها للأراضي الفلسطينية على مهاجمة نظام صدام حسين (المتاجر بالجرح الفلسطيني) في ندوات فكرية سياسية أو لقاءات وتجمعات شعبية .

كاتب عراقي

قراءه في كتاب

ميكافيلي مؤمناً(١)

ترجمة : أمير دوشي
عرض: صلاح حسن الموسوي

نقولا ميكافيلي الأيطالي المولد ومؤسس علم السياسة الحديث ، أشتهرت عنه مقولة (الغاية تبرر الوسيلة) ، نعته مترجم الكتاب بـ (المؤمن) وهو تشبيه يفترق كثيرا مع أفكار كتابه (الأمير) المحرضة على رفض هيمنة الدين على تعريف الفضيلة والدعوة الى فصل الدين عن شؤون تصريف الحكم ألا في حالة أستخدام الأول لتمكين الحكومة من السيطرة على الناس حيث من المفيد للأمير الظهور بمظهر الفضيلة والتظاهر بالرحمة والتدين والأخلاص للعهد ولكن عليه أن يكون مستعداً دائماً للأتصاف بعكسها في حالة التعارض مع مصالح الحكم ، وفي معرض الأحتفاء بهذا الرأي يشدد هارفي مانسفليد احد المنظرين المهمين للتيار المحافظ الجديد في أمريكا على أن ميكافيللي أحدث ثورة في تطور الفكر البشري للسياسة عندما رفض الربط بين الفضيلة والدين ، أذ قسّم الفضائل الى نوعين : فضائل بعيدة يصعب تحقيقها لأرتباطها بمبادىء دينية وفلسفية كبرى ، وفضائل صغيرة دنيوية يسهل تحقيقها في الحياة الدنيا ، وجعل هم المفكر السياسي الأنشغال بتحقيق الفضائل الصغرى ، وبهذا تمكن ميكافيللي من الحديث عن نوع جديد من الفضائل التي يجب ان يتميز بها الحاكم، مثل القوة والدهاء والبطش والقدرة على الخداع ، والتي كان ينظر لها من الماضي على انها خصال سلبية بعيدة عن الفضيلة ،١وينسب المدافعين عن ميكافيللي سبقه في النظرة الى الدولة بعين بشرية مجردة وأستبطان قوانينها من العقل والخبرة وأستبعاد اللاهوت ، وقد بكّر في أستشراف الفلسفة الواقعية المتمركزة حول المنفعة بأعتبار ماهو مفيد ضروري وأعتبار السياسة فن مشتغل بذاته ومنفصل عن أي أعتبار أخر .

وعدّ كتاب ألأمير واحد من الأصول الكبرى لثقافة التحول الأوربي نحو العلمانية والحداثة وعصر الأنوار وقد وصف جان جاك روسو كتاب الأمير بـ (أخطر كتاب في التاريخ) سارت بهديه القوميات المنضويه تحت حكم الأباطرة الأوربين المتحالفين مع الكرسي البابوي لأعلان ألأنشقاق على تحالف (الملكية ، الكنسية ، طبقة الأقطاع والنبلاء) واعلان ولادة (الدولة ـ الأمة)المستبعدة للدين في خصائص مقومات تكوينها الأساس والمستمدة كنة سيادتها فقط من عناصر الأنسجام الأثني ووحدة اللغة والأرض ، وبلغ الفصل بين الدين والدولة أوجه مع دستور الجمهورية الفرنسية عام ١٩٠٥.

عمقت الثورة الفرنسية مبدأ رفض تدخل الدين في السياسة وأنحي باللائمة على التعصب الديني في التسبب بويلات الحروب الدينية التي أعقبت ظهور مارتن لوثر وانشقاقه على كنيسة روما بدعوى الأصلاح الديني ، ولم يعني التضييق على الدين هناك ، القطيعة مع اساليب وطرق توظيف الدين لخدمة المشاريع والطموحات السياسية خصوصا خارج أوربا واستعار حمى الفتوحات الأستعمارية التي عبرت عن أحلاف غير مقدسة بين قوى الفتح الكونيالي وفرق التبشير بالمسيحية التي أنبثت في أرجاء المستعمرات بما يشبه القتال الصليبي الناعم وأسترجاع كلمة البحار البرتغالي فاسكودي غاما حين وصل الى الهند سنة ١٤٩٨واعلانه انه قدم للبحث عن المسيحيين والتوابل ، فلم يتورع نابليون بونابرت بعد دخوله الى مصر فاتحاً من ارتداء الزي الديني لعلماء المسلمين والتظاهر بأعلان أسلامه ، وتحججت القوى ألأوربية في بداية القرن التاسع عشر بحماية الطوائف المسيحية المنضوية تحت الحكم العثماني لغرض تفتيت السلطنة وتقاسم ممتلكاتها بحسب اتفاقية سايكس ـ بيكو السرية ووعد بلفور الذي منحت فيها أنكلترا أرض فلسطين ليهود الشتات الأوربي

، وتحت ذات الشعار تسعى العولمة الحالية لتفتيت البلدان الموحدة والشعوب المنسجمة بحجة حقوق المكونات الطائفية والعرقية ، وألغرض أطلاق حرية المارد الرأسمالي في أكبر عدد ممكن من الأسواق الفتية ، واوربا أنذاك ، لم تنجو من عواقب الأنفلات البراغماتي بخصوص موضوعة الدين وخلطها بهوس المجال الحيوي ألتي كانت الحركة النازية صورته الأشد نصاعة حيث أمتزجت في تركيبتها دعاوى التفوق الغربي والنقاء الجرماني وطهرانية روح المسيحية الأوربية الغربية المستهدفة من جيرانها البربرة (اليهود والسلاف والغجر) والذين ينبغي مسحهم من على ظهر البسيطة . والأسلاموفوبيا المحتدة حاليا في اوساط النخب الغربية تترجم في معناها الأدق حدة الأزمة الداخلية لهذة المجتمعات بفعل الركود الأقتصادي وتهديد الثقافة الأمريكية لصمود الثقافات الأوربية العريقة حيث توظف بعض النخب السياسية تواجد المسلمين على أراضيها لزرع الخوف وحصد الأصوات ألأنتخابية وكما يصف الحالة الكاتب ستيفان جيري في مقالته (مسلمو فرنسا)

(أتخذت العواطف المناهضة للمهاجرين قدراً جديداً، في الخمسينات والستينات نظر اليهم كعمال ، وفي منتصف الثمانينات أعتبرواعرباً ، ومنذ ذلك الحين كان الأمر يحتاج الى خطوة واحدة لينظر اليهم كمسلمين أولا وقبل كل شيء)، وفي مكان أخر من المقالة المذكورة (أن كانت الأنباءالسارة بشأن مسلمي فرنسا هي انهم أندمجوا بشكل حسن وأغتنموا أي فرصة ليكونوا كذلك تماماً ،فأن الأنباء المحزنة هي أن ألنخبة الفرنسية تبدوا غير راغبة او غير قادرة على مد يد العون) جسَد صعود المحافظين الجدد للحكم في أمريكاعام ٢٠٠٠ نقطة الذروة في مسيرة النظام السياسي لعالم مابعد الحرب الباردة ، بأستفراد القطب الواحد ، وشيوع نظرية صراع الحضارات ألتي صّيرت العالم الأسلامي الى قطب مضاد للحضارة اليهودية- المسيحية وأتخذت من مكافحة الأرهاب شعارا لتبرير الحروب الأستباقية ،ا لتي يحّرمها القانون الدولي ، دفاعا عن الحضارة !. وقد جلب هؤلاء (النيو محافظون)وبدرجة غير مسبوقة نزعة نخبوية مثقفة ألى أوساط الأدارة السياسية تجعل من الموقف العملي السياسي يولد من رحم النزاع الفكري - الأيدلوجي ، حيث أن الدولة الأمريكية الجديدة بنظر هؤلاء ،هي دولة سيادية عالمية وبمرجعيةأخلاقية مطلقة ، تعمم العولمة المتعددة الثقافات على النمط الأنكلو سكسوني ، وتسعى لمصالحة التراث الديني مع الديمقراطية والحريات الفردية مما يختزل في النهاية الى صدام حضارات بين عالمين الأول يهودي - مسيحي ليبرالي ومتسامح ومنفتح بمواجهة الفكر الأخر المتمثل بعالم الأسلام، المتأخر، الأستبدادي، العنيف ، والمنطوي على ذاته ، وهنا بتصور هؤلاء المحا فظون النقلة النوعية والتجاوز لما ورد في الأطروحة الهغيلية الكبرى عن الدولة التي يتصالح فيها الدين والعقل وفق الصورة التطورية الكونية التي لابد أن تتحقق في النقطة التي يبلغ هذا التقدم في الوعي ذروته ، أي غايته الكبرى ،وهو التنظيم العقلاني المطلق للحياة في الدولة ، ولم يتورع كبار ساسة امريكا الجدد من أتهام نظرائهم الأوربيون بالرجعية والتخلف عن الركب الحضاري الجديد كما جاء في وصف وزير الدفاع الأمريكي السابق (رامسفيلد) لفرنسا والمانيا بـ (اوربا القديمة) بسبب معارضتهم للحرب على العراق ،. وحملت خطابات الرئيس الأمريكي (بوش الأبن)تضمينات انفعالية شديدة لما يسميه ليو شتراوس(حبا للأخلاق ،شعورا بالمسؤولية تجاه أخلاقية في خطر) وقدّم رؤية أكثر رعبا من السابق للتهديد المتمثل بالأصولية الأسلامية الممارسة للعنف ألتي تسعىفي نظره الى بناء (امبراطورية توتاليتارية) والى (أخضاع أمم بأسرها وتخويف العالم) .وفي مقالته (قيمنا وقيّمهم) يفصح رئيس وزراء بريطانيا الأسبق (توني بلير) عن أنتماءه الى صميم مايصطلح عليه بالأنتماء (الأنكلوسكسوني) وانخراطه في التحالف

الكامل لبريطانيا مع الولايات المتحده ، ذلك التحالف الذي مثل اعلى درجات اليمينية الغربية في عهدي ريغان وتاتشر، فهويجمع هنا اليه الأستشراق التي تختزل الوقائع لصنع الماهيه المطلوبه للشرق والأسلام وتسويقها الى الرأي العام الغربي عبر مجلة (فورن أفيرز) الشهيرة بتخصصها الأكاديمي السياسي ، والمحارب الذي يدفعه خصومه الداخليين للتوسل بغطاء ايدلوجي يبررتورطه في حرب العراق من خلال أضفاء جميع الحسنات على منظومته القيميه المهدده من الأرهاب الأسلامي وتسويق مطالبته لشعوب العالم بالخضوع لأمتثالية مابعد حداثية تقوم على أنقاض مرحلة الحداثة وعصر الأنوار التي ينتقدها بلير ضمنا بسبب فصلها بين عالم المصالح وعالم المثل ويدعو بالمقابل الى التوافق بينهما في اطار العولمه التي يسكت عن حقيقتها المجيره لصالح قوى الأستبداد الأقتصادي ، ويكرر في جانب أخر سخطه على المنتقدين للأنحياز الغربي في صراع الشرق الأوسط بأعتبار الدعم اللامحدود لأسرائيل يدخل في اولويات الدفاع عن الحضارة الغربية أزاء قيّم الخصوم المعادية .

لاريب ، ثمة روح دينية قوية واكبت التأسيس الأول لأمريكا على يد المهاجرين الأوربيين الأوائل ، ووجدت عقيدة (الأرض الموعودة) تعاطفاً كبيرا من قبل الهاربين بسبب الأضطهاد الديني ، ولكن الأباء المؤسسين اصروا على الفصل بين الكنيسة والدولة ، اتعاظا بماحصل في اوربا من حروب وتجاوزات بسبب ألمأسسه الدينية ، وهذا ماسمح على مايبدواللولايات المتحدة بالحفاظ على دينامية البروتستانتية والممارسة المشحونة بنقس ايدلوجية فتح الأرض الموعودة ٢، وفي تناوله لأثر الدين في السياسة الخارجية الأمريكية يستعرض الكاتب والتر راسل ميد في مقالته (بلاد الرب) تحولات موازين القوه السياسية بين التيارات البروتستانتيه الأمريكية الأساسية (الأصولية ، الأنجيلية ،الليبرالية) واشتداد نزعة الأستعانة بالديني من قبل المحافظين الجدد المدعومين من كنائس الطائفة الأنجيلية ، والأنجيلية طائفة يضعها المختصون في موقع الوسط من ناحية التشدد العقائدي ، وهذا مايفسر صلاحيتها لأن تكون قابلة الأنبعاث الديني بخصوصيته الأمريكية ، ويورد الكاتب ارقاماً تدلل على صعود الأنجيلين على حساب الليبرالين المسيحين في مراكز القرار الأمريكي حيث ارتفعت نسبة تمثيلهم في الكونغرس من ١٠% عام ١٩٧٠الى٢٥% عام ٢٠٠٤ وتمثيلهم لنسبة ٤٠% من مجموع الأصوات التي حصل عليها من مجموع الأصوات التي حصل عليها بوش الأبن في الأنتخابات الرئاسية عام ٢٠٠٤، وتعتبر الأنجيلية اقرب الطوائف المسيحية للصهيونية اليهودية حيث تصح عليها تسمية الصهيونية البروتستانتية التي نشطت في الغرب ودعت قبل الصهيونية اليهودية الى قيام وطن قومي لليهود وفي ظل الدولة العثمانية ، وينظر هولاء الى اليهود نظرة توراتية خالصة حيث (ان العداء لأسرائيل ، يعني العداء لله) ، ويقول احد شراح ليو شتراوس المنظر الأكبر لتيار المحافظين الجدد في تعظيم دور اليهود في التاريخ (لاتوجد نهائياً عقدة حيوية في حبك الوجود الغربي ، وفي وعي العالم ، لم يمسها التراث العبري ، فاليهودية وحاشييتها الرئيسيتين ، المسيحية والأشتراكية الطوباوية تحدرت من سيناء ، حيث لم يكن هناك اليهود أنفسهم ، سوى حفنة محتقرة ومسحوقة) .

يشتمل الكتاب على مقالات أمريكية واوربية تسلط الضوء على النظرة المستجدة للسياسة الغربية تجاه الجاليات المسلمة في الغرب ورؤية الصراع الدائر حاليا على اراضي المسلمين سواءاً الصراع العربي ـ الصهيوني او التواجد العسكري الأمريكي في العراق وأفغانستان ، واذ يحاول ألكتَاب هنا الموارية واخفات النبرة فيما يتعلق بتوظيف الديني في السياسة الأمريكية والأوربية التي خرجت من صراع الحرب الباردة مبهورة ومهرولة خلف النموذج الأمريكي (وهذا قبل انفجار الفقاعة المالية التي حمّل الجميع مسؤوليتها لأمريكا)

مسؤوليتها لأمريكا) والأنسياق خلف نظرية حلول العدو الأسلامي بدل العدو البلشفي ، وفي رؤية أخرى أدى أنهيار المعسكر الشيوعي الى أختفاء العدو المشترك للطرفين مما أعاد الصراع الى مساره التاريخي الصحيح بين الأسلام والمسيحية بحسب نظرية هنتغتون ، أوبين ثقافة الخوف (الغرب)وثقافة الذل (المسلمين) بحسب مقالة دومينيك مويسي كبير مستشاري المعهد الفرنسي للعلاقات الدولية (أثبتت الحوادث أن رؤية هنتغتون أكثر صواباً مما يصفه البعض ، الأمر الذي لم يدرك بعد بشكل واف هو أن العالم اليوم يواجه مايمكن أن يسمى(تصادم الأحاسيس) ، يؤمن العالم الغربي بثقافة الخوف ، ممادفع العالم العربي والأسلامي في شرك ثقافة الذل ، والكثير من دول أسيا تقدم ثقافة الأمل) . والأحاسيس هنا تعبير شعري لطيف أراد الكاتب ان يغلف بها فكرته الرئيسية بأحالة اللاوعي الغربي الى ثلاثينيات القرن الماضي وماتسببت فيه أطروحة (أشبلنجر) عن أفول الحضارة الغربية من ردة فعل عنصرية دموية ضد الدخلاء البرابرة ، كونهم السوس الذي ينخر من الداخل هيكل وروح الحضارة الغربية العظيمة !

ماتزال حرب أفغانستان والعراق تضيف المزيد من مشاعر الكراهية للسياسة الغربية في أوساط العرب والمسلمين ، وأذ يستغرب (توني بلير) من تحميل الغرب المسؤولية ، كون أحداث ١١سبتمبر سابقة لأحتلال العراق وأفغانستان ،والأرهاب هو عدو المسلمين والغرب على حد سواء،وأن الصراع هو من أجل تعميم القيم التي حملها الغرب عبر العصور ويكافح الأن من أجلها في العراق وأفغانستان ، يرسم الباحث الأمريكي (جيمس دي فيرون) في المقابل سيناريو متشائم لما ألت اليه الحملة الأمريكية في العراق ، ويسوق الدلائل على أن حرب (العراق الأهلية) تقع في المرتبة التاسعة من حيث الخسائر السنوية لأكثر الحروب الأهلية دموية منذ عام ١٩٤٥، وأن هدف تشكيل نظام مستقر ومسالم ، والى حد ما ديمقراطي يستطيع الحياة بعد مغادرة القوات الأمريكية الأمريكية ، هو هدف غير واقعي ، وينصح الأدارة الأمريكية بتجنب المزيد من التورط في الأقتتال الأهلي الدائر، وأختيار بدلاً من ذلك دور الموازن بين المتقاتلين مما يمكنها من التوصل على المدى البعيد ألى حل دائم ، ولايتفائل الكاتب بحل قريب للأختلاف العراقي المسلح ،والتوصل الى تقاسم حقيقي وسلمي للسلطة ، بسبب حاجة المتقاتلين الى الزمن الكافي من القتال لمعرفة كل جهة حقيقة قوتها ، وأيضا شيوع الأنقسام والتناحر داخل الفئة الواحدة مما يحرمها من اتخاذ القرار السياسي الواضح ، وهذه المقاله تعبر عن طيف واسع وضاغط داخل الولايات المتحدة يخطىء قرار أدارة الرئيس بوش بأجتياح العراق ويتهم هذه الأدارة بتنفيذ أجندة أسرائيلية أكثر من كونها مصالح قومية أمريكية ، وذلك بتأثير الثقافة التوراتية لأقطاب تيار المحافظين الجدد ، ويدعوا الى الخروج السريع من العراق وبأقل الخسا ئر.

يضيف الكتاب حصيلة فكرية جيدة الى القارى العربي ، وذلك لتنوع مقالاته وغناها بمضامين فكرية عميقة تتجاوز زمن كتابتها ، وتحيل المتابع العربي الى الحضور القوي لجدلية الديني_ السياسي في علاقة العرب مع العالم الخارجي ، وتثير في ذات الوقت سلسة طويلة من ذكريات التوظيف السياسي للدين في ممارسات الأنظمة العربية ، المحافظة منها والراديكالية ، وذلك للألتفاف على مشاعر الجماهير العربية وتسكينها في مقابل فشل هذه الأنظمة في تطبيق الشعارات الوطنية والقومية ، والهروب من استحقاقات الديمقراطية والتنمية ،بالتعويل على ممارسات دعائية تضللية كـ (الحملات الأيمانية) و (المؤتمرات الأسلامية) أوانتحال القاب (الرئيس المؤمن) و(خادم الحرمين) حيث جاء الأخير للتعمية على واقع العلاقة الشاذة في ظل الملكية المطلقة بين الخادم (الشعب) والمخدوم (العائلة المالكة)) ،كما يضع الكتاب تحت دائرة الضوء ، حقيقة الصراع الأصولى الدائر حاليا بين الأسلامية

التكفيرية والمسيحية المتصهينة ، والتي تخادمت سابقا ضد التدخل السوفيتي في أفغانستان ، وتحرص الماكنة الأيدلوجية والأعلامية في الغرب حاليا على تركيز الصورة العربية ـ الأسلامية من خلاله وتورية الأهداف الحقيقية للعولمة الأمريكية المسلحة وأطماعها السياسة والأقتصادية .

(١) صدر الكتاب عن مركز الجنوب للدراسات والتخطيط الستراتيجي
(٢) مترجم عراقي صدر له (بوش في أور)
(٣) رئيس تحرير مجلة المتابع الستراتيجي

العدد الأول

اسم المقالة	اسم الكاتب أو اسم المصدر
١ـ لماذا نتابع	مركز الجنوب
٢ـالحقيقة الغامضة للصبر الاستراتيجي في العراق	انطوني اتش كوردسمان
٣ـالتقسيم الناعم في العراق	ادوارد بي جوزيف وميشيل أي اوهانلون
٤ـاتحاد الولايات العراقية	باولين أج بيكر
٥ـ دعنا نتقبل الحقائق في العراق	غارث ستانسفليد
٦ـالكل غير مطمئن في جبهة العراق الشمالية	لايونيل بيهنر
٧ـمقلات إستراتيجية في الملف الشيعي	مجموعة من الكتاب الاستراتيجيين

العدد (٢)

١ـالمصالحة مع بيكرــ هاملتون	مركز الجنوب
٢ـ توقعات لاستقرار العراق	تقرير هيئة الاستخبارات الامريكية
٣ـتقرير السفارة الأمريكية في بغداد عن الفساد الحكومة العراقية	مجلة المستقبل العربي
٤ـ قانون الهيدروكاربون (النفط) العراقي كيف ، ومتى ؟	كريستينا باراجون
٥ـتأثير عقود مشاركة الانتاج على اردات العراق	د.صباح نعوش
٦ـ مشكلات التمثيل النسبي	جون بيزل اتلي
٧ـ النظر في احتمال حرب مع ايران	ومارتن بوتشر ودان بليش
٨ـ هلاري كلنتون والحافظون الجدد	ادوارد كرين
٩ـ موقفي من العراق وايران اذا صرت رئيساً لامريكا	باراك اوباما
١٠ـ الديمقراطية الاسلامية والنزاع بين المحافظين الجدد حول طبيعتها	الطاهر التونسي

العدد (٣)

١ـسياسة البنيات المحروقة	مركز الجنوب
٢ـ الهوية الطائفية والصراع الإقليمي في العراق	ريدار فيسير
٣ـ هل يقترب سنة العراق كم المشروع الفدرالية	الجزيرة نت
٤ـ اللوبي الكردي في واشنطن	واشنطن بوست
٥ـ حكومة اقليم كردستان وقانون النفط والغاز	فؤاد قاسم الامير
٦ـ الزبائنية السياسية والاجتماعية في عصر الديمقراطية	فضيل دليو
٧ـ قراءة في كتاب ثمن الدم	توماس كريستيان ميلر
٨ـ الانترنيت ساحة جديدة للتجسس الدولي	عادل عبد الصادق
٩ـ مواقع جهادية متطرفة برعاية شركات	عمرو عبد العاطي

اسم المقالة	اسم الكاتب أو اسم المصدر
٩- مواقع جهادية متطرفة برعاية شركات امريكية	عمرو عبد العاطي
١٠- عملية القتل الرحيم للاقتصاد الايراني	محمد ايوب
١١- مستقبلان في انتظار اوربا	يوشكا فيشر
١٢-الدين والسياسة الخارجية الامريكية	معهد الامام الشيرازي الدولي للدراسات

العدد(٤)

١- العراق . بريد الازمات ومستقبل الصفقات	مركز الجنوب
٢-ملامح الاتفاقيات الامريكية المقبلة مع العراق	واشنطن بوست
٣- المالكي اغضب الاكراد	ملف برس
٤- طالباني مهندس الاجتياح التركي لكردستان العراق	يوسف زياد
٥- في محاولة لترقيع اخطاء واشنطن في ثوب حكومة بغداد المهلهل	الملف برس
٦- مابعد بوش .. الثابت والمتغير في السياسة الخارجية	مايكل ابراموفيتز
٧- الضحالة الاسرائيلية .. ازمة كيان ام نخبة	د.وحيد عبد المجيد
٨- العولمة من العالمية الى الطبقية	د.هانز رونر
٩- يسار جديد في مواجهة المحافظين الجدد	ابراهيم غرابية
١٠-مغنية ثعلب حزب الله الذي حير الاستخبارات الاسرائيلية	القناة
١١- اغتيال مغنية بديل عن الحرب الواسعة وليس تمهيداً لها	باتريك سيل
١٢المعارضة السورية وطبيعة علاقتها بواشنطن	جو معكرون
١٣-٢٠٠٨عام الحسم في الملف الايراني	لواء.حسام سويلم
١٤- ماذا بعد استقلال كوسوفو	باسم الجسر

العدد(٥)

١-انتخابات محلية واستفتاء عام	مركز الجنوب
٢-مقابلة مع الدكتور غسان سلامة	صحيفة الحياة
٣-خطة عسكرية مشابهه لخطة امن بغداد في البصرة	ملف برس
٤-الموانئ تنفي سيطرة الملسشيات	ملف برس
٥-مسؤولون عسكريون امريكيون :ايرادات النفط تغذي التمرد في العراق	ريتشاد اوبل
٦-العرب ةالاكراد .. هل تتغير الصورة	حمزة مصطفى
٧- حربان بالامكان ربحهما	انتوني اتش كوردسمان
٨- الاجندة السرية في رحلة تشيني	المشهد السياسي

اسم المقالة	اسم الكاتب أو اسم المصدر
٩-عصر ما بعد الجزيرة	عبد الوهاب الافندي
١٠-الدول العربية :اجتماع لاسكات الاعلام	مروان كريدي
١١-لماذا خسرت الاكثيرية اللبنانية معركة الرئاسة	د.وحيد عبد المجيد
١٢-الكويت ما بعد استقالة الحكومة	السيد ولد اباه
١٣-الوجع الجديد للجوع	بان كي مون
١٤-الحبوب قنبلة موقوتة تهدد بتفجير العالم	كامل الشيرازي
١٥-دوامة موت النفط المملوك من قبل الدولة	ريتشاد دبليو.ران
١٦-السلفيون والشيعة والذاكرة المشوشة	محمد بن المختار الشنقيطي
١٧-فكر اليمين الامريكي : هارفي مانسفيلد نموذجاً	علاء بيومي
النمو السكاني	د. فلاح الحمداني
ندوة الشهر :مفهوم التخطيط الستراتيجي	مركز الجنوب

العدد (٦)

١- راي حول صولة الفرسان	مركز الجنوب
٢-العقول العراقية بين الخيار الالماني والسلفادوري	عبدالله الحسن
٣-صديق ام عدو	راي تيكي
٤-المجلس الاعلى هو القاسم المشترك بين امريكا وايران	موقع الوسط
٥-شحة المياه في العراق	راديو سوا
٦-مكاسب حقيقة في العراق الجديد	برهم صالح
٧-النقاش الذي نحتاجه حول الامن القومي	هنري كسنجر
٨-اسرائيل تستبيح العواصم العربية	محمد حسين فضل الله
٩- لماذا تحول الظواهري منضراً سياسياً	محمد ابو رمان
١٠-رجال الاعمال يتحكمون في السياسة الدولة	عبد الباقي صلاي
١١-معالجة الازمة العالمية واجب ملح على المجتمع الدولي	جاك شراك
١٢-الطائفية والمسالة الوطنية	برهان غليون
١٣-قراءة في كتاب : حكومة اقليم كردستان وقانون النفط والغاز	حسن اسماعيل
١٤-النظم الانتخابية والنظام الانسب	د.عقيل عزيز عودة
١٥- العالم الاسلامي والغرب من العزلة الى التواصل	د. صلاح الجابري
١٦-قراءة في كتاب :جذور الحرب الاهلية	صلاح الموسوي

اسم المقالة	اسم الكاتب أو اسم المصدر
العدد (٧)	
١-خلاصة الاحتلال ام نهايتة	مركز الجنوب
٢-العراق يتحول الى زبون كبير للسلاح الامريكي في المنطقة	ملف برس
٣-ماذا قال احمد الجلبي في ندوة الحوار مع الاكاديميين	عبد الجبار العتابي
٤-عملية الموصل تكشف شبكات فساد واغتيالات مرتبطة بحز البارزاني	وكالة الصحافة العراقية
٥-رحلة اطفال عراقيين الى اسرائيل تدخل مرحلة الاتهامات السياسية	صحيفة ايلاف
٦-العدو رقم ٣	هارولد ميرسن
٧- المشهد العراقي امام الكونغرس الامريكي	وليم بولك
٨-بوش والجنرالات ..	مايكل اسي دسج
٩-الرقص مع الذئاب في الشرق الاوسط	د.حسن نافعة
١٠-دول العالم تشاطر الغرب وامريكا النفوذ	فريد زكريا
١١-العراق يطلب يد مليون عامل مصري للعمل ..في البلاد	العربية نت
١٢-هل انتهت الساركوزية بمثل هذة السرعة	د. غسان العزي
١٣-المسارات الثقافية الكبرى	د.رياض شنته جبر
النظم الانتخابية والنظام الانسب (الحلقة الثانية)	عقيل عزيز عودة
١٤-مجالس محافظات العراق قانونها ونظام انتخابها	المحامي صلاح حسن الشمري
العدد (٨ــ ٩)	
١-امال الدولة المستقلة	مركز الجنوب
٢-حكمة المالكي قد تحدد اجندة واضحة لمواجهة ميليشيات (ابناء العراق)	صحيفة النور
٣-العقود النفطية الاربعة تعد انتصاراً لارادة العراق	حمزة الجوهري
٤-خلافات حادة تفجرها مؤسسة (وشة) تنذر بمرحلة فاصلة في تاريخ الاتحاد الوطني الكردستاني	ملف برس
٥-حوار مع الشيخ خالد العطية	صحيفة النور
٦-قيادي في حزب الطالباني :الاتفاقية الاستراتيجية مع واشنطن ضرورة حياتية للاكراد	المرصد العراقي
٧-اين تقف جبهة التوافق من معاهدة الاحتلال	راشد الغنوشي
٨-دراسة لمجلة شؤون الخارجية الامريكية	غريغ برونو

اسم المقالة	اسم الكاتب أو اسم المصدر
٩-الاتفاقية الامنية مع واشنطن ضرورية للعراق لوقف الجموح الايراني	واشنطن بوست
١٠-العراقيون يستنكرون المطالب الامريكية	اميت بيلي و كارين ديونغ
١١-المعاهدات في التاريخ العراقي المعاصر	احمد داخل السعداوي
١٢- من يملك العراق	توماس فريدمان
١٣- تاسيس لوبي يهودي امريكي جديد يدعوا الى السلام	د.جيمس زغبي
١٤- امريكا تصعد عملياتها السرية ضد ايران	رويترز
١٥-الاردن والعراق :كيلا نبقى نعول على اتفاق تفضيلي لنفط لا يصل ابدا	صحيفة الغد الاردنية
١٦-اسعار النفط اذ تثير الاستغراب	عماد عمر
١٧- كيف نهزم الجوع العالمي	باترك سيل
١٨-محدودية الادوار وضعف الاستقلالية في المؤسسات الوطنية لحقوق الانسان	معتز الفجيري
١٩-مختصون يعتبرون الانترنيت اخطر امتحان اللغة العربية	توفيق عابد – عمان
٢٠- قراءة في كتاب : حروب المناخ	نبيل شبيب
٢١- المحافظون الجدد بين ((نهاية التاريخ)) و((عودة التاريخ))	خالد الحروب
مدينة الخليل .. ملتقى الاديان والحضارات	مركز الجنوب

العدد(١٠)

١-داء التوافق	مركز الجنوب
٢-استراتيجية جديدة للعراق	باراك اوباما
٣-كيف نخسر العراق	كارل ماير
٤- خبير امريكي :خيار واحد امام اكراد العراق	ملف برس
٥- ندوة حول كركوك	المرصد العراقي
٦-العلاقات الكردية الاسرائيلية	هوشنك اوسي
٧- السود واليهود	يوري افنيري
٨- مصر .. مرحلة انتقالية ام تحديث سلطوي	خليل العناني
٩-عصر ازدهار القانون الدلي ام انهيار	حسن نافعة
١٠- حملة صليبية من الاوهام	مجلة فورن افير
١١- الهجوم على الايران .. الجدل الامريكي مستمر	روجر اوين
١٢- عرض كتاب : فن الحكم..	ماجد الشيخ
١٣- ثقافة الفضائيات العربية	موريس ابو ناضر
١٤-عبد الوهاب المسيري :شاهد النصف الثاني	بشير موسى نافع

اسم المقالة	اسم الكاتب أو اسم المصدر
١٥-ابحاث اللغة العربية	عبد الباقي النجار

العدد (١١)

١-رسالة موجهه الى السيد رئيس الوزراء	اية الله الشيخ محمد باقر الناصري
٢-مخاض السيادة	مركز الجنوب
٣-الجنرال اوديرنو مهندس استراتجية (السورج)	ملف برس
٤-هاجس الضمانات	جابر حبيب جابر
٥-موازنة ادارة بوش والديمقراطية في العالم العربي	ستيفن مكينرني
٦- اثر العولمة في المواطنة	مسعود موسى الربضي
٧- نحو تقليص العملية الانتخابية من المكننة	رغيد الصلح
٨-نظام الانتخاب .. وتمثيل المراة المصرية	د.وحيد عبد المجيد
٩-حافظوا عليها في فيغاس	توماس فريدمان
١٠-انة اقتصاد يا غبي ..الى حد ما	اياد ابو شقرا
١١- النفاتية .. شكلاً من الاسلاموفوبيا الجديدة	السيد ولد اباة
١٢-الثقافة الوطنية العراقية ومرجعيتها المنسية	حسن اسماعيل
١٣-حق الانسان المتهم في محاكمة عادلة	د.عقيل عزبز
١٤- حرية التعبير عن الراي في الدستور العراقي	صلاح حسن الشمري

العدد(١٢-١٣)

١- ما بعد الاتفاقية	مركز الجنوب
٢-اذا لم تشجع امريكا الوصول	ماف برس
٣-وثيقة سرية تدعوا لانشاء اقليم سني متامرك	النور
٤- جدلية سلطة الشيوخ	النور
٥- البرلمان الكويتي يعارض	الشرق الاوسط
٦-مناورات اسرائيلة	ذي صنداي تايمز
٧- هكذا هزمت الصناعات العراقية	الاسبوعية
٨- العراق والسودان وافغانستان تستغيث من الدرن	الحياة
٩- اوباما واسرائيل	دينيس روس
١٠- عن محنة القرءة في العالم العربي	خالد غزال
١١- اسيا الكبرى وتحديات اقتصادية المعرفه	مركز الاهرام الدولي
١٢-ازمة اسواق المال	عادل لطفي
١٣- محلـيات ..تجفيف الاهوار	حسن علي خلف
١٤-الخلاف على كركوك	حسن اسماعيل
١٥- ازمةلانتاج الوعي	حيدر قاسم الحجامي

اسم المقالة	اسم الكاتب أو اسم المصدر
١٦-حماية الممتلكات الثقافية خلال النزاعات المهمة	جواد كاظم عجيل
١٧- اور تحتضر	لجنة دفاع عن اور
١٨-الاطماع الامريكية في الشرق الاوسط والخليج العربي	فاهم وارد عفريت

العدد(١٤)

١-ضوء بداية نفق	مركز الجنوب
٢-سيناريوهات الصراع والتعاون على المياه بين العراق وتركيا بعد انشاء سد اليسو	نوار جليل هاشم
٣-ملاحضات حول اتفاقية الاولية بين وزارة وشركة شل لمشروع غاز الجنوب١	فؤاد قاسم الامير
٤- ظهور البعث بـ(ثوب ليبرالي)	صحيفة ميكلاتشي
٥- الديمقراطيات غير مستقرة	محمد عبد جبار الشبوط
٦-الانتخابات والديمقراطية	سليم الحص
٧- تقرير للامم المتحدة :الحكومة تؤمن حاليا ٤٣ في المائة من جميع الوظائف في العراق	المرصد العراقي
٨- قراءة في كتاب مقتدى الصدر نهوض الشيعة والصراع في العراق	باترك كوك بيرت
٩- اين الصوت العراقي	نعوم تشومسكي
١٠-عبد اللطيف هميم واسماعيل زاير يتنازعان على (الحدث)	وكالة عراق برس
١١-نهاية المطاف الامريكي في العراق	د.محمد السعيد ادريس
١٢- دراسة تكشف عن اسباب نشأة المافيات العراقية الصاعدة	فالح عبد الجبار
١٣-نحو نظرية امنية جديدة بعد حرب غزة	صالح النعامي
١٤- الغالبية تتصل من انتمائها نحو حياد غير مطلوب ..	اديب نعيمة
١٥-المقاومات الداخلية العربية لنظام حقوق الانسان وانعكاساتها	معهد كيتو مصباح الحرية
١٦- شمس الواعظين لـ((الشرق الاوسط)) الحرس الثوري يسيطر على أي مشروع تتجاوز قيمتة ١٠ مليون دولار	الشرق الاوسط
١٧- الانهيار المالي .. ازمة النظام	سمير امين
١٨- كتاب المتابع	
١٩- اراء وملاحظات حول الاتفاقية الامنية	حسن اسماعيل
٢٠-المثقف الاسلامي .. اهات وهنات	عامر موزان

اسم المقالة	اسم الكاتب أو اسم المصدر
٢٠-المثقف الاسلامي .. اهات وهنات	عامر موزان
٢١- قراءة في قانون الجنسية العراقية	محمد خيري الجشعمي
٢٢-حماية الممتلكات الثقافية اثناء الاحتلال	جواد كاظم عجيل
٢٣- فهم العولمة	د.صلاح الجابري